د. محمد طه

ذكر شرقي منقرض





ذكر شرقي منقرض

تأليف محمد طه

تحويل وتنسيق
د/ حازم مسعود
للمزيد من كتبي على
https://t.me/hazem_massaod_kindle_books

كُلُّ ما هو مكتوبٌ في هذا الكتابِ هو اجتهاداتٌ وتحليلاتٌ ورُؤى شخصية بحتة، مبنيةٌ على تجربتي الحياتيَّة الخاصة (كإنسان)، وعلى خبرتي العلميَّة والتعليميَّة والعلاجيَّة المتواضعة (كطبيبٍ نفسي وعضو هيئة تدريس جامعي).
كلُّ كلمةٍ هنا تحتملُ الخطأ والصَّواب.. وتخضعُ للنقد والتفنيد.. ويُؤخذ منها ويُرد عليها.. وليس لها أيُّ هدفٍ سوى نشر التوعية النفسيَّة باستخدام لغةٍ سهلةٍ ومفرداتٍ بسيطةٍ، اجتهدتُ في فهمها واستيعابها وتوصيلها قدْر المُستطاع.
المؤلف

***

د. محمد طه

طبيب وكاتب مصري. أستاذ م الطب النفسي بكلية الطب- جامعة المنيا- مصر. نائب رئيس الجمعية المصرية للعلاج النفسي الجمعي (سابقًا)، وعضو الجمعيتَيْن الأمريكية والعالمية للعلاج النفسي الجمعي. له العديد من الأبحاث العلمية والكتب والفصول المنشورة محليًّا ودوليًّا. صدر له ثلاثة كتب باللغة العربية: «الخروج عن النص»، و«علاقات خطرة»، و«لأ.. بطعم الفلامنكو».

إهداء

إلى كل ذكر - بالولادة..
قرر أن يكون رجلًا-بالحياة..

محمد طه

مقدمة

فيه فرق كبير بين الرجولة والذكورة..
الذكورة هي النوع.. الرجولة هي الفكر..
الذكورة هي الجنس.. الرجولة هي السلوك..
الذكورة هي البيولوجيا.. الرجولة هي الموقف.
معروف عن الرجل الشرقي إنه رجل شهم، وشجاع، وغيور.. يحمي أهله وبيته بعُمره.
رجل طيب وحَسَن النية.. يُفضِّل مَن حوله على نفسه، ويهتم بتلبية احتياجات زوجته وأولاده قبل احتياجاته هو شخصيًّا.. وممكن- حرفيًّا- ماياكُلش ومايشربش.. وينام على الأرض.. في مقابل أن يشعروا هم بالأمان.
رجل رومانسي وحالِم للغاية.. ممكن يعمل أي حاجة علشان اللي بيحبها.. ولو كانت التضحية بنفسه، أو بأغلى ما يملك.
لكن وبكل أسف.. تجمعت عدة عوامل في العقود الأخيرة.. اختطفت من هذا الرجل رُجولته، وتركت له- فقط- ذُكورته.. أحرقت شهامته وشجاعته وجُرأته، وأبقت على صوته وصورته وعضلاته.. حوَّلته من رجل حقيقي مُبادر وحازم ومسئول، إلى رجل مُزيف مُتباهي بخشونته وقسوته وافترائه.
هذا الكتاب ليس عن «الرجل الشرقي»، الذي سمعنا عنه وعرفناه قديمًا.. بل هو عن «الذَّكَر الشرقي» الذي تسلَّل إلينا مؤخرًا، وعاش بيننا بديلًا عنه.. تلك النسخة الباهتة في ألوانها، الخافتة في نورها، والمُشوَّهة في ملامحها.
في رأيي أن الذكورية الشرقية- بهذا الشكل وذلك السلوك- مرض.. ومرض صعب جدًّا.. لأنها تُصيب نفس صاحبها ببعض الأعراض.. وتُفسد روحه ببعض المضاعفات.
تُصيب نفسه بالنرجسية والأنانية والغرور.. وتُفسد روحه بالسادية والسيكوباثية وتَحَجُّر المشاعر..
تُصيب نفسه بالتسلط والفوقية والوصاية.. وتُفسد روحه بالكِبر والغطرسة والعنجهية..
تُصيب نفسه بالظلم والتجبر والعدوان.. وتُفسد روحه بالنكوص والاتكالية والتنطع.
الذكورية الشرقية مش بس مرض.. بل هي متلازمة مرَضية كاملة.
مشكلة هذا المرض (أو المتلازمة) الأولى إنه مش بس بيؤثر على صاحبه ودائرته الصغيرة.. لأ.. ده بيؤثر على دواير أكبر وأوسع بكتير.. بيؤثر على عائلات وجماعات ومجتمعات كاملة.
مشكلته التانية إنه مش مرض حاد ظهرت أعراضه فجأة.. ونقدر نعالجها بسرعة، بدواء مُسكن أو حتى بعملية جراحية.. لأ.. هو مرض مُزمن.. عمره عقود من الزمن.. ومحتاج مجهود شديد ووقت طويل لعلاجه.
ومشكلته الثالثة هو إنه مرض خبيث يُشبه السرطان.. مُتوغِّل ومستفحل في عقول كثير من الرجال والنساء على السواء.. مُخترق لطبقات الوعي الجمعي إلى أعماقها.. مُستشري في شوارع وحواري وأزقة الشخصية العربية حتى النخاع.
الكتاب ده هيحاول يقرب.. ويستعرض.. ويحلل.. ويفهم.. ويقدم رؤى علمية وعملية لتغيير وعلاج هذه المتلازمة المرضية المستعصية.. بشكل مُفصل ومُبسط في نفس الوقت.
الكتاب مُقسم إلى أربعة أبواب.. اخترت أن أعرضها بطريقة الطبيب الباحث الذي يسعى إلى وصف المرض، ثم تشخيصه، ثم علاجه.

الباب الأول.. بيوصف أعراض الذكورية الشرقية.. وبعض أنواعها.. هنتكلم عن الراجل «ابن أمه»، والراجل «جوز أمه - نفسيًّا».. هنشوف الراجل «ابن مراته».. والراجل «أبو مراته».. كل واحد منهم موصوف ومشروح في فصل مستقل وبأمثلة من الواقع.. ووضعت بين كل نوع والتاني فصلًا ذا موضوع مختلف - في نفس السياق طبعًا- علشان تعرف تاخد نفَسَك، وتهضم اللي قريته، وتستوعبه، قبل ما تنقل على النوع اللي بعده.

الباب الثاني.. هيورينا- وبتفصيل كبير- أسباب المرض، وأصوله.. هنشوف إيه في طريقة التربية ممكن يطلّع ذَكَر شرقي.. إيه في العلاقة بالأم والأب.. إيه نوعية الرسائل المجتمعية اللي بتوصل له وتشجعه وتنميه وتغذيه وتكبره.. وإزاي بيتم اجتزاء واختزال الدين، واستخدامه في غير موضعه وغير مقصده.. من أجل صُنع ذَكَر شرقي.

الباب الثالث.. هيكشف لنا إيه مضاعفات الذكورية الشرقية.. إيه مخاطرها؟ ممكن توصل بينا لغاية فين؟ ممكن تتمادى إلى أي حد؟ هنشوف نوعية وجود الذَّكَر الشرقي في بيته، هنتكلم عن الجنس في حياة الذَّكَر الشرقي.. عن التحرش والتنمر والخيانة.. عن استخدام العنف والقهر والعقاب مع أي أنثى تقول لهذا الذَّكَر «لأ».. وعن الطلاق أو الانفصال بأشكال مُهينة ومُجحفة وغير مفهومة أحيانًا.

أما الباب الرابع والأخير، فهيقدم فهمًا أوسع وأعمق للجانب الآخر من الحكاية.. هنشوف الأمور من زاوية الذكر الشرقي نفسه، وهنستكشف الجانب المُظلم والبُعد الخفي من تركيبته النفسية.. هنعرف احتياجاته القديمة، اللي عدم تلبيتها في وقتها بهدله وبهدل اللي حواليه معاه.. هنفهم مخاوفه اللي ما اتعلّمش يداريها غير بالعنف أو بالانسحاب.. وهنكتشف حقوقه النفسية (الحقيقية) اللي حرمانه منها منذ طفولته، وخلال تربيته، وحتى كبر سِنه، أدى لمصائب وكوارث يدفع ثمنها الجميع.

ومن هنا.. هتكون نقطة البداية نحو العلاج.. ونقطة الانطلاق نحو التغير.

والحقيقة إن هذا التغير.. لو ما بدأش يحصل من الآن.. في الوقت اللي الوعي فيه عمَّال يزيد.. والأجيال المتتالية عمَّالة تراجع كل اللي وصلها على مدى عُقود.. والبنات والسيدات والرجال (الحقيقيون) عمّالين يفنّدوا ويفلترُوا وينقّحوا كل علاقاتهم واختياراتهم وقراراتهم.. فتأكدوا..

إن هذا الديناصور البشري الضخم..

لو لم يدرك.. ويفهم.. ويتطور..

ويقوم بتفكيك.. وإعادة تركيب نفسه من جديد..

فلن يكون له أي مصير، سوى الاندثار والفناء..

ولن يكون له أي تاريخ، سوى ماضٍ أسود مظلم..

ولن يكون له أي مكان، سوى رُكن بعيد مُختفٍ، في أحد متاحف العالم، تحته لافتة صغيرة مكتوب عليها بخط غير واضح:

«ذَكَر شرقي مُنقرض».

***

أصعب ما في الكتاب ده عليّا كان حاجتين:

الحاجة الأولى هي اكتشاف إن أحد شُركاء (وداعمي) صناعة الذَّكَر الشرقي، اللي بيقهر الأنثى، ويهينها، ويتعالى عليها، هو المرأة الشرقية نفسها.. واللي بتكون أحيانًا أكثر ذكورية من الذَّكَر الشرقي ذاته..

والحاجة التانية.. هي إني استعرضت مع كل كلمة كنت باكتبها، حياتي أنا الشخصية.. وراجعت بكل صدق وإخلاص وعُمق، تاريخي مع ذكوريتي الشرقية.. بدايتها.. تفاصيلها.. آثارها.. ثم رحلة تغيرها.

ماهو ماينفعش أطلب من الناس يشوفوا جوَّاهم، من غير ما أشوف جوَّايا معاهم.. ماينفعش أنظَّر وأحلل من بعيد، من غير ما أغرس إيدي ورجلي في الأرض وسط اللي قرروا يعملوا ده بشجاعة.. وماينفعش أدَّعي إني باحاول أعمل توعية نفسية.. قبل ما أكون سلَّطت ضوء التوعية المؤلم، داخل غيابات ودهاليز نفسي أنا شخصيًّا.

زي ما اتعودنا مع بعض.. الكتاب مكتوب بلغة سهلة ومفردات بسيطة، وكأني قاعد معاك وباكلمك.. لتيسير وصول معلومات علمية مُعقدة جدًّا- لا تتحمل أي درجة من الرسمية أو التقعُّر- إلى كل الشرائح العمرية والثقافية الممكنة.

وزي برضه ما اتعودنا مع بعض.. أنا باستخدم أحداث من الحياة.. ومواقف من ممارستي الإكلينيكية.. ومشاهد درامية من السينما أو التلفزيون، علشان تكون مداخل واضحة ومُعبرة عن الأفكار والنظريات والتحليلات اللي بأقدمها.. اللي عاوز يتعلم بينتهز أي فرصة للتعلم.. واللي عاوز يعرف، بيستلهم المعرفة من كل المصادر المتاحة.

الكتاب ده فيه حاجة جديدة ومختلفة تمامًا.. وهي إني ماكتبتش الكتاب المرة دي لوحدي.. انتم كتبتوه معايا.. خلال السنتين اللي فاتوا، كنت بانزِّل على صفحتي على الفيسبوك أسئلة، وجُمل ناقصة للاستكمال، وتصويتات على وجهات نظر مختلفة.. وكانت تعليقاتكم وآراؤكم قيّمة ومفيدة بشكل لا تتخيلوه..

اقتبست أجزاء منها، وجمعتها، وحللتها، وعرضتها هنا بشكل لا يقل مرجعية أو استشهادًا عن أي بحث علمي جاد: أنا أكتب النظرية والتحليل.. وانتم تكتبوا الشهادة والدليل. وعلى فكرة، فيه كتب كتير دلوقت بدأت تحلل كلام وتعليقات الناس على السوشيال ميديا علشان تعرف وتدرس محتويات العقل الجمعي للمجتمعات والشعوب والثقافات.. ده أحدث اتجاه في علم التحليل الجمعي.. هنتعلم هنا إزاي نقرا المواقف والظواهر اللي حوالينا ونحللها، من خلال علامات وكلمات وجُمل بسيطة جدًّا.

ده إلى جانب كل رسايلكم وملاحظاتكم وطلباتكم اللي كنتوا بتبعتوها لي: شوف الكلام ده يا دكتور.. حلل المشهد ده يا دكتور.. قول لنا رأيك في الموضوع ده.. فين ألاقي جمهور مُلهم بالشكل ده زيكم؟

***

أخيرًا.. وليس آخرًا.

أرجوكم.. وانتوا بتقرءوا..

مش عاوزكم تحكموا على هذا الرجل/ الذَّكَر الشرقي..

مش عاوزكم تسخروا منه.. ولا تُحقّروا من شأنه.. زي ما بيحصل في سياقات كتير..

علميًّا وطبيًّا ونفسيًّا وإنسانيًّا.. ماينفعش تحكُم أو تسخر أو تُحقِّر من شأن أي شخص.. سليم أو مريض.. عدو أو حبيب.. صغير أو كبير.

النماذج المذكورة في الكتاب نماذج مريضة وغير سوية، ولا يمكن تعميمها على الإطلاق، وبرضه لا يمكن السخرية منها أو التندر عليها، لأن ده مؤذي جدًّا.

وأنا مش كاتب الكتاب ده علشان كده..

بالعكس..
إحنا مش هنتعالى عليه.. لأنه من جواه- زيّه زينا- غلبان جدًّا.
ومش هنرفضه ونستأصله من وسطنا.. لأنه ناتج وخارج من نفس الظروف الحياتية اللي بنمُر بيها يوميًّا..
ومش هنفقد فيه الأمل.. لأنه خريج نفس مدرسة التربية اللي اتربينا عليها كلنا.
إحنا- زي ما اتعلمنا في رحلتنا مع بعض - هنقبله.. حتى لو مش موافقين على اللي بيعمله..
فالقبول لا يعني الموافقة.. ولا يعني الاستسلام.. بل هو المرحلة الأولى والأهم في أي تغيير..
وهنتعاطف معاه.. لأنه جزء لا يتجزأ من نسيجنا وتركيبتنا المجتمعية..
وهنحاول نحط نفسنا مكانه.. نحس بيه.. ونفهمه.. ونحاول نساعده.
وأرجو.. إن هو كمان يحاول يساعد نفسه.
ومن فضلكم.. لا تتوقفوا أو تقتطعوا الكتاب عند نصفه الأول، اللي بيوصف ويستعرض ويصول ويجول في صفات الذَّكَر الشرقي.. مما قد يشفي غليل البعض.. ويؤجج غضب البعض الآخر..
كمّل الكتاب لآخر كلمة في آخر سطر.. علشان الرسالة توصل كاملة.. غير منقوصة أو مشوهة.
الكتاب زي اللوحة الفنية المُتكاملة.. ماينفعش تشوف جزء منها.. وتتغاضى أو تتغافل عن باقي أجزائها.
ورجاءً.. والكلام ده مُوجّه للسيدات قبل الرجال.. ماينفعش ناخد قرار في أي علاقة بناءً على كلام مكتوب في كتاب، أو منشور في مقال بصحيفة أو على السوشيال ميديا، أو مُذاع/ مَعرُوض في أي وسيلة إعلامية، مهما كان الكاتب أو القائل.. الكلام المكتوب والردود القصيرة والأجوبة النظرية دائمًا تكون قاصرة، وغير حاسمة، وخصوصًا عند سماع الحكاية من طرف واحد، وبيحدث في أحيان كتير جدًّا أن تتغير وجهة نظر ورأي الكاتب أو القائل، أو حتى المُعالِج النفسي تمامًا- وأحيانًا إلى العكس- لما يشوف ويسمع الطرف التاني من الحكاية.. العلاقات الإنسانية أكثر تشابكًا وتعقيدًا من كل ده.. والكتابة والنشر غرضهم المعرفة والوعي والبصيرة.. اللى يكتشف وجود خَلل في علاقته بحد- خاصة العلاقات العاطفية والزوجية- يقعد ويتكلم.. يسمع ويتناقش.. يستشير ويستخير.. يطرق باب العلاج النفسي الزواجي لدى مُعالِج متخصص.. هدف التوعية النفسية ليس أبدًا هدم أي علاقة إنسانية أو زوجية أو عاطفية. بالعكس، الهدف الحقيقي والأسمى هو إعادة بناء العلاقة من جديد بشكل أفضل.. أما الانفصال، فهو دائمًا الحل الأخير بعد فشل كل الحلول والمحاولات لإيجاد مَخرج، والوقوف على أرض صلبة، والبحث عن وسائل جديدة للقرب والتواصل والتفاهم.
موافقين؟
طيب.
يالا تعالوا نبدأ رحلتنا..
بجدعنة..
وشجاعة..
وطيبة..
وبمنتهى الأمل.

شُكر وامتنان

الشكر والامتنان موصولان ولا ينقطعان أبدًا، لأستاذي ومُعلمي وأبويا الروحي أ. د/ رفعت محفوظ.. اللي خد بإيدي من ظُلمة الجهل إلى نور العلم.. من تِيه طُرقات الحياة إلى أبواب ونوافذ الوعي.. ومن عمَى النفس إلى بصيرة الروح.

كل الحب لشُركاء النجاح.. اللي قدموني ليكم، وفتحوا لي أبواب الكتابة والنشر والانتشار، رغم كل الصعوبات والتحديات.. الأستاذة هالة البشبيشي، الأستاذ شريف الليثي، والأستاذ هاني عبد الله.

الجمهور الغالي الواعي الوفي.. اللي فتح لي عقله وقلبه بكل كرم.. وصدقني، وآمن بيَّ، وما بخلش عليّا أبدًا بالتشجيع، والمتابعة، والنقد البنَّاء.

أمي الطيبة.. صاحبة أحن قلب.. وأجمل ابتسامة.. وأدفى حضن..

وأبي الحبيب.. الصادق المُخلص المتفاني.. رحمة الله عليه..

زوجتي الغالية.. اللي منحتني من نفسها وتعبها وجهدها.. وقرأت وراجعت واقترحت وعدّلت.. واللي باهدي ليها هذا الكتاب مُغلفًا بأرق وأصفى طبقة من روحي.

وأولادي الأنقياء الشجعان.. اللي كل أملي في الحياة إنهم يتحرروا من أي سجن يكبل عقولهم.. وأي سور يخنق أرواحهم.. ويتحرروا مني أنا شخصيًّا.

والحمد.. كل الحمد.. لله رب العالمين..

صاحب الفضل..

وجزيل الكرم..

وعليه قصدُ السبيل.

الباب الأول

ابن أُمه.. جوز أُمه.. ابن مراته.. أبو مراته

الفصل الأول:
أول قعدة

أول خطوة في علاج أي مرض هي تشخيصه.. وأول خطوة في التشخيص هي إني أسمع المريض بيقول إيه.

خلينا نبدأ رحلة التعرف على مظاهر وأعراض مرض «الذكورية الشرقية».. بإننا نسمع المريض لما يتكلم هيقول إيه.

إستنى..

هو فين المريض؟ وهنسمعه إزاي؟ ومين اللي هيشخصه؟

أقول لك..

أكتر موقف بيفصح فيه «الذَّكَر الشرقي» عن نفسه.. ويزيح الغطاء عن «بعض» أفكاره ومُعتقداته.. ويهتم بتوصيل ده بوضوح لمَن أمامه.. هو موقف التقدم لخطبة أي فتاة.. اللحظة اللي بيبدأ يسألها فيها عن نفسها، واهتماماتها.. اللي بيتعرف فيها على شخصيتها ومدى قوتها أو ضعفها.. اللي بيختبر فيها استعدادها للتنازل عن نفسها، والتضحية بهويتها، من أجل العيش معه.

تعالى كده نقرأ إجابات البنات والسيدات على سؤال طرحته على صفحتي من عدة شهور: «إيه أمثلة الكلام اللي اتقال من الشخص اللي اتقدم لك في أول قعدة؟».. اتفضل:

- **عندكِ مُتابعين كتير أوي على الفيس.. ممكن أعرف دول جم إزاي أو بسبب إيه؟**
- **لازم تسيبي شُغلك، مش هنحتاجه.**
- **هوّ مُرتبِك كام؟**
- **ليه لحد دلوقت ماوافقتيش على حد؟**
- **انتي إزاي مش بتشربي صودا؟ عندك أي مرض منها؟**
- **بتقبضي كام؟**
- **مش باحب البنت الجدعة.. انتي جدعة؟**
- **بيت أبوكي مكتوب باسم مين؟**
- **معاكي فلوس؟**
- **جيبتي كام في الفيزياء في ثانوية عامة؟**
- **عندك مشكلة أقعد ثلاثة أيام في أوضة لوحدي، تحطي لي الأكل قدام الباب، والثلاث أيام الباقيين أخرج لك؟**
- **عايزة نخلف كام طفل؟**
- **اقطعي علاقتك بكل أصحابك.**
- **أنا صعب أشرب عصير في الشارع علشان وضعي الاجتماعي.**
- **بتصلي الفجر حاضر؟**
- **بتخرجي كام مرة في الأسبوع؟ والأماكن إيه؟**
- **ليه اسم الفيس بتاعك مش باسمك؟**
- **بتعرفي تذاكري في آخر أسبوع في السنة وتلمي المنهج ولَّا لأ؟**
- **شعرك ناعم ولَّا أكرت؟**
- **العربية مكتوبة باسمك ولَّا باسم باباكي؟**

- **مُرتبك قد إيه؟**
- **هتتخني بعد الجواز؟ ولو هتتخني، مش هينفع أكتر من اتنين كيلو.**
- **عينك مش مُلونة زي مامتك ليه؟**
- **انتي بتقبضي كام؟**
- **حافظة كام جزء من القرآن؟**
- **عندك أصحاب قد إيه؟**
- **والدك كاتب لك إيه باسمك ميراث؟**
- **عاملة إيه مع المطبخ؟**
- **البيت ده بتاعكم؟ باسمكم يعني ولَّا بتاع عيلة؟**
- **لو قولت لك أنا ولَّا القطة بتاعتك؟ هتختاري مين فينا؟**
- **مراتي ماتمسكش موبايل عليه إنترنت، ولو حبكت أوي يبقى هاسمح بتصفح جوجل فقط لا غير.**
- **مراتي ما تشتغلش.**
- **مراتي ما تطلبش تروح عند أمها كل شوية، أو خروج عمومًا يعني.**
- **تعرفي مين نيلسون مانديلا؟**
- **انتوا بتصيفوا؟**
- **أنا ناوي أعدّد الزوجات.. يا ترى يناسبك؟**
- **صوابعك رفيعة ولَّا تخينة؟**
- **مش انتي اللي هتقرري تشتغلي أو ماتشتغليش.. أنا اللي أقرر ده.. موافقة؟**
- **اتأخرتي في الجواز ليه؟**
- **ناوية تكملي دكتوراه ولَّا إيه؟**
- **انتي طويلة كده ليه؟**
- **الفجر بيأذِّن الساعة كام؟**
- **عندك شقة؟**
- **انتي ممكن في يوم من الأيام تعلِّي صوتك عليّا؟**
- **كلمة مين اللي هتمشي لو اختلفنا في النقاش؟**
- **اقنعيني أتجوزك ليه؟**
- **فِكرتك إيه عن التعدد؟**
- **معاكي ICDL (شهادة تدريب على الكمبيوتر)؟**
- **الأنتريه ده خشبه حلو.. ده من دمياط؟**
- **انتي بتخرجي مع بنات عمك للقاهرة تتفسحوا ليه؟**
- **تعرفي تعملي كول- سلو؟**
- **بتصومي اتنين وخميس؟**
- **بتروحي الكلية لوحدك ولَّا مع حد من أصحابك؟**
- **هو انتي مش شايفة إنك محتاجة تخسي شوية؟**
- **انتي قصيرة ليه؟**
- **بتعرفي تشتغلي تحت ضغط؟**

- **تحبي أجيب لك وردة ولّا خاتم ألماظ؟**
- **هي أمك وأبوكي اتأخروا في الخِلفة وما جابوش غيرك ليه؟**
- **مش حاطّة ميك اب ليه؟**
- **مُرتبِك كام؟**
- **غاوية قراية؟ هتتعبيني.**
- **أبوكي كاتب لك حاجة باسمك؟**
- **انتي بتحبي حد؟**
- **بتعرفي تعملي كام صنف رز؟**
- **عاوزة تطلعي بإيه من القعدة دي؟**
- **بنت جميلة ومُثقفة زيك ما ارتبطتش ليه لحد دلوقت؟**
- **تعرفي إيه عن النسبية؟**
- **أنا باحب الإعلانات.. انتي بتحبي تتفرجي على إيه في التلفزيون علشان مانتخانقش؟**
- **لو قولت لك تقطعي علاقتك بأقرب صاحبة ليكي، هيكون رد فعلك إيه؟**
- **لو قولت لك مافيش لعب كورة طايرة (رياضتي المفضلة) هتعملي إيه؟**
- **لو قولت لك إن صفات بُرجك رخمة ووحشة، هتغيريها علشاني؟**
- **انتي اللي عاملة الشاي ده؟**
- **وانتي بقى بتعرفي تطبخي؟**
- **ليه مش مربية ضوافرك ومش حاطة مانيكير؟**
- **شايفة نفسك فين كمان خمس سنين؟**
- **مناخيرك كبيرة أوي، يا ترى بتتنفسي هوا أكتر مننا؟**
- **بتدرسي ليه بعد الجامعة؟ طالما في الآخر هيتزين بالشهادات دي الصالون؟**
- **مش ناوية تتخني؟**
- **بيتكم ده بتاعكم ولَّا إيجار؟**
- **هتورثي كام؟**
- **انتي بتخلفي؟**

كفاية كده؟
كتير؟
ماشي.
أنا حاولت أجمع وأعرض أكبر عدد من الجُمل والأسئلة علشان تبقى عينة ممثِّلة بشكل أقرب ما يكون للواقع.
آدي يا سيدي كلام المريض.. آدي الأعراض واضحة قدامنا عَيانًا بَيانًا.
نشخَّص بقى.

****

كل إناء ينضح بما فيه.. الإناء اللي فيه ميّة هينضح ميّة.. واللي فيه عسل هيسيل منه عسل.. واللي فيه صبّار.. هيقطّر صبّار.
يعني شوية الأسئلة والجُمل دول طالعين منين؟ بيعبروا عن إيه؟ بيكشفوا إيه؟

طالعين من داخل نفس وعقل صاحبهم.. وبيعبروا عن آرائه ومعتقداته.. وبيكشفوا عن شخصيته وتركيبته.

لو عملنا للكلام ده نوع من التحليل النصِّي الكيفي **Textual Qualitative Analysis**، بطريقة علمية بسيطة اسمها **Interpretative Phenomenological Analysis** (تحليل الظواهر التفسيري)، هتلاقي إنك أمام حد، مواصفات تركيبته النفسية كالتالي:

• مُتسلط: لازم تسيبي شغلك. اقطعي علاقتك بكل أصحابك. لو قولت لك أنا ولَّا القطة بتاعتك؟ مراتي ما تطلبش تروح عند أمها كل شوية. مراتي ما تشتغلش. مش انتي اللي هتقرري تشتغلي أو ماتشتغليش. انتي ممكن تعلّي صوتك عليّا؟ كلمة مين اللي هتمشي لو اختلفنا؟ لو قولت لك تقطعي علاقتك بأقرب صاحبة ليكي؟ لو قولت لك مافيش لعب كورة طايرة؟ هتتغيري علشاني؟

• بيشك في صوابع إيديه: عندك متابعين كتير على الفيس ليه؟ عندك أصحاب قد إيه؟ عندك مرض من الصودا؟ مراتي ماتمسكش موبايل. بتخرجي مع بنات عمك تتفسحوا ليه؟ ليه اسم الفيس بتاعك مش باسمك؟ بتخرجي كام مرة في الأسبوع والأماكن إيه؟ بتروحي الكلية لوحدك ولَّا مع حد من أصحابك؟ انتي بتحبي حد؟ بنت جميلة ومثقفة زيك ما ارتبطتش ليه لغاية دلوقت؟

• مهتم بالأكل: عاملة إيه مع المطبخ؟ تعرفي تعملي كول- سلو؟ بتعرفي تعملي كام صنف رز؟ انتي اللي عاملة الشاي ده؟ انتي بقى بتعرفي تطبخي؟

• مهتم بالمستوى المادي لشريكة حياته: مُرتبك كام؟ بتقبضي كام؟ بيت أبوكي مكتوب باسم مين؟ معاكي فلوس؟ العربية مكتوبة باسمك ولَّا باسم باباكي؟ مُرتبِك قد إيه؟ بتقبضي كام (تاني وتالت وعاشر)؟ والدك كاتب لك إيه باسمك ميراث؟ البيت ده بتاعكم ولَّا بتاع عيلة؟ أبوكي كاتب لك حاجة باسمك؟ بيتكم ده بتاعكم ولَّا إيجار؟ هتورثي كام؟ انتوا بتصيّفوا؟ عندك شقة؟

• مش بيحب ولا يشجع تعليم أو ثقافة شريكة حياته، وأحيانًا يخاف ويتوجس منهم: بتعرفي تذاكري في آخر أسبوع في السنة وتلمّي المنهج ولَّا لأ؟ غاوية قراية؟ هتتعبيني. بتدرسي ليه بعد الجامعة طالما في الآخر هيتزين بالشهادات دي الصالون؟ جيبتي كام في الفيزياء في ثانوية عامة؟ معاكي **ICDL**؟ تعرفي إيه عن النسبية؟ تعرفي مين نيلسون مانديلا؟

• مهتم بتقييم الممارسات الدينية (اللي مش لازم تكون مقياس حقيقي للتدين): بتصلي الفجر حاضر؟ الفجر بيأذّن الساعة كام؟ بتصومي اتنين وخميس؟

• مُتنمر: عينك مش ملونة زي مامتك ليه؟ صوابعك رفيعة ولَّا تخينة؟ انتي طويلة كده ليه؟ انتي مش شايفة إنك محتاجة تخسي شوية؟ شعرك ناعم ولَّا أكرت؟ انتي قصيرة ليه؟ ليه مش مربية ضوافرك؟ مناخيرك كبيرة أوي؟ مش ناوية تتخني؟

• ناوي من الأول ما يكتفيش بزوجة واحدة: أنا ناوي أعدّد الزوجات.. يناسبك؟ فِكرتك إيه عن التعدد؟

• غريب الأطوار (أحيانًا): عندك مشكلة أقعد ثلاثة أيام في أوضة لوحدي، تحطي لي الأكل قدام الباب؟ أنا صعب أشرب عصير في الشارع علشان وضعي الاجتماعي. أنا باحب الإعلانات.

• مُتذاكي: لو قولت لك أنا ولَّا القطة؟ شايفة نفسك فين كمان خمس سنين؟ انتي بتخلفي؟ تحبي أجيب لك وردة ولَّا خاتم ألماظ؟

• شايف نفسه لُقطة: أقنعيني أتجوزك ليه. عاوزة تطلعي بإيه من القعدة دي؟ لو قولت لك إن صفات بُرجك رخمة ووحشة، هتغيريها علشاني؟

إذًا.. نحن أمام شخص مُتسلط، شكّاك، مهتم بالأكل، مهتم بالمستوى المادي لشريكة حياته، مش بيحب ولا يشجع- وأحيانًا يتوجس- من تعليم وثقافة شريكة حياته، مهتم بالطقوس الدينية الظاهرة، متنمر، عنده استعداد مبدئي ونية صريحة لعدم الاكتفاء من علاقة زوجية واحدة، مُتذاكي، غريب الأطوار أحيانًا، وبعد كل ده، شايف نفسه لُقطة محتاج البنت اللي قدامه تقتنعه إنه يتجوزها.

الصفات دي مش من قبيل التخمين، أو الاتهام.. ومش مصدرها خبرة خاصة أو شخصية.. ده تحليل نفسي لنصوص اتقالت حرفيًا، في سِياق هدفه الأساسي إن كل حد يقدم نفسه، ويعرَّف الطرف التاني بيه.

نحن أمام حالة بارانويا مزمنة.. ونرجسية سرطانية متقدمة.. واستعداد كبير لمضاعفات سادية وسيكوباثية من الدرجة الأولى..

هذه هي الأعراض..

وهذا هو التشخيص..

وذلك هو وصف الشخصية والتركيبة النفسية.

نقدر نسمي ده «متلازمة الرجل الشرقي».

متلازمة سَرت وانتشرت وتغلغلت بين رجال (ونساء) هذا الجزء من العالم.

متلازمة حيَّرت عقولًا، ودمرت قلوبَ أجيال وأجيال من الرجال والنساء والأطفال.

متلازمة شوَّهت كل معاني الرجولة الحقيقية.. وأتت في طريقها على كل صفات الأنوثة الطبيعية الفطرية اللي خلقها ربنا.

هنعمل إيه فيها؟

هنروح فين ونيجي منين؟

هنبدأ بإيه وننتهي بإيه؟

خلينا نخطو الخطوة المنطقية التالية..

وهي إننا نعرف أكتر.. عن أنواع وأشكال هذه المتلازمة..

نشوف بوضوح نماذج حية من تلك الذكورية الشرقية المُنقرضة..

نقرّب العدسة.. ونسلط الضوء على الذَّكَر (زوج أمه- نفسيًّا).. والذَّكَر (ابن أمه).. والذَّكَر (ابن مراته).. والذَّكَر (أبو مراته).. وغيرهم وغيرهم.

ما تستغربش من المُسميات..

لسه..

اللي جاي أغرب.

الفصل الثانى :
عُقدة «أم» أوديب

(عن الذَّكَر.. جوز أمه)

فيه حكاية بتتكرر بشكل غريب في معظم أعمالنا الدرامية- مع اختلاف بعض التفاصيل.. واحد وواحدة بيحبوا بعض، بس الواحدة دي تكون مرتبطة (مخطوبة- متزوجة- في علاقة ما) بشخص معين.. ويظهر هذا الشخص (اللي هو خطيبها أو جوزها) كإنسان غلس وبارد وشرير.. ويبان للمشاهدين- بطرق كتيرة جدًّا- إن التاني اللي بيحبها هو اللي له الحق فيها، أما زوجها أو خطيبها فهو مجرد عائق سخيف قدامهم. وتدور حرب نفسية- وأحيانًا معارك جسدية- بين الطرفين.. لينتهي الفيلم أو المسلسل بانتصار الحبيب، وفركشة الجوازة أو الخطوبة الأصلية.. لينال منها البطل الجديد.. اللي بيكون دايمًا طيب ولطيف ووسيم.. وغالبًا صوته حلو وبيغني كمان.

القصة دي بتتعاد وتتكرر من أيام عبد الحليم حافظ وعمر الشريف وغيرهما (شارع الحب- ابن حميدو- نهر الحب) لغاية وقتنا هذا، حيث محمد فؤاد وأحمد حلمي وغيرهما (رحلة حب- غاوي حُب- زكي شان).

أقول لك ملاحظة تانية بتتكرر في نفس السياق.. وهي الوجود الدائم للعوازل والحُساد والغيورين في كل قصة حب تقريبًا.. مرة صاحبة الحبيبة، أو قريبتها، أو أمها أو أبوها.. ومرة علاقة سابقة في حياة الحبيب، أو زميلة عمل، أو أمه أو أبوه برضه.. دايمًا فيه عدو.. دايمًا فيه غريم.

هو إيه الحكاية؟

فيه إيه؟

وهل ده ليه علاقة بالذكورية الشرقية وتركيبتها؟

خليك معايا.. وتعالى نشوف.

****

الطفل (الذَّكَر) بييجي من سِن تلات إلى خمس سنين، ويبدأ يتعلق بأمه زيادة شوية، يقرب منها بشكل واضح، يلازمها مكان ما تروح، يقعد جنبها في الرايحة وفي الجاية، وساعات ما يعرفش ينام بالليل إلا معاها.. مش بس كده.. ده بيبدأ يتصرف معاها وكأنها ملكية خاصة بيه.. ويغِير عليها من أي حد وكل حد.. وده بيظهر في كلامه وأفعاله وتصرفاته.

يُفاجأ الطفل في الوقت ده بوجود حد أقرب منه لأمه.. حد عايش معاها ليل نهار.. حد ممكن ياخدها منه في أي لحظة.. حد مسيطر على الوضع وواخد زمام الأمور أكتر منه.. الحد ده اسمه «أبوه».

وبما إن هذه الأم ملكي أنا وحدي.. وبما إنها مصدر حبي وحناني وشعوري بالأمان.. إذن فهذا الأب- داخل مُخيلة الطفل- هو غريم وخصم ومُنافس إلى أن يثبت العكس.. وده يفسر ليه الولد الصغير في السن ده بيتضايق لو أبوه أظهر أي شكل من أشكال الحب لأمه قدامه.. لو لمسها بإيده، يحوش إيده.. لو هزر معاها، يكشّر ويزعل.. لو كلمها والتفتت إليه، يغِير ويصرّ على تغيير اتجاه وشها ناحيته هو.. كل الأمهات شافوا الحكاية دي في أولادهم وعارفينها كويس.. وبالمناسبة.. نفس الكلام بيحصل مع الطفلة (الأنثى)، اللي بتيجي في نفس السن وتبقى «حبيبة أبوها».

طيب.. يعمل إيه الطفل الصغير الضعيف ده قدام هذا الرجل الكبير القوي؟ ما يقدرش يعمل أي حاجة.. لا يملك من أمره أي شيء.. غير إنه يحس بالعجز.. والخوف.. وقلة الحيلة.. ويتزلزل بناؤه النفسي من فرط إحساسه بالضعف والتهديد (والحب والكُره في نفس الوقت) أمام هذا الكائن العملاق اللي اسمه «الأب». وما يبقاش فيه قدامه- وسط اللخبطة دي- أي طريقة يلم بيها شتات نفسه، ويجمع من خلالها أجزاءه المتفرقة غير إنه يحس بينه وبين نفسه (بشكل غير واعٍ) إن مافيش فرق بينه وبين أبوه.. وإنه هو نفسه في الحقيقة «أبوه».. وإن هذا الشبل «هو» ذَاك الأسد.. بس خلاص.. اتحلت.. فين بقى الضعف والخوف والتهديد؟ مافيش.. فين قلة الحيلة؟ خلصت.. ما هو أنا بقيت «هو».. نسخة طبق الأصل.. لا يوجد أي فرق.

الحكاية دي بيسموها في التحليل النفسي «تقمص المعتدي- Identification with the aggressor»، واللحظة دي مهمة جدًّا في تاريخ النمو النفسي الطبيعي.. علشان هي دي اللحظة اللي بيبدأ فيها الطفل (الذَّكَر) يحس إنه ينتمي لعالم الرجال.. إنه واحد «منهم».. وإنه زيه زي أبوه بالظبط.. ليه قوّة.. وقدرة.. وانجذاب ناحية الجنس الآخر.. فيتكلم زي أبوه، ويمشي زي مشيته، ويقلد نبرة صوته، وحتى تعبيرات وشّه.. ويبدأ يتعامل مع أمه على إنه «أبوه».. عاوز نفس الاهتمام.. مستني نفس الحقوق.. ممارس أحيانًا لنفس السلطوية والرغبة في التحكم.. أنا شوفت أولاد في السن ده بيعلقوا على لبس أمهاتهم، ومواعيد خروجها، ومواعيد رجوعها.. بيُصروا يناموا في السرير (بينها وبين الأب).. ما بيسمحوش ليهم يختلوا ببعض.. وحاجة آخر كوميديا!

اللحظة دي كمان هي لحظة بداية تكوين «الضمير» داخل الطفل، واللي بيكون مصدره الأساسي قيم وأخلاق «أبوه»، اللي تقمّصه بكل ما فيه.

حكاية تعلُّق الطفل بأمه ثم تقمُّص أبوه سماها فرويد «عُقدة أوديب».. أوديب اللي اكتشف - في الأسطورة الإغريقية اللي كتبها سوفوكليس- إن الست اللي متجوزها طِلعت أمه، وإنه قتل أبوه من غير ما يعرف.. فماستحملش الصدمة، وفقأ عينيه الاتنين.. ليتحول إلى شخص أعمى.. جه فرويد وقال لك بس:

زواجه من أمه كان تقمص لأبوه (اللي كان فعلا مُعتدي وقاسي وحاول يتخلص من ابنه وهو صغير).. وحتى فقْء عينيه كان برضه تقمُّص للراجل الأعمى اللي واجهه بالحقيقة المُرة في آخر الرواية.. «أوديب» تقمص كل مُعتدي.

النسخة الأنثوية من الحكاية دي.. اسمها «عُقدة إليكترا».. بتتعلق فيها البنت (في نفس السن) بأبوها.. وتنتهي بأنها تتقمص أمها.. وتحس أخيرا إنها تنتمي لعالم النساء.. ويتكون جواها ضميرها الإنساني اللي مصدره الأساسي قِيَم وأخلاق «أمها».

راجع بقى كده كل الأمثلة اللي بتسمع فيها واحد يقول إنه عاوز يتجوز واحدة «زي أمه».. أو تسمع واحدة بتقول بكل عفوية: «أبويا هو فارس أحلامي».

ولَّا أقول لك..

تعالى نبُص تاني على التكرار الدرامي الغريب لفكرة الراجل اللي بيحب واحدة موجودة في علاقة بالفعل، ويظهر زوجها أو خطيبها كشخص قاسٍ مُعتدٍ عديم الإحساس (تنجح الدراما في شحنك ضده).. ويحصل السيناريو المعتاد.. لينتهي الفيلم أو المسلسل بانتصار الحبيب اللطيف الكيوت (اللي بتنجح برضه الدراما في استدرار تعاطفك نحوه)، وفركشة البنت لعلاقتها السابقة، من أجل الارتباط به.. في مشهد أوديبي من الدرجة الأولى.. تقدر دلوقت تفك رُموزه بنفسك.

يا راجل ده فيه فيلم عربي اسمه «من نظرة عين»، بيتكلم عن واحد حب واحدة يوم فرحها.. وفضل وراها لغاية ما خلاها تسيب عريسها، وتتجوزه هو!!! فيه أوديبية أوضح من كده؟!!
شِيل بقى الزوج أو الخطيب من المشهد.. وحط مكانه أي حاسد أو حاقد أو عزول.. واعمل نفس السيناريو تاني.. بين واحد طيب ورقيق وجميل، وأي رمز لـ«أب أو أم» في صورة طرف ثالث معتدي.. تطلع لك نفس الحكاية.. ونفس الرواية.. ونفس النهاية.. اللي بتقول إن العقل الباطن واقف وثابت ومتحجر تمامًا عند عُقدة أوديب.. وده ممكن يحصل مش بس على مستوى الأفراد.. لأ.. ده على مستوى مجتمعي أكبر وأعمق.
أقول لك أمثلة تاني؟
انزل الشارع.. أقرب شارع.. وشوف أي راجل ماشي مع مراته أو خطيبته أو حبيبته.. ولاحظ نظراته -اللي مش بيقدر يخبيها- لأي راجل تاني معدي من جنبهم.. أو واقف قريب منهم.. أو حتى موجود في مرمى بصرهم.. نظرات كلها تمعُّن وترقب وتحدي.. بيشوف عين أي راجل حواليه رايحة فين، بتبص على إيه، بتبص لمدة قد إيه.. وكأنه بيقول له من جواه: «خلي بالك.. إوعى تبص.. إوعى تقرب.. دي بتاعتي».. دايمًا فيه توجُّس من أي راجل.. حرص من أي ذَكَر.. استنفار تجاه أي واحد غيره.
بلاش كده.. اسأل أي واحدة عن أول (أو تاني) حوار دار بينها وبين الشخص اللي متقدم لها أو اللي عاوز يرتبط بيها.. مستحيل تلاقي الحوار يخلو من تعليق معين منه على طريقة لبسها، أو طلب واضح (أو مستتر) بأنها لازم تلبس بشكل معين يكون مريح (بالنسبة له).. علشان ماحدّش (راجل تاني) يبُص لها.. تقول له ماتخافش أنا لبسي كويس وواخدة بالي.. يقول لها: أنا عارف نيتك وواثق فيكي.. بس مش واثق فيهم همّا.. انتي ما تعرفيش الرجالة زي ما أنا عارفهم.
موقف مبدئي مُتحفز ومتربص وعدائي ناحية كل مَن يرمز إلى «ذَكَر مُنافس».. لأننا مازلنا واقفين ما اتحركناش عند عقدة أول ذَكَر نافسنا على أول أنثى عرفناها في حياتنا.
الذَّكَر اللي بيتقمِص لما حبيبته تكلم زميلها في الشغل.. والذَّكَر اللي بيزعل لما حد يعمل لخطيبته لايك على الفيسبوك.. والذَّكَر اللي يتحمق ويتضايق لما مراته ترد على التليفون.. كلهم نُسخ مكررة من ذلك الطفل الصغير اللي اسمه «أوديب».
ويكمل المشهد بنصائح ومواعظ للستات من عينة: «تعاملى مع رجُلكِ على إنه طفلكِ الصغير».. «الرجل داخله طفل كبير».. «دلّليه كأنه طفلك».. ناقصة الحكاية هيَّ!
فيه أمثلة أكتر.. وفيه كلام أصعب.. هتشوفه وتستغرب منه في الفصول القادمة.
بس خلينا نرجع دلوقت.. لـ«أم أوديب».. اللي شرحنا كل اللي فات علشان نوصل لها.

***

من أغرب الحاجات اللي سمعتها في حياتي، إن عريس حجز لوالدته حجرة جنب حجرته هو وعروسته في الفندق ليلة الزفاف.. علشان والدته ما تتضايقش!
سمعت كمان عن أم الزوج اللي معاها مفتاح شقة ابنها.. وبتدخل عليه هو ومراته وش الفجر.. وتسألهم بتعملوا إيه؟
والأم اللي بتخبّط عليهم في نص الليل علشان تدخل الحمَّام.. أو تعمل لنفسها كوباية شاي...
أمثلة غريبة؟
بعيدة أوي؟
طيب خد دُول.

أم بتطبخ لابنها لما يروح يزورها آخر الأسبوع.. وتسأله بعد ما ياكل: «أكلي أحلى ولّا أكل مراتك؟»، وخطيب لما يكلم خطيبته في التليفون بيوطي صوته، ويبرر ده لخطيبته بإن والدته بتغِير.
وحماة بتقول لزوجة ابنها صراحة: «إوعي تكوني فاكرة إنك هتاخديه مني».
الشكل التقليدي لعُقدة أوديب هو إن الولد يتعلق بأمه (ويتزوجها نفسيًّا) زي ما وصفنا.. لكن اللي بيحصل في مجتمعنا (الذكوري) هو بالظبط الوجه الآخر للقصة.. أعتقد فرويد نفسه ما كانش يتخيل كده.
اللي بيحصل عندنا هو إن الأم هي اللي بتتعلق بابنها.. وبتحرك فيه المشاعر الأوديبية بغزارة.. وتنميها وترويها بإصرار.. وده بيحصل من صغره.. من أول ما تعتبره راجل البيت (رغم وجود أبوه).. من أول ما تتعامل معاه على إنه ذَكر كبير، وهو في الحقيقة طفل صغير.. من أول ما تطلب منه يشكم ويحكم إخواته البنات.. اللي بيكونوا- أحيانًا- أكبر منه.
طبعًا لو الأب غايب معظم الوقت.. أو علاقته بالأم مليانة مشاكل.. أو قسوة.. أو قهر.. أو تجاهُل وعدم اهتمام.. فإحباط الأم في الحالة دي هيسهل ليها جدًّا إنها تتوجه بكل طاقتها واحتياجاتها «النفسية»، وأمنياتها وأحلام عمرها ناحية الابن.. اللي هيكون مطلوب منه إنه يدفع فاتورة أبوه.. ويكون لأمه «الزوج النفسي البديل».

***

أول بقى ما يظهر طرف تالت في هذه العلاقة الجميلة بين الأم والابن.. هيحصل إيه؟ هتشتعل نار الغيرة.. وتتأجج ألهبة الانتقام.. وتبدأ حرب ضروس لا نهاية لها.
مين الطرف التالت؟
أيوة..
سِت تانية..
خطيبة.. أو حبيبة.. أو زوجة.
وتشوف بقى الأم اللي بتغِير من مكالمة تليفون ابنها للبنت اللي بيحبها.
والأم اللي تفحّص وتمحّص في خطيبة ابنها، وتبص لها من فوق لتحت، وكأنها غريمتها القادمة..
والأم اللي بتعمل كل حاجة بوعي أو بدون وعي، علشان تبوّظ جوازة ابنها.
مش بس كده..
كل اللي بتشوفه وبتسمعه عن علاقة الحماة الشرقية بزوجة ابنها.. مالهوش أي تفسير غير إن هذه الحماة مُتزوجة ابنها نفسيًّا.. وإنها تُعيد تمثيل أسطورة أوديب.. بثلاثية أطرافها.. بس بشكل معكوس.
الأمثلة الجاية مش من عندي.. دي من عند الناس اللي اتطرح عليهم سؤال على السوشيال ميديا: «إيه أغرب حاجة سمعتها عن علاقة حماة بابنها ومراته؟» وماكانش في السؤال أي إشارة أو تلميح لأي حاجة من الكلام السابق.. والحقيقة أنا نفسي فوجئت بالإجابات.
• خطيبي كان في علاقه غريبة جدًّا مع مامته، لدرجة إنه كان بيقول لو هنروح شهر عسل: لازم تيجي معانا، يا إما مش هنروح.
• كل علاقات الحموات هنا غريبة جدا.. من أول إنها تطلب من مرات ابنها تقول لها يا ماما... لحد إنها تتحشر في كل تفصيلة من تفاصيل حياتهم وتختار لهم كل حاجة... واحدة بتعامل ابنها

إنه جوزها وغيرانة عليه من مراته.
• واحدة ماعندهاش غير ابن وحيد، رافضة تسيبه يختار اللي هيتجوزها، وكل ما تعجبه واحدة، تقوّم البيت حريقة لحد ما يسيبها.
• الغريب إن الحماة توقّع الزوجين في بعض.. طيب ما هو ابنها كده مش هيكون مبسوط!
• كتير شوفت حموات بتعامل ابنها كأنه جوزها ومراته ضرتها.
• إنها بتتعامل مع ابنها كأنه زوجها.. تتدخل في كل حاجة، وتاخد قرارات مكانهم، وتعامل مراته على إنها خدامة ليهم.
• معظم الحموات بيعتبروا الابن هو الزوج بالمعنى الحرفي.. تتجوز آه، لكن وقت ما أعوزك لازم ألاقيك.. مافيش أي خصوصية.
• أقرب صديقة ليّا ساكنة بعمارتنا وتزوجت ابن جارتنا.. عادي.. لكن اللي مش عادي، إنها سافرت أسبوع عسل للمصيف بعد زواجها بشهرين.. أول فسحة.. تصور حماتها سافرت معاها، وكمان بنتها وزوجها وابنهم الصغير! برضه عادي.. لكن اللي بجد كل ما افتكره باضحك، هو إنها قعدت مع ابنها وعروسته في نفس الحجرة، بل ونفس السرير، وقالت لهم: خُدوا راحتكم.. أنا لما بنام ماباحسّش بحاجة.. آه والله!!
• ممنوع الابن ينام مع مراته إذا كانت أمه موجودة معاهم في البيت.
• سمعت إنه فيه حماة بتتحكم في مرات ابنها، ومن يوم الصباحية جت قعدت معاهم في البيت وجابت جوزها وبنتها يقعدوا معاهم.
• هي المواقف كتير.. أغرب حاجة لما حماتي سألتني قبل الفرح: انتي ميعاد البريود إمتى؟
• سمعت إن فيه قرية بحالها لما عروسة الابن تيجي.. حماتها تحط رجليها على الباب وتقفله برجليها، ومرات ابنها تنزل تعدي من تحت رجليها، قال إيه علشان تبقى تحت طوعها.
• أعرف شخصيًّا حماة، عندها خمسة أولاد، كانت بتطلق وتجوز فيهم، لدرجه إن الطباخ والعربيات بتاعة الفرح وهيّ بتحاسبهم تقولهم: تتعوض في العروسة اللي جاية.
• حماة ماكانتش مخلفة بنات، فكانت بتنادي ابنها الصغير (طليقي) تقول له يا نوسة.. وجت تبات معانا في شقة الزوجية، ولفّت على الجيران تحذرهم مني عشان كنت متطلقة قبل ما اتجوز ابنها.. ولو اتصلت بيّا وكنت نايمة تتصل عشر مرات وتقول له: مراتك مع مين؟!
• إنها تقول لي احكي لي كل حاجة.. انتم مش لوحدكم.. إحنا مثلث.. إنها تقول لي قولي لي الكلام والمواضيع اللي هتقوليها له الأول قبل ما تقوليها عشان تشوف إذا كنت أقولها ولَّا لأ.
• كانت صاحبتي في الكلية من أجمل البنات فعلا.. وفجأة اتجوزت.. شكلها اتغير وبقت على طول زعلانة.. حماتها يوم الدخلة قالت أنا أدخل أكشف عليها الأول.. ودخلت معاها وخرجت قالت لابنها دي أهلها ماختنوهاش.. هتبهدلك.. رجّعها لأمها تختنها.. وخدتها أمها فعلًا تعمل لها عملية ختان، رغم إنها كانت عملتها زمان.. ولما راحوا للدكتورة، البنت بكت وروّحت بعد ختان شكلي.. وبعد شهر كانت حماتها هي اللي بتنظم العلاقة الجنسية بينها وبين ابنها بالوقت.. عشان صحة ابنها.. وفي الآخر طلقتها بعد سنة عشان خدت مرة وقت طويل في الحمّام!
• سمعت مرة عن واحدة بتقول لحماتها ادعي لي يا طنط، قالت لها لأ أنا مابادعيلكيش.. أنا بادعي لولادي بس !
• واحدة أعرفها، حماتها - وكان ابنها الوحيد - كانت بتنام بينهم في نفس السرير، ولما الحمل اتأخر سنتين بقت تنام على كنبة في نفس الأوضة!

• أعرف أم جالها انهيار لما عرفت ان ابنها هيتجوز.. وشوفت واحدة قطعت معاهم التورتة في الفرح، وأعرف واحدة كانت بتلبس وتتزين لابنها بطريقة أوفر.. وحاجات تانية غريبة بس ماينفعش تتقال.
• أعرف واحدة راحت معاهم شهر العسل.. ولازم يباتوا عندها كل خميس، كل واحد في أوضة.
• إنها تدخل تنام على سريرهم، وتطلب من الزوجة تنام في أوضة تانية.
• كان غريب إنها تحس إن ابنها اتخطف، وتتضايق من علاقته مع مراته.
• تحس إنها بتعامل مرات ابنها على إنها ضرتها ومشاركاها فيه.
• فكرة إن يبقى معاها مفتاح البيت، تدخل وتخرج وقت ما تحب!
• غالبًا الحماة بتعوض نقص علاقتها بجوزها في ابنها.
• إن الحماة تقنع ابنها إن مراته لِبسها عِرّة، وإنها بتستعرّ تمشي معاها في الشارع عشان لِبسها عِرّة.. إن لما خال مراته اتوفى وحماتها جات العزا.. راحت قالت لابنها: دي مستقوية.. دي حتى ماعيّطتش على خالها.
• أغرب حاجة سمعتها عن واحدة قريبتي حماتها بتطلع تنام معاهم في الشقة، وبتصمم ابنها ينام معاها في الأوضة وممنوع ينام مع مراته، ولازم مراته تلبس محتشم في البيت.
متهيألي كلام الناس أبلغ وأوضح بكتير من كلامي.. وإن الموضوع مش ظاهرة فردية خالص.. وإننا -على ما يبدو- مجتمع أوديبي بطبعه.. مليء بهذه العلاقات «المُثلثية».
***
خد مثال تاني..
في رمضان ٢٠٢٠، انتشر أحد الإعلانات التلفزيونية، ونجح جدًّا.. الإعلان ده كانت فيه واحدة (المفروض إنها أم).. بتكلم ابنها (شاب كبير طويل عريض) مكالمة فيديو، وبتقول له: إزيك يا (فلان)؟ جاي إمتى؟ تمام وعادي وطبيعي جدًّا..
لكننا بنُفاجأ إن «الأم» وهي بتكلم «ابنها»، بتروح فاردة شعرها (اللي كان ملموم) في حركة مااتعودناش إننا نشوفها غير في مشهد عاطفي بين اتنين بيحبوا بعض.. عارفين المشهد الشهير ده؟ اللي بتظهر فيه البنت وهي بتفُك شعرها ويطير كده في الهوا.. والكاميرا تقرب من وشها وهي بتتحرك وباصة قدامها، علشان تبين جمال ملامحها اللي هتفتن بيها حبيبها وكده؟ هو المشهد ده.
كل ده بقى كوم.. وتعليقات الستات على المشهد ده لما حصل عليه بعض الانتقادات، كوم تاني:
• هي الناس ليه مستغربة من المشهد ده اللي الأم بتفك فيه شعرها وهي بتكلم ابنها؟! عايزة أقول لكم إن أحلى علاقة غرام في الدنيا بتكون بين الأم وابنها.
• أنا ابني أول واحد بياخد باله لما أكون زعلانة وييجي يطبطب عليّا ومايسيبنيش غير لما أضحك.
• ابني هو أول واحد بياخد باله لما أغيّر حاجة في شكلي.. وأول واحد لما باعمل شعري ييجي يمسكه بحنية ويقول لي شعرك كده جميل أوي.
• ابنى أوقات كتير ييجي يلزق فيَّ ويقول لي باحب ريحتك ياماما، باحب أشمك.
• مستغربين ليه بقى من أم عايزة دايمًا شكلها حلو قُدام أرجَل وأحن راجل شافته عيونها.
• ابني ساعات بياخد باله من حاجات أبوه نفسه بيبقى مش واخد باله منها.

• أنا برضه مستغربة مالهم.. أنا لما باكلم ابني بافضل أفك شعري واربطه عادي، مش فاهمة إيه المشكلة!
• مش كل الولاد كده.. أنا ابني رغم إنه حنين وطيب ومحبوب من الناس كلها... مابيهُونش عليه دلوقتي لما كبر واشتغل وأهو خاطب يقول لي كلمة حلوة.
طبعًا مافيش أي مشكلة إن الابن يحب أمه ويعبر عن حبه، والأم تفرح بده.. بس التعليقات دي بتوحي إن الابن أصبح تقريبًا بديل «نفسي» لأبوه.

***

كل ده بقى يقول إيه؟
يقول إن أحجار الأساس في علاقات الأم والأب مع الابن والابنة متلخبطة.. مقلوبة.. معكوسة.
ويقول إن نتيجة ده الطبيعية هي لخبطة مُماثلة، وتباديل وتوافيق غريبة، في كل العلاقات المنبثقة والتالية..
ويقول أخيرًا إنه ما ينفعش نستغرب من ارتفاع نسب الطلاق.. وانخفاض نسب الزواجات الناجحة.. طالما الأساس خرب.. والبناء هش.
وخلّي بالك..
دايمًا كل الأطراف مسئولة..
أم غلبانة.. أبوها قهرها.. وزوجها خذلها.. مالاقتش قدامها غير ابنها.
ابن مُضطر.. لبس دور مش دوره.. وماعرفش يلعب غيره.
وأب اتركن على جنب (بإرادته أو رغمًا عنه).. وأصبح خارج الصورة.. بره المعادلة.. ووقف يتفرج من بعيد..
وانتهى الأمر بأن الجُبناء.. تزوّجتهم أمهاتهم!
طيب.. هل فيه أمل؟
غالبًا آه..
بس مين عنده استعداد للرؤية؟
ومين عنده شجاعة التغيير؟
خلينا نكمّل..
ونشوف..
ها.. إيه تاني؟

الفصل الثالث :
ضِل راجِل.. اغلبيه بالعيال

اتكلمت في كتاب «لأ.. بطعم الفلامنكو» عن طبقات الوعي.. وقولت إن اللي عاوز يعرف محتويات «اللاوعى المجتمعي-Social Unconscious» لمجتمع ما، في فترة معينة من الزمن، ممكن يبص على الأمثال الشعبية السائدة أو المنتشرة لهذا المجتمع في تلك الفترة.. وده هيقول لك العقل الباطن بتاع المجتمع ده فيه إيه، وبيفكر إزاي.

أعتقد إنه مهم جدًّا -ومنطقي أيضًا- في سياق هذا الكتاب إننا نعرف إيه الموجود جوه الطبقات العميقة لعقولنا عن الرجل والمرأة.. مفهوم «الرجل» ومعناه ووظيفته والموقف منه.. صورة «المرأة» ومعنى وجودها ووظيفتها والعلاقة بها.

لو قدرنا نستكشف ده ونعرفه، هنفك لوغاريتمات كتيرة أوي في العلاقة بين الجنسين في مجتمعنا.. وكأنك بتشوف بعينيك حالة «ضبط المصنع» لعقليتنا فيما يخص الرجل والمرأة.. واللي هي بتنتقل لينا عبر الأجيال.. وبنتوارثها فردًا فردًا في شريط الـ«DNA» كمعلومات جينية ثابتة.. الكلام ده بجد.

من أهم الخطوات التشخيصية لأي مرض.. إننا نسأل عن التاريخ المرضي للحالة.. من أول ما اتولدت لغاية النهارده.. في الطب النفسي بقى، مش بس بنسأل من أول ما المريض اتولد.. لأ.. إحنا بنسأل عن تاريخه من قبل ما يتولد.. من أيام ما كان فكرة في دماغ أبوه وأمه.. كانوا عاوزين يخلفوا أصلًا ولَّا لأ؟ طيب كانوا عاوزينه ولد ولَّا بنت؟ ولادته كانت سهلة ولَّا متعسرة؟ وأشياء من هذا القبيل.. لأن كل الأحداث والرسايل دي بتوصل لعقولنا، وبتُحفر في نفوسنا، وبتشكل سلوكياتنا، من أيام ما كنا في الرحم.

تعالوا -بناءً على ذلك- نشوف أمثالنا الشعبية بتقول إيه عن علاقة الراجل بالست، من أول ما يعرفوا بعض.. مُرورًا بالخطوبة، ثم الزواج.

تعالوا نستكشف سَوا إيه اللي كل جيل مننا، بيسلمه للجيل اللي بعده، من مفاهيم ومعتقدات ونصائح لعلاقات عاطفية وزوجية ناجحة (من وجهة نظر هذا الجيل).

تعالوا نفتح شنطة الآثار القديمة.. اللي عمالة تتهرب من بيت لبيت.. ومن أوضة لأوضة.. مرة جوه العفش، ومرة تحت البلاط.. ومرة وسط الهدوم.

يلَّا بينا.. خطوة خطوة.

أولًا: اختيار شريك الحياة:

- **«مراية الحب عامية ومدخششة.. خلت الصرصار يعشق الخنفسة»: يعني اللي بيحبوا بعض، غالبًا مش شايفين حقيقة بعض.**
- **«خدي اللي يحبك.. وماتاخديش اللي تحبيه»: واضحة!!**
- **«سيبَك من الجَمال وخُد الخفة.. الجمال كتير بس الخفيف صدفة»: مش لازم ترتبط بواحدة جميلة.. المهم يكون دمها خفيف.**
- **«خد الحلو واقعد قباله.. وإن جُعت شاهد جماله»: انسَ المثل اللي فات.. خد بقى واحدة جميلة.. علشان جمالها ممكن يشبّعك لما تجوع.**
- **«المخدة ما تجمعش اتنين حلوين»: يا انت.. يا هيَّ.**

المجموعة دي من الأمثال بتقول إن شركاء الحياة في الأصل قُبحاء ومش شايفين قُبح بعض.. بلاش ترتبطي بحد تكوني بتحبيه.. ومش لازم (أو لازم) ترتبط بواحدة جميلة.. وإنه ما ينفعش

اتنين حلوين يرتبطوا ببعض.. تصور لما يبقى ده (بسم الله الرحمن الرحيم) في الارتباط والزواج!
ثانيًا: العلاقة بالزوجة:
• «ربِّي يا خايبة للغايبة»: انتي يا «أم» بتربِّي ابنك وتتعبي في تربيته، علشان تاخده منك واحدة انتي ما تعرفيهاش.
• «ادبح لها القطة»: لازم تخوف مراتك منك في أول علاقتكم.
• «اكسر للبنت ضلع يطلع لها أربع وعشرين»: البنت لازم تتعامل بقسوة، وبرضه مافيهاش فايدة.
• «لو ريّحت مراتك تتعبك»: إوعى تخلّي مراتك مرتاحة.. علشان ما تتعبكش.
المجموعة دي بقى، وطبعًا فيه أمثال أكتر منها، بتوصل- بما لا يدع مجالًا للشك- للعداء التام والمسبق تجاه الزوجة.. اللي هتخطف ابن من أمه اللي مربياه.. واللي العلاقة بيها ماينفعش تبدأ غير بالتخويف، ولا تتبني غير على القسوة، ولا تستمر غير بالحرمان من أي فرصة للراحة.
ثالثًا: العلاقة بالزوج:
• «اهرسيه زي البصلة، قبل ما يصبح أَصَلَة»: مثل سوداني، والأَصَلَة نوع من الثعابين العملاقة؛ يعني اضغطي على جوزك بكل قوتك، علشان ما يتحوّلش لثعبان شرس.
• «يغلبك بالمال، اغلبيه بالعيال»: لو جوزك زادت فلوسه وإمكانياته.. خلّفي أطفال كتير علشان فلوسه تخلص بالصرف عليهم (بدل ما يصرفها على واحدة غيرك).
• «ابنك على ما تربيه، وجوزك على ما تعوديه»: تقدري تشكّلي جوزك زي ما بتشكّلي ابنك.
هنا بقى العداء موجّه من الزوجة للزوج.. تضغط عليه لغاية ما تهرسه.. تجيب أطفال كتير علشان مايكونش عنده وقت ولا طاقة يلتفت حواليه.. وتعوّده على اللي هيّ عاوزاه من الأول زي ما بتربي ابنها بالظبط.
هل ينفع دي تكون علاقة زوج وزوجته؟ هو يدبح لها القطة، وهي تهرسه؟ هو يكسر لها ضلع، وهي تغلبه بالعيال؟ هو يتعبها وما يريّحهاش.. وهي تشكّله على مزاجها؟ دي حرب.. مش مودة ورحمة.
تصور الرجالة والستات في مجتمعنا، بيدخلوا مؤسسة الزواج، وعقلهم الباطن فيه الكلام ده، من غير حتى ما يكونوا واعيين بيه جوّاهم.. رسائل موروثة ومتغلغلة ومتأصلة فينا حتى الجذور.. طب دول هيعملوا جواز شكله إيه؟ هيبنوا بيوت عاملة إزاي؟ هيعيشوا مع بعض بأي منطق؟
نكمل..
رابعًا: النظرة للمرأة:
• «يا مخلّفة البنات، يا شايلة الهم للممات»: البنت همّ (ولا حول ولا قوة إلا بالله).
• «الرجالة غابت والستات سابت»: الرجل هو حاكم المرأة وحاميها من الوقوع في الخطأ.. وبغيابه تسير المرأة على حَل شعرها بلا وازع ولا رادع.
• «شُورة المَرة تجيب لِوَرا»: رأي الست دايمًا غير صحيح، وعواقبه وخيمة.
• «شاورها لا تدير برأيها»: مثل مغربي.. خُد رأيها، لكن ما تعملش بيه. زي اللي قبله.

• «شاوروهم وخالفوهم»: هنا بقى مش خُد رأيها وما تعملش بيه.. لأ.. خُد رأيها واعمل عكسه..
• «لما قالوا ده ولد، اتشد ضهري واتسند.. ولما قالوا دي بنية، اتهدت الحيطة عليّا»: يعني لما عرفت إني خلّفت ولد، فردت ضهري من الفخر.. ولما عرفت إني خلّفت بنت، كأن حيطة وقعت عليّا من الصدمة.
إذن الرجل -تبعًا لهذا الإرث الشعبي- وهو بيتعرّف، أو بيرتبط، أو بيتجوز، أو حتى بيخلف بنت.. مهم يحتقرها، ويقلّل منها، ويستعرّ من وجودها.. ما ينفعش ياخد رأيها.. ولو أخده ما يعملش بيه.. ويُستحسن يعمل عكسه.. لأن أكيد تقديرها للأمور سيئ، وغير عاقل، وغير حكيم.. واحدة ست بقى.
خامسًا: النظرة للرجل:
• «اللي خدته القَرْعة، تاخده أُم الشُّعور»: يعني الرجل -غالبًا الزوج- في كل الأحوال زي قِلّته.. و«أم الشعور» دي طبعًا غريمة الزوجة.
• «اللي تسيبه الهانم، تاخده مَسَّاحة السلالم»: نفس معنى المثل السابق.. بالإضافة إلى أن الزوجة أو الحبيبة الأولى ترى نفسها هانم.. وترى الغريمة أو الحبيبة الثانية خادمة حقيرة.
• «خدتك عواز، خدتك لواز، خدتك أكيد العوازل، كدت أنا روحي»: يعني الراجل هنا- باختصار- طلع مقلب.
• «يا واخد قلبي ومعزّل، حُبك لا مطلّع ولا منزّل»: حُبك مالهوش أي لازمة ولا فايدة.
• «يا واخدة القرد على ماله، بُكرة يروح المال ويبقى القرد على حاله»: الراجل قرد!
• «لو كانت للرجولة شنبات، كان الصرصار سيد الرجال»: الراجل صرصار!
طبقة أخرى من طبقات العقل الجمعي الشرقي.. بتؤصّل في المرأة احتقار الرجل.. اللي هو زي قِلّته.. ومقلب.. ومالهوش قيمة ولا لازمة.. ومش محصّل قرد ولا صرصار.
تخيل الرجالة والستات عندنا بيرتبطوا ببعض، وجواهم هذه القمامة الفكرية.. تخيل إن موقفهم المُسبق من بعض هو موقف احتقار وامتهان وتقليل.. تخيل كمية الأصوات اللي بياخدوها معاهم لبيوتهم وأوض نومهم وسرايرهم، وهي بتكرر هذه الجُمل الخائبة في عقولهم الباطنة ليل نهار!
إزاي العلاقات ما تبوظش؟ إزاي الجوازات ما تنتهيش؟ إزاي المجتمع ما يتشوّهش؟
فيه تاني؟ آه طبعًا.. ده لسه فيه بلاوي..
سادسًا: تخوين الرجل:
• «قصقصي طِيرك، قبل ما يلوف على غيرك»: خلصي عليه وطلعي عِينه وفلّسيه، علشان ما يروحش لواحدة تانية.
• «يا مآمنة للرجال يا مآمنة للميّة في الغُربال»: الرجالة مالهاش أمان.
• «برّه وجوه فرشت لك، وأنت مايل وإيه يعدلك»: الرجالة كده كده حالها مايل.
• «فرشت لك جوّه وبرّه، خدت فرشتي وادّيتها للضرة»: الرجالة أندال.
• «نهيتك ما انتهيت والطبع فيك غالب، ديل الكلب عمره ما يتعدل ولو علقوا فيه قالب»: الرجالة مش بيتغيروا.
• «يا مآمنة للراجل وسط الحريم، يا مآمنة للمعزة وسط البرسيم»: بعد ما كان قرد، وبعدها صرصار.. الراجل دلوقت بقى مِعزة!
• «جنازته ولا جوازته»: يموت أحسن ما يتجوز عليكي.

• «الراجل زي القرع، بيمد لبرّه»: الراجل كده كده خاين.
تفتكر الأمثال دي بتزرع في البنات والسيدات إيه؟ الكلام ده لما تسمعه أي واحدة في بيت أهلها أو من قرايبها أو وسط أصحابها، هيحصل إيه في عقلها؟ تناقُل هذا الميراث الشعبي عبر الأجيال، أثره هيكون إيه في تركيبة مجتمعنا النفسية؟
سابعًا: دور المرأة:
طبيعى جدًّا يكون فيه توقعات من كل طرف لدور الطرف الآخر في العلاقة اللي تنشأ بينهم.. يعني الراجل وهو داخل الجواز بيكون متوقع إن دور الست هيكون كذا وكذا.. نفس الكلام بالنسبة للست.. الأدوار والوظائف والمواقف دي إحنا بنعرفها منين؟ إيه مصدرها؟ بنعرفها من اللي بنشوفه في بيت أهالينا أولًا.. ومن اللي بنتفرج عليه في التلفزيون والسينما ثانيًا، ومن اللي بيوصلنا من تجارب اللي قبلنا وخبراتهم ثالثًا (عن طريق الحكاوي والفولكلور والأمثال الشعبية). خلينا نشوف إيه هو دور المرأة كما وصلنا من خلال موروثنا الشعبي العظيم:
• «جوزك يحبك عفيّة.. وجيرانك تحبّك سخيّة.. وأهلك تحبّك غنيّة»: يعني جوزك عاوز صحتك تكون كويسة.
• «الطريق لقلب الرجل معدته»: مهم تكوني بتعرفي تطبخي كويس، علشان يحبك.
• «الراجل بحر والست جسر»: دور المرأة التفهُّم والتسامح ومد جسور التواصل.
• «الأم تعشّش والأب يطفّش»: مهمة الست الحفاظ على استقرار البيت، أما الأب لأ!
• «بنت الأصل تخلي كُوخها قصر»: مطلوب من المرأة تهتم بجمال وهيئة وتفاصيل بيتها، علشان «الملك» اللي عايش فيه.
• «الست المفرفشة، جوزها بيروّح البيت م العِشا»: مرة أخرى.. مطلوب من الست تكون بهلوان، دمها خفيف، تضحّك وتهزّر وتنكّت، علشان راجلها يحب جو البيت، ويرجع بدري من بره.
• «كوني له أرضًا، يكن لك سماء»: انتي أرض تحت رجله.. وهو سماء فوق راسك.
ده يا سيدي الدور المتوقع من المرأة في علاقتها بالرجل.. صحتها كويسة، بتعرف تطبخ.. بتسامح على طول.. محافظة على الاستقرار.. مهتمة بجمال بيتها.. مفرفشة ودمها خفيف.. ورغم إن كل دي صفات حسنة وجيدة ومطلوبة.. لكن حد جاب سيرة «مثقفة»؟ لأ.. حد قال «بتعرف تفكر وتناقش»؟ ما حصلش.. حد ذَكَر أي حاجة عن «قوة شخصيتها» أو «اعتزازها برأيها» أو «نجاحها في شغلها» أو «تحقيقها لذاتها»؟ مستحيل.. بالعكس.. ده اللي بتكون فيها الصفات دي بيتجنبوها ويهربوا منها.
تعالوا نشوف بقى إيه المتوقع من الرجل، وإيه دوره في هذه العلاقة الجميلة.
ثامنًا: دور الرجل:
• «نقاره ولا خلو داره»: يعني يبقى موجود في البيت ويعمل مشاكل، أحسن من عدم وجوده خالص.
• «ضِل راجل ولا ضِل حيطة»: الراجل أحسن من الحيطة كسند وحماية.
• «اطبخي يا جارية، كلّف يا سيدي»: الرجل دوره يدفع.. يصرف..
• «الراجل ما يعيبوش غير جيبه»: استحملي كل عيوب الرجل طالما معاه فلوس وبيصرف عليكي.

• «رجال من خيطان، جاكر فيه الجيران»: مَثَل سوري.. يعني حتى لو رجل مصنوع من خيط (زي خيال المآتة)، بس أقدر أغيظ بيه جيراني.. الراجل منظر يعني.
• «الراجل رحمة، ولو كان فحمة»: مَثَل ليبي.. يعني وجود الرجل مهم.. بغض النظر عن أي حاجة.
يبقى إيه دور الراجل بقى؟
موجود.. بس.. يبقى موجود وخلاص.. أهو اسمه راجِل والسلام.. حتى لو كان خيال مآتة.. حتى لو كان قطعة فحم.. راجل أحتمي فيه، ويصرف عليّا.. حتى لو كانت فيه كل العيوب.
والنبي إحنا كده بنوصّل إيه للستات؟ طيب بنوصّل إيه للرجالة؟ مش هو ده اللي بيمنع الستات من إنهم ينهوا زواجات فاشلة ومؤذية ومسيئة إلى أقصى حد؟ إنها مش هتلاقي حد يصرف عليها، وهتبقى لوحدها أمام مجتمع ظالم ينهش لحمها حية؟ مش دي علاقة استغلال للرجالة؟ مش دي برضه علاقة إضعاف وتصغير وتعجيز للستات؟ هو ده اللي عاوزين نبني بيوتنا عليه؟ نعلّم الستات إن مجرد وجود رجل (مهما كانت عيوبه) جنبها نعمة لا تُضاهيها نعمة طالما بيكفلها؟ نعلّم الرجالة إنهم يكونوا كما يشاءون ويفعلوا كما يحلو لهم طالما هو «راجل»، وبيصرف على مراته؟ لا حول ولا قوة إلا بالله.
تاسعًا: وجود الرجل في المنزل:
• «جنازة بتار، ولا قعدة الراجل في الدار»: يعني قتيل يتقتل، ويكون وراه ثأر.. أهوَن من وجود الرجل بالمنزل.
• «قعدة الدودة في الغيط، ولا قعدة الراجل في البيت»: فساد الزرع والمحصول، أهون من وجود الرجل بالمنزل.
• «راجل في البيت، حريقة في البيت»: وجود الرجل بالبيت، نتيجته مشاكل وخناقات.
• «قعدة الراجل في البيت، زي البُرص على الحيط»: الراجل تحوّل هنا إلى برص!
أعتقد كده وضح جدًّا المطلوب من الرجل، ووضح أكثر الدور اللي تم توكيله إليه، والوظيفة اللي قررها العقل الجمعي لهذا المجتمع.. مطلوب منه اسمه.. الذي يوحي بوجوده.. فقط اسمه.. وقُدرته على الصرف والإنفاق.. بس كده وخلاص.. لكن يقعد في البيت لأ.. يتواجد شوية في منزله.. بلاش.. يكون ليه دور آخر برضه لأ.. لأنه هيعمل مشاكل ويولّعها حريقة.
طب إيه؟ وبعدين؟
عقلية مجتمعية تظلم الرجل والمرأة على السواء.. تختزل المرأة في الخدمة.. وتختزل الرجل في الصرف.. ويبقى هو ده الجواز.. وهي دي الحياة الزوجية.
عاشرًا: علاقة المرأة مع حماتها:
• «على ابنها حنونة وعلى مراته مجنونة».
• «دايمًا يا حماتي تتمني مماتي».
• «الحمَا عمَا، ولو كانت نجمة من السما».
• «دعوة الحمَا، لرب السما».
• «إن كتر ضحك حماتك، خافي على نفسك وحياتك».
• «أنكوي بالنار، ولا تقعد حماتي في الدار».
طبعًا الكلام واضح ومش محتاج شرح.
إيه رأيك بقى؟

إيه رأيك في هذا الإرث الثقيل العفن؟
الإرث اللي إحنا شايلينه فوق أكتافنا وماشيين بيه، من غير حتى ما ناخد بالنا.
الإرث اللي مخلّي الحياة ماسخة.. والناس عامية.. والعلاقات فاسدة.
أهو الكلام ده.. والمُتوارث من جيل لجيل.. سواء بوَعي أو بدون وعي.. بيجري من ابن آدم، ومن بنت حواء.. مَجْرَى الدم في العروق.
تحصل مشكلة بين الراجل ومراته.. يطلع صوت من جوّاه يقول له: «مش قولت لك ادبح لها القطة»؟
يتأخر الزوج برّه شوية.. يطلع صوت من جوّه زوجته يقول لها: «مش قولت لك يا مآمنة للرجال»؟
والمشكلة إن كل حد فيهم بيكون متصور إن الصوت ده صوته.. وإن الكلام ده كلامه وتفكيره واستنتاجه.. وماحدّش فيهم يخطر على باله إن ده صوت جاي من خمسين سنة ورا.. من بيت غير البيت.. وناس غير الناس.. وعقول غير العقول.
قادر تتخيل فيه كام صوت جوّاك؟
قادر تفرّق صوتك من صوتهم؟
مُتخيل كمية الناس اللي عايشين بينك وبين شريك حياتك؟
أسألك السؤال الأصعب؟
إنت عارف لمّا تكون مع مراتك (لوحدكم) في أوضتكم، فيه كام حد بيكون معاكم؟
عارف وإنت بتكلمها، ده صوتك ولَّا صوت أبوك ولَّا صوت جدك؟
طيب وهي بتكلمك؟ ده صوتها ولَّا صوت أمها ولَّا صوت سابع جدة من جداتها؟
وتقول لي لوحدكم؟
لوحدكم قال!
دي هيصة يابا.
بس الكلام ده بيوصف الواقع يا دكتور.. بيوصف خبرة اللي سبقونا وجربوا!!
آه طبعًا.. هو جاي من عند اللي سبقونا وجربوا.. بس هو كمان رايح لينا وللي بعدينا.. هو بيسجن الأجيال الحالية والأجيال اللي جاية في قوالب مجتمعية سابقة.. وبيزرع جوه عقلهم الباطن صور مقلوبة ومشوهة للعلاقات بين الرجل والمرأة.. وبيخلي كل حد داخل العلاقة مُتحفّز ضد التاني ومترصد له ومخوّنه، وسانن أسنانه لاستغلاله أو لإضعافه أو للإجهاز عليه.
كلام هذه الأمثال هو كلام ذو اتجاهين.. بياخد من الواقع، وبيغذيه في نفس الوقت.
ما ينفعش أشوف النهارده بعدسة إمبارح اللي أثبتت قصورها.
وما ينفعش أشوف بكرة بعدسة النهارده اللي لسه بتتحسس طريقها.
الزمن اتغير.. والدنيا تطورت.. والرجالة والستات والعلاقات بينهم بقى فيها معطيات وإحداثيات وأبعاد جديدة تمامًا.
طب نعمل إيه؟
في الحقيقة إحنا محتاجين نعمل «فورمات» كامل وشامل لهذا الجزء من عقلنا الجمعي..
محتاجين نبطل نقول الأمثلة دي قدام بعض.. ونبطل نسمعها من بعض..
محتاجين نفلتر ونوعى ونختار.. نصدق إيه منها ومانصدقش إيه..
لغاية ما يندثر منها ما يندثر.. ولا يبقى منها إلا ما يناسبنا..

ثم يندثر هو الآخر.. مع دورة تطور جديدة قادمة.
محتاجين نَكفُر بكثير مما وجدنا عليه آباءنا..
ونؤمن بنفسنا إحنا.. وبحياتنا إحنا.. وباختياراتنا إحنا..
ومحتاجين نقرا الكلام ده تاني كويس..
كويس أوي.
يلَّا.. «يا بخت من وفَّق راسين في الحلال».

الفصل الرابع:
أعمل إيه؟

(عن الذَّكَر.. ابن أمه)

أول كلمتين قالهم «عزيز» لأمه.. لما دخل عليها ولقاها ميتة.. في أصعب وأجمل مشاهد مسلسل «ليالي أوجيني» - (رمضان ٢٠١٩)»: «أعمل إيه؟ هي ما قالتليش أعمل إيه ببقية حياتي دي».

إعلان بالعجز.. والغضب.. وقلة الحيلة.. بعد سنوات طويلة من الاعتماد عليها بشكل كامل.. لكنها فجأة.. خِليت بيه.. وبقت مش موجودة.. واختفت للأبد.

****

التحليل النفسي قسّم مراحل النمو إلى خمس مراحل.. كل مرحلة فيهم سماها باسم أحد أعضاء الجسم.. مهم يوصل من الأم/ الأب للطفل في كل مرحلة منهم رسالة نفسية أساسية جدًّا، يعتمد عليها نجاحه في اجتيازها والانتقال للمرحلة اللي بعدها.. ولو ما وصلتش الرسالة دي، يقف الطفل نفسيًّا عند احتياجات ومتطلبات هذه المرحلة، ويفضل ثابت فيها، رغم كبر سنه، ونمو جسمه.

المرحلة الأولى اسمها «المرحلة الفمية»، وهي من وقت الولادة حتى سن سنتين.. وتم تسميتها بالاسم ده علشان «فَم الطفل» في المرحلة دي بيكون هو نقطة التقائه بالعالم، ومنطقة تفاعله معاه.. أي حاجة بتيجي قُدام الطفل بيحطها في فمه مباشرة ودون تفكير.. هو هنا بيستقبل ويفهم ويستوعب العالم من خلال فمه.. دي مرحلة الرضاعة.. ومرحلة لحس الأصابع والعض ومصمصة الشفاه.. اللي بيحصُل من خلالهم الطفل على إشباعٍ مناسب لاحتياجاته الجسدية، وبيعبر عن طريقهم كمان -بشكل بدائي- عن غضبه أو عنفه أحيانًا (من خلال العض مثلًا).

مهم يوصل للطفل من أمه في المرحلة دي رسالة واحدة بسيطة جدًّا.. مفادها «وقت ما تحتاجني.. هتلاقيني».. يعني وقت ما يحتاج يرضع.. يلاقيها موجودة.. وقت ما يحتاج يتحضن يلاقيها متاحة.. وقت ما يحتاج ينام بين إيديها.. يلاقيها حواليه.. مُهم يوصل له إن أمه حاسّة بيه، ومهتمة بأمره.

طبعًا مش مطلوب أبدًا إنها تكون موجودة ومتاحة ٢٤ ساعة في اليوم لمدة سبعة أيام في الأسبوع.. خالص.. لكنها مهم تكون موجودة بالقدر الكافي اللي محتاجه الطفل.. لا أكثر ولا أقل.

لو كانت الأم بقى غايبة كتير.. مشغولة معظم الوقت.. مهملة.. فده هيوصّل رسالة للطفل بتقول: «ماتثقش في حد.. مش هتلاقي حد جنبك وقت ما تحتاج.. أي حد ممكن يخونك ويخلى بيك».

ولو كانت مكرّسة نفسها ليه طول الوقت.. ومتاحة حتى من غير ما يطلب.. ومدلعاه ومهنناه زيادة عن اللزوم، فده هيوصّل له رسالة عنوانها: «ما تعتمدش على نفسك.. دايمًا فيه حد هيحل لك مشاكلك، وياخد قراراتك بالنيابة عنك».

في الحالتين.. الطفل ده لما يكبر هيبقى- غالبًا- شخص اعتمادي.. عنده جوع شديد لحد يثق فيه، بيدوّر دايمًا على حد يعتمد عليه، ما يعرفش يخطّي خطوة واحدة بدون رأي أمه (أو مَن يقوم بدورها).

هيفضل طفل صغير عنده سنتين.. في جسم رجل ضخم عنده أربعين سنة.

هيفضل طفل صغير بيرضع.

زي «عزيز».

***

التحليل النفسي اتكلم بالتفصيل عن تثبيت «الطفل» عند سِن معينة، في مرحلة معينة من النمو النفسي، وسمى ده «Fixation».. لكنه ما اتكلمش بنفس التفصيل عن تثبيت «الأم لطفلها» عند هذه السن.. بل واستمرار تثبيتها ليه طول العمر.

وزي ما شوفنا في الفصل اللي فات.. إن الأم ممكن تثبّت ابنها نفسيًّا في المرحلة من ثلاث إلى خمس سنوات.. هنشوف هنا هي إزاي ممكن تثبته عند المرحلة من يوم إلى سن سنتين.

وفي الحالتين، الأم بتجني على ابنها وبتُجرم في حقه.. لأنها ببساطة شديدة بتحرمه من إنه يكبر.. من إنه إيه؟

يكبر.

اللي يشوف «عزيز» على امتداد حلقات مسلسل «ليالي أوجيني» هيلاقيه فعلًا طفل صغير.. خايف من أمه.. اللي بتاخد له قراراته.. وتختار بالنيابة عنه.. اللي نظرة منها توقفه مكانه.. وابتسامة منها تنيمه مرتاح البال.. ما يقدرش يتنفس من غير إذنها.. وما يعرفش يتحرك بدون رضاها.

تعالوا نقرا عزيز وصف نفسه إزاي في أحد مشاهد المسلسل العبقرية:

«- أنا أصلا مش مهم.. مافيش أي حاجة باعملها مهمة لأي حد.. حتى أمي.. مش مهم أنا باعمل إيه.. المهم ماباعملش إيه.. المهم إني ما أكسرلهاش كلمة.. حتى لو غلط.. المهم إن أنا ما أقاوحهاش قدام الناس.. ما أصغّرهاش.. المهم إن أنا ما أفكرش بدماغي.. ما أبقاش أناني.. ما أبصش تحت رجلي.. ما أعملش.. ما أسويش.. ما أسخّمش.. كل حاجة بالنفي.. إنما أعمل إيه ده مش مهم.. علشان كده أنا بطلت أعمل.. الحاجة الوحيدة اللي بقيت أعملها.. هي إني ما بعملش.

صاحبه يُشير لعامل البار بالاكتفاء من تقديم الخمر.

– لا.. لا.. انت خايف إني أسكر وأعمل حاجة وحشة؟ أنا بقول لك.. أنا ولا باعمل وحش.. ولا باعمل حلو.. أنا بس باعرف ما أعملش.

– أنت زي الفُل.. وتقدر تعمل كل اللي نفسك فيه.

– ما هو أنا المشكلة مابقيتش أعوز حاجة.. اتعودت إني ما أعوزش.. حتى الحاجة الوحيدة اللي عوزتها في حياتي.. ما عرفتش أحافظ عليها...».

هو هنا بيشير لقصة الحب الوحيدة اللي عاشها في حياته.. واللي أمه تسببت في فشلها وعدم اكتمالها.. مش بس كده.. دي راحت خطبت له واحدة على مزاجها ومن اختيارها.. وده كان طبعًا فشل تاني.. لأن خطيبته اكتشفت إنه مش بيحس.. مش بيحب.. مش موجود أصلًا.

***

الأم اللي زي دي- كسابقتها- بتتفنن في إفساد زواجات أبنائها.. لأن معنى إنه يتجوز.. إنه هيفلت من إيديها.. إنه هيخرج عن طُوعها وسيطرتها.. ومعنى إنه يبعد عنها ويبقى ليه بيت وزوجة، هو إنه احتمال يكبر، ويبقى له رأي واختيار وحق اعتراض.. أو يفضل صغير بس مع أم تانية جديدة.. هي مراته.

جريمة سحق إنساني مع سبق الإصرار والترصد.. رغبة عارمة في السيطرة والتحكم على حساب أي شيء وكل شيء .. ثدي حنون يتحول فجأة لغول متوحش لا يعرف الرحمة.

هو ده بالظبط التجسيد الحي لأسطورة «أمّنا الغولة».. اللي بتحمل لابنها رسالة نفسية قاسية مُغلفة بالسوليفان الفاخر محتواها: «إوعَى تكبر».
وطبعًا أفضل أسلحة الأم دي في تثبيت وتصغير وتحجيم ابنها هو الابتزاز العاطفي، بكلام زي: إنت أناني.. مش بتفكر غير في نفسك.. ماشي بدماغك.. اسمع كلامي علشان أرضى عنك.. إنت عاق.. أنا أعرف الحياة أكتر منك.. أنا خايفة عليك.. فيتولد لديه مزيج من الخوف، والإحساس بالذنب، والعجز الشديد.. ويضطر -بحثًا عن الإحساس الزائف بالأمان والحماية تحت جناح هذه الأم المتحكمة المسيطرة- إنه يفضل صغير.. مهما كبر.. ويعيش حياته كلها «ابن أمه».
شلل نفسي تام..
وللمفارقة العجيبة.. عزيز في المشهد اللي فات، كان في البار عمال يشرب خمرة، ومش راضي يبطل.. وده يتناسب تمامًا مع صفات «الشخصية الفمية- Oral Personality»، اللي هي شخصية الواحد اللي ثبُت نفسيًا عند المرحلة الفمية اللي وصفناها.. الشخص ده –زي أي طفل بيرضع- بيلاقي مُتعته –غالبًا- في حاجات ليها علاقة بالفم.. يعني شُرب وسكر.. نهم زائد جدًّا في السجاير.. إدمان.. وبعض الحاجات التانية.

***

مشكلة الذَّكَر «ابن أمه» مشكلتين.. مشكلة وهي عايشة.. ومشكلة أكبر بعد ما تموت..
مشكلته وهي عايشة، إنه إنسان ممسوح الشخصية، مُتقزم الوجود، باهت الملامح.. لا بيهش ولا بينش..
أو -أحيانًا- بيهش وينش بس بصوت عالي أوي وبشكل مُبالغ فيه، علشان يثبت لنفسه وللي قُدامه إنه -قال إيه- راجل.. وكبير.. وإنه يعرف.. وإنه يقدر.. (وهو عارف إنه لا بيعرف ولا بيقدر).
أمه بتكون مُتغولة في تفاصيل حياته بشكل مفزع.. كل حاجة بإذنها.. كل همسة برأيها.. كل حركة بالرجوع ليها.. في دراسته.. مع أصحابه.. والأدهى والأمَرّ.. في خطوبته وجوازه.. في بيته.. وأحيانًا في سريره مع مراته.. ويالسوء حظ مَن ترتبط بمثل هذا الرجل.
أما مشكلته لما تموت.. فهي إنه بيحس فجأة إنه زي الطفل الصغير اللي تاه من إيد مامته في مكان واسع وكبير.. مش عارف يتصرف.. مش قادر ياخد قرار.. مش عارف يعمل إيه.. وليه.. وإزاي.
يحس -بموتها- إنها ضحكت عليه وخانته.. فيتملي غضب وخوف ورعب من كل حاجة وأي حاجة.. كل حد وأي حد..
يقعد جنب الحيط -زي ما عزيز قعد جنب جثة أمه- ساعات طويلة.. ولسان حاله بيقول: بقى بعد ما لزقتيني فيكي طول عمري.. جاية تسيبيني دلوقت؟ بقى بعد ما عودتيني على الاعتماد عليكي.. بتطلبي مني دلوقت أعتمد على نفسي؟ بقى بعد ما خليتيني صغير طول حياتي.. عاوزاني أكبر دلوقت؟
ثم ينطلق إلى العالم.. كطفل صغير تائه..
ويفضل -بكل أسف- طول عمره بيدوّر على حد يقوم معاه بدور الأم.. حد يعتمد عليه.. يرضع منه.. بلا نهاية.
أو يفضل- وبكل أسى- مستني أمه تطلع من القبر.. علشان تعتق رقبته.. وتحرره من سجن اعتماده عليها.. وخوفه منها.

شوفوا عزيز قال إيه تاني لصاحبه بعد وفاة أمه:
«- وأنت برضه يا عزيز بلاش تشرب كأن حد بيجري وراك..
– هاخاف من مين؟ مااللي كنت باخاف منها راحت خلاص.. أقول لك الحق.. أنا لسه برضه شايل هَم الخوف.
– مافيش حاجة تخوّف.
– لأ فيه.. خايف إن أنا ماأعرفش أعيش من غير الخوف اللي اتعودت عليه... أنا عامل زي التور اللي من ساعة ما وعي على الدنيا وهو مربوط في ساقية.. ما يعرفش غير إنه يمشي في دايرة.. وقعد عُمره كله يحلم باليوم اللي ممكن يتفك فيه.. يحلم إنه يمشي طوالي.. بدل ما هو بيلف حوالين نفسه كده.. يحلم إنه يخرج بره الدايرة.. يشوف دنيا جديدة.. ولما جِه اليوم واتفك.. مابقاش عارف يمشي إزاي.. ولا يروح فين.. دماغه بيقول له «إنت ما تعرفش غير إنك تلف في الساقية دي وبس».. المشكلة إن التور مابقاش ليه صاحب.. ولا حد يلفه.. ولا حتى يشخط فيه.. أنا التور ده.. أنا التور اللي بقى خايف حتى إنه يجرب يمشي من غير ما يكون مربوط..
– عزيز.. إنت زي الفل.. إنت بس متقّل شوية في الشرب..
– لأ.. أنا شارب المُر من زمان.. دلوقت أنا راجل حُر.. بس مش عارف أعمل إيه بحريتي دي... محتاس بنفسي أوي.»

***

مهم بقى نعرف إن ورا كل ده -عند هذه الأم المسكينة- كَمّ هائل من الخوف والوحدة وعدم الإحساس بالأمان.. وده نتيجة ظروف تربوية أو حياتية ضاغطة وبائسة.. خليتها تكلبش في ابنها وتتشعبط فيه.. وتمنعه من إنه حتى يكون موجود.. وللأسف، كل الأطراف بتخسر في النهاية.
مهم كمان نعرف إن أكتر حاجة مؤلمة في الحكاية دي كلها هي إن هذا الابن بيحب أمه، وبيكرهها في نفس الوقت.. خايف منها، وخايف عليها في نفس الوقت.. محتاجها جدًّا، وعاوز يتخلص منها في نفس الوقت.. منتهى اللخبطة والحيرة والتيه.
مافيش حاجة في النفس البشرية أصعب من وجود مشاعر متناقضة ناحية نفس الشخص..
ده بيمزق نفوسنا تمزيقًا.
طب والأب فين؟
دوره فين؟
بيعمل إيه؟
الأب هنا يا صديقى شريك آخر في الجريمة.. شريك بسلبيته وانسحابه وخفوت وجوده.. الأب هنا -زيه زي أبو الذَّكَر السابق (جوز أمه)- اضطُر أو اختار أو وافق، إنه ينزوي.. يبعد.. يكبّر دماغه، وياخدها من قصيرها، ويسلّم ابنه لمراته تسليم أهالي.
ممكن تكون مراته هي اللي عملت فيه كده.. وهو استسهل وبِعد..
وممكن تكون دي تركيبة شخصيته من الأول.. ومراته اختارته أصلًا علشان تقدر تركنه على الرف..
أنا شوفت زوجات بتزق أزواجها شوية شوية بعيدًا عن أبنائهم، وتقوم هي بالدورين (دور الأم ودور الأب): هي اللي تخرج معاهم تجيب لهم اللبس.. هي اللي تسأل عن دراستهم

وامتحاناتهم.. هي اللي تشوف أصحابهم وتتعرف عليهم.. وحاجات تانية كتيرة أوي.. ولما تسألها: «طيب وفين جوزك؟ فين أبوهم؟»، تقول: «هو مش فاضي.. هو مش مسئول.. هو مش مهتم»، رغم إن هي اللي عملت فيه كده، وهي اللي شاركت في كده، وهي اللي حابة ومشجعة كده.
بافكّرك تاني.. إن كل الأطراف مسئولة بدرجة أو بأخرى.. مافيش ضحية وجاني.. فيه حد ظلم..
وحد سمح بالظلم..
وحتى اللي ظلم..
هو نفسه اتظلم في يوم من الأيام.

***

يا كل أم..
سِن الرضاعة ينتهي عند سنتين..
ما ينفعش ترضّعي ابنك طول حياته..
ابنك محتاج يكبر.. سِيبيه يكبر.. اسمحي له يكبر..
مقدّرين خوفك.. وألمك.. ووحدتك أحيانًا..
بس كبران ابنك ونُضجه هو اللي يطمنك ويحميكِ.. مش طيّه.. وتقزيمه.. والالتصاق به..
ما تخليش أول كلمة يقولها ابنك من بعدك: «أعمل إيه؟».
يا كل زوج..
ما تستسلمش لرغبة زوجتك لو حبّت إنها تزُقك بعيد..
ما تستسهلش وتِبعد وتتركن وتتجنب..
ما تسيبش نفسك تبهت ودورك يختفي.
ويا كل ابن..
ما تستناش موافقة حد.. علشان تكبر..
اكبَر.. من غير ما تستأذن حد..
اكبر.. من غير ما تاخد رأي حد..
اكبر.. من غير ما تساوم حد..
ده حقك..
والحقوق تُؤخذ.. ولا تُمنح..
الحقوق تُؤخذ.. ولا تُمنح.

الفصل الخامس:
أُم بالنهار.. زوجة بالليل

(عن الذَّكَر.. ابن مراته)

مشهورة أوي قصة الذَّكَر الشرقي اللي بيبقى عاوز مراته «أم» بالنهار.. زوجة بالليل.. ومشهورة أكتر قصة الذَّكَر اللي يتجوز واحدة طيبة.. خام.. ولا لفّت ولا دارت.. تاخد بالها منه ومن أمور البيت والعيال.. ويعيش هو حياته بره مع واحدة تانية تدلعه وتبسطه وتُشبِع رغباته ونزواته.

في الحقيقة- وزي سابقيه- أنا ما أقدرش أطلق على هذا النوع من الناس كلمة «رجل».. مش علشان اللي بيعمله ده يتنافى مع معنى الرجولة ومفهوم الشرف.. لأ.. علشان هوّ من جواه وفي سراديب أعماقه النفسية، طفل عمره تلات سنوات.. والكلام ده بجد.. مش هزار.

قول لي إزاي؟

أقول لك إزاي.

فاكر موضوع «أوديب»؟ عُقدة الطفل اللي بييجي عند سِن تلات إلى خمس سنوات، ويبقى حاسس إنه رجل كبير جَدير بالزواج «النفسي» من أمه؟ فاكر؟

خليني أكشف لك دلوقت مستوى آخر من مستويات عُقدة أُوديب..

الطفل «الذَّكَر» في السن دي بيكون فيه جوّه عقله نسختين من أمه.. النسخة الأولى هي نسخة «الأم» بمعناها المعتاد.. الست اللي بتهتم وترعى وتخدم ابنها.. اللي ترضّعه وتحمّيه وتغيّر له.. اللي ترتب مكانه، وتنضّف وراه، وتغطيه لما ينام.. أم تقليدية كلاسيكية زي ما الكتاب بيقول.

أما النسخة التانية من هذه الأم (في عقل الطفل) فهي نسخة «الزوجة النفسية».. اللي بيغِير عليها من أي راجل.. اللي بيتضايق لو ضحكت أو هزّرت حتى مع أبوه.. الست اللي عاوز يستأثر بيها لنفسه.. دون العالم كله.. ودي اللي اتكلمنا عليها في الفصل الثاني..

تمام..

بعد شوية بقى من النمو والنضج النفسي.. يتجاوز الطفل هذه المرحلة.. ويقبل ويستوعب إن النسختين لشخص واحد.. وإن هذا الشخص هو أمه.. وأمه فقط.. وتتحل العُقدة.. إلى غير رجعة..

المشكلة فين بقى؟

المشكلة بتحصل لما يقف بعض الأطفال عند المرحلة دي، وما يعرفوش يتجاوزوها.. وأكتر حاجة طبعًا تخليهم ما يعرفوش يتجاوزوها هي إنِ الأم نفسها تشجع الطفل على لعب دور الزوج.. الكبير.. راجل البيت.. زي ما شوفنا في «الذَّكَر.. زوج أمه».

فيفضل الطفل ده مُحتفظ داخل عقله بالصورتين.. صورة الأم.. وصورة الزوجة.

ويكبر الطفل ده.. وهو ما زال شايف الستات بنضارة ذات عدستين.. عدسة الأم.. وعدسة الزوجة.

ويتجوز برضه الطفل ده (لما عُمره الزمني يزيد).. وهو عاوز مراته تلعب دورين.. دور الأم.. ودور الزوجة.

ويبقى الشخص ده زوج أمه «نفسيًّا» قبل الزواج.. وابن زوجته «نفسيًّا».. بعد الزواج..

وأحيانًا بيكون «زوج أمه» و«ابن زوجته» في نفس الوقت طبعًا.

حاجة جِنان والله.

قمة اللخبطة والعك والظلم لجميع الأطراف.
تعالى نشوف الكلام ده هيودّينا لغاية فين.
الراجل اللي بيلبّس مراته دور الأم.. ويدوّر على واحدة بره البيت تلعب معاه دور الزوجة.. هو طفل صغير لم يتجاوز ثلاث سنوات من العمر.
الراجل اللي بيحصل له ضعف جنسي في البيت.. وفحولة جنسية بره البيت.. هو ذَكَر بيتعامل مع «أم» جوّه البيت.. وواحدة تلعب دور «الزوجة» بره البيت.
الراجل اللي أول ما يخطب أو يتجوز يقول لمراته يا «ماما».. ده........ بس خلاص مش هأقول.
تحب تتفاجِئ شوية؟
تعالى نشوف نماذج من كلام الناس لما سألناهم عن أمثلة من سلوك الذَّكَر «اللي بيدور في مراته على أم»:

- **«أمي بتفصص لي السمك ع الرز، هتعرفي تفصصي لي السمك ع الرز؟»**
- **«أنا جعاااان».**
- **إنها تسامحه دايمًا على التقصير والغلط.**
- **يقول لمراته: «يا حاجة.. أو يا ماما».**
- **«أصل انتي بتفهمي في الحاجات دي أكتر مني».**
- **«أمي بتفضل سهرانة مستنياني لو اتأخرت ف الشغل.. ليه انتي ما بتعمليش زيها؟».**
- **تسمع له.. تسامحه.. تتنازل له.. يطلب تشيل عنه كثيرًا من المسئوليات.**
- **يشاركها همّه بس، وفرحه لأ.**
- **يطلب منها تعمل له كل حاجة في حياته، أكل وشرب وغسيل وتنضيف وتربية الأولاد، وهو نايم في الخط.**
- **يهملها ومنتظر منها كل اهتمام.. منتظر منها عطاء بلا مقابل.. منتظر منها غفران لا نهائي.**
- **شوفت نموذج مش قادرة أتحمله.. هي تعمل الأكل والغسيل وتجيب له الشاي وتشتري الخضار وتجيب الصنايعية وتودي وتجيب مدارس وتمارين ودكاترة وكل حاجة.. وهو يقول لها: «الملح زايد.. الصلصة مايعة.. وينكّد على البيت كله».**
- **لمّا يغلط بتبقى مُطالبة إنها تسامحه كحق مُكتسب زي ما أمه بتعمل.**
- **إنها تكون مسئولة عن كل حاجة في حياته، وإنه يخليها تاخد كل القرارات.**
- **عدم تحمل المسئولية، طلب الحب غير المشروط، طلب العطاء بلا حدود والتحمل بغير وعي.**
- **تحمُّل مسئوليته.. أخطائه.. إصلاحه.. تربيته.**
- **أمه؟! تقصد خدامته أو أسيرة عنده.**
- **تضحّي بلا مقابل.**
- **تحبه رغم أخطائه.**
- **غفران طول الوقت.. تفرُّغ تام له.. الأولوية دايمًا له هو.**
- **يقول لها: «أمي كانت بتغسل الهدوم على إيديها.. ليه نجيب أوتوماتيك؟ انتي مش أحسن من أمي».**
- **تحضّر له الفطار الصبح زي الأطفال.**
- **عايزها تأكّله وتشرّبه وتكوي هدومه وتشوف كل مُتطلباته كأنه طفل صغير.**

• ما يعملش حاجة في حياته غير إنه يتخدم منها.. حتى ولاده بيقول لها «ولادك».. وهي اللي تتحملهم من الألف للياء.
• يطلب منها إنها تسيب أهلها وأصحابها وشغلها وكل حاجة تُخصها، ويبقى هو وطلباته كل حياتها.
• ما ينفعش تحاسبه على أي حاجة بيعملها، ولا تطلب منه أي حقوق، وفي نفس الوقت ما ينفعش تقصر في أي واجبات.
• تعلق له هدومه.. تقوم تحضر له فطاره الصبح وهي شِبه نايمة.. أو تعمل له عشا بالليل وهي مرهقة آخر اليوم.. طلبات من نوعية هاتي لي ميّة.. اعملي لي شاي...
• يغضب على الأكل ومطلوب منها تغيره.. تعمل أكل جديد كل يوم.. يستنى منها تدي كل حاجة بلا مُقابل وكأنه فرض وواجب عليها.
• يغلط بحقها كتير، وبيجرحها، ولازم هي تسامحه وتحضنه بعد كل غلطة، كأنها أمه اللي شو ما عمل معا بيضل ابنا وبتحبو.. بيطلب منا شغلات تعملا وهنن مو شغلتا لدرجة إنو مو مُضطر يعمل أي شي بالبيت (لهجة شامية).
• كان بيقول لي صراحة كده: «تعرفي تبقي أمي؟ أنا عايزك تبقي أمي».
• يغضب على أي حاجة ومنتظر إنها تحايله زي البيبي.
• يضربها أو يعاقبها ردًّا على خبرات الطفولة المكبوتة.. يصفي الحساب اللي بينه وبين أمه في مِراته.
• توضّب له هدومه.. تسامحه لمّا يخونها.. ينام وهي اللي تعمل المشاوير.. تقشر له البرتقال.. طول ما هو قاعد تزغّطه.. لما يكون فيه ماتش تخدّم عليه شاي وفيشار.. لو اتأخر أو بات بره تطّمن عليه بس، لكن ما تعترضش.. تلم وراه هدومه المبعترة.
• في بنيته النفسية لا يزال طفلًا رغم كبر سِنه.
• يطلب منها قبول عيوبه والتعايش معها لأنها غير قابلة للإصلاح.. يغضب ويستناها تصالحه زي البيبي.. يقارن نظامها في بيتها بوالدته.. يقارن تربية الزوجة لأبنائهم بتربية الست الوالدة.. يغلط ويغلط ويكرر الغلط ويستناها تسامح وتنسى في لحظة.. يمشي يكركب في البيت ويتصدم لما تطلب منه يبطل لأن الوالدة كانت بتشيل وهي ساكتة.
• يِغير من معاملة مراته لأولاده الصغيرين وطول الوقت يقول لها: «انتي مهتمة بالعيال وأنا لأ».. عاوزها تعامله زي ولاده الصغيرين.
• عايزها تعمل كل حاجة.. تربي له العيل اللي خلّفته لوحدها.. تنزل تصلّح حاجة بايظة.. تقف مع الصنايعية.. تودي وتجيب العيال حتى لو هو مش مشغول ولا مرهق ولا عنده أي إعاقة تمنعه يقوم بأي حاجة.. مهمته إنه يجيب الكام قرش وفي المقابل خدمة ليل نهار.. حتى لو تعبانة.. حتى لو حد من أهلها احتاج لها.. خدمته وراحته محور حياتها.. آه.. وأهم حاجة تفضل حلوة وجميلة وبمود كويس طول الوقت، وجناحات الملايكة بترفرف حواليها لزوم دلعه وكده.
• يعاملها إنها خدامته ومِلكه، مش شريكته في الحياة زيها زيه.
• الاعتماد النكوصي والاستمتاع بكل الخدمات المجانية.
• يقول لها: «الله يمسيها بالخير أمي.. كانت بتعمل لي كل حاجة وأنا مابقومش من على السرير، وعمرها ما اشتكت.. تعرفي تقولي لي انتي بتعملي إيه زيادة عنها؟»

• لأ حضرتك دي بتتقال صريحة كده: «أنا كان نفسي تعامليني زي أمي.. مهما أغلط تسامحيني وقلبك ما يغضبش عليّا»!!

• إنه يخون وهي تسامح.. إنه يظلم وهي تسامح.. إنه يطلب طلبات اعتمادية وهي ترضخ.. إنه يعتبر نفسه طفل مُلزم منها.. مش هي اللي مُلزمة منه..

• إني مسئولة عنه في كل شيء، حتى ماديًّا.. وهو لأ.. مالهوش دعوة بيّا.. مش مُلزم بحاجة.. هو أصغر من أي مسئولية.

• «استحمليني وحبّيني مهما أعمل.. زي ماما كده.. مهما أعمل بتحبني عشان أنا ابنها».. مهما أعمل دي تشتمل على شتيمة وإهانة وضرب وخيانة وقرف.. بس أنا لو بحبه زي مامته هاستحمل.

• هو كان بيقول صراحةً: «أنا أكتر واحد تاعبك في عيالك».

• يطلب أن أكون مثلها في تضحيتها وتشيل كله على دماغها وتضغط على نفسها.. تشتغل وتعدي تاخده من الحضانة وقت ما كان صغير، وترجع تنضف وتعمل الغدا، وتنزل شغل تاني بعد العصر علشان تزود الدخل، وترجع تنضف البيت وتغسل وممكن تدي دروس مثلا.

• أكون دينامو زيها وأعمل مليون حاجة في الدقيقة، وأشتغل بأطرافي الأربعة، وأصحى من النِّجمة.

• يعتبرها مسئولة عنه هو شخصيا وعن رعايته كطفل.. كان يسأل على كل أشيائه من الشراب إلى الباسبور! ومايسألش إيه المطلوب منه أو دوره إيه في الحياة المشتركة.

• «ليه ماصحتِنيش في الميعاد؟».. «جنبك ميّة؟ لأ.. طب عايز أشرب»..

• يرضع.. ده من حق كل راجل يعني!!

• يخونها ويقول لها انتي حاجة وهما حاجة.

• من غير ما يطلب أصلًا.. هي الزوجة لوحدها بتاخد دور أمه أوتوماتيك، لأنها بتشيل مسئوليته زيادة عن اللزوم، وبتراعيه زيادة عن اللزوم، وتدعمه زيادة عن اللزوم، فبالتكرار بيصدق إنها بقت أمه، وبيبقى شخص اعتمادي.. ده غير إنه بعد شوية- وبدون وعي منه- بيفقد شهوته فيها كأنثى.

متهيأ لي كفاية كده..

دي يا سيدى نفسية الذَّكَر «ابن مراته».. اللي لو مراته قادت له صوابعها العشرة شمع.. يقول: كماان.

دي نفسية الزوج.. اللي بيتعامل مع مراته في البيت على إنها «أم».. ويدوّر بره البيت على اللي تمارس معاه دور «الزوجة»..

ودي كمان نفسية المجتمع الذكوري بطبعه.. اللي عنده انفصام مُزمن في الشخصية.. مرة طفل.. ومرة ذَكَر.. ومافيش ولا مرة راجِل..

فضايح.. مش كده؟

معلهش..

ما إحنا بنفضح.. علشان نستُر..

بنكشف.. علشان نشخّص..

بنوجع.. علشان نداوي.

بمناسبة الفضايح..

تسمع عن «الإخصاء النفسي»؟
الإخصاء النفسي معناه إن حد تتلغي رجولته تمامًا.. ولا يبقى منه سوى ذكورته البيولوجية..
أهو بقى الذَّكَر «زوج أمه».. والذَّكَر «ابن أمه».. والذَّكَر «ابن مراته».. كلهم اتعمل لهم هذا الإخصاء النفسي..
كلهم فقدوا رجولتهم، ولم يتبقَّ ليهم منها غير كروموسومات الذكورة..
فقدوها مرة بغياب الأب عن المشهد.. وانفراد الأم بالصورة..
ومرة بسيطرة الأم وتحكُّمها وبلعها لأطفالها.. وزوجها قبلهم..
ومرة بقهر الأب للأم، وللأطفال، وللحياة الأُسَرية كلها..
وتلف الدايرة..
وتيجي الأم بعدها تنتقم..
تنتقم من كل الذكور اللي آذوها وقهروها، في جوزها..
وتنتقم من كل المجتمع الذكوري، في أبنائها..
وتنتقم من نفسها هي شخصيًّا، في زوجات أبنائها..
والكاس لسه داير..
ولسه هيدور كمان..
عليك.. وعليكي.. وعلينا كلنا..
لو ما اتعلّمناش، وما عرفناش، وما وعيناش..
آدينا بنعمل اللي علينا..
وبنحاول..
والله المُستعان.

الفصل السادس:
المملكة التيستوستيرونية

فيه بوست انتشر على فيسبوك من فترة.. بيوصّي الستات على أزواجهم.. ويقول لهم يعملوا إيه من ساعة ما يصحوا من النوم لغاية ما يناموا بالليل..
البوست ده في الحقيقة بيوصف بكل براعة.. يعني إيه ذَكَر «ابن مراته»؛ الفصل السابق..
لما قريت البوست.. حسّيت بمشاعر كتير مُختلطة.. غيظ على غضب على استفزاز.. مع كثير من الاستغراب والتعاطف والإشفاق..
وكان مصدر هذا الغيظ والغضب والاستفزاز، هو إني شوفت بكل وضوح دور المرأة الشرقية (الزوجة هذه المرة- مش الأم) في بناء منظومة الذَّكَر الشرقي.. وتشييدها.. ثم رفعها فوق كاهلها هي شخصيًّا.. وبعدين ترجع تشتكي منه ومن قهره ليها.
شوفت كمان إزاي بيتم استخدام الدين في تنقيح وتجميل وتلميع هذه العملية البائسة، علشان تحقق غرضها وتوصل لهدفها، اللي دفعنا وما زِلنا بندفع تمنه كلنا حتى الآن.. وهنتكلم في ده بالتفصيل في فصل قادم..
ما كنتش عارف أقول إيه ولا أعلق إزاي.. فقررت أصبر.. وأهدَى.. وأستخدم طريقة عِلمية في التعامل مع هذا الموضوع.. وهي طريقة التحليل الكيفي.
يعني إيه؟
أنا هامسك بعض الجمل والمقاطع من البوست.. وأعمل لها تحليل نفسي، يورّينا أصلها إيه وجاية منين ورايحة فين وبتعمل إيه في الستات وفي الرجالة وفي المجتمع.. يمكن نقدر نشوف حاجة جديدة.. تساعدنا على حماية نفسنا من هذا الهراء.. اللي –وبكل أسف- متصدّر لينا تحت غطاء ديني خادع..
هاحاول أكون مختصر ومباشر قدر الإمكان.. وكلامي مش مقصود بيه أي تجريح أو إهانة للي كاتب/كاتبة البوست (اللي أنا ما أعرفهوش/ ما أعرفهاش).. لكنه نوع من النقد الأمين، من طبيب متخصص ومهتم جدًّا بالنفس البشرية، مع كل الاحترام لكل الأشخاص وجميع الآراء..
شوف يا سيدي..
– «قومى قبل جوزك من النوم بنص ساعة كده اغسلي وشك وسنانك وسرحي شعرك وحطي ميك اب خفيف.. بلاش تسيبي نفسك شبه الغوريلَّا».
الجُملتين دول بيوصّلوا للست في بداية الكلام إن هذا الشخص اللي نايم جنبها أهم منها.. يعني ما ينفعش حتى إنها تصحى من النوم في نفس الوقت اللي هو يصحى فيه.. إزاي يعني؟ ليه؟ وهل تجرؤ تعمل كده؟ مش بس كده.. ده من أهميته، لازم يصحى الصبح يلاقي في وشه عروسة.. على سِنجة عشرة.. مش باين عليها أي أثر لنوم أو تعب أو سهر.. إنما هو يصحى عادي (لا مؤاخذة بعماصه وريحة عرقه ولخبطة شعره).. وهي مطلوب منها تشوف ده وترحّب بيه وتضحك في وشه.. بيقولوا لها بلاش تسيبي نفسك شبه الغوريلَّا.. لكن مافيش أي مشكلة هو يبقى شبه إيه؟!
– «شغّلي قرآن»:
في رأيي إن الجملة دي رغم حُسن النية اللي وراها وطيب الفعل اللي بتحض عليه، إلا أنها بتصبغ الكلام اللي فات -وكمان اللي جاي- بصبغة دينية.. وده في منتهى الخطورة.. لأنه بكل بساطة هيوصل لكل البنات والستات اللي هيقروا الكلام ده، إنه من الدِّين، وفي اتجاه طاعة الله..

بالمناسبة (علشان ماحدش يزايد).. أنا مُسلم، وحفظت القرآن كله وأنا صغير، وباستشهد بيه في كلامي أحيانًا.. لكني باغِير على ديني وعلى كتاب ربنا من مثل هذا الافتراء.. عمر ما تشويه النفس وسحقها وإهانتها ومعاملتها بأقل من قدرها ما كان من الدين في شيء..

– «جهّزي الشاي والفطار الخفيف.. كيك، بسكويت، جبنات، بيض، عصير.. الموجود، يعني ماينزلش على لحم بطنه.. اتقي الله»:

في رأيي إنه مافيش أي فرق بين الجملة دي، وبين «حضّري له الرضعة» أو «جهّزي له البيبرونة» قبل ما تسيبيه وتغيبي عنه شوية يا حبيبتي.. طيب هو ليه جوز حضرتك لما يصحى في أي وقت مايعملش فطاره بنفسه؟ وليه مايتعبش نفسه شوية ويفتح التلاجة ويحط حتة جبنة في نص رغيف؟ وإيه اللي يمنعه من إنه يحضّر الأكل لنفسه ولمراته يوم ويوم؟ أقول لك أنا إيه اللي يمنع.. الكلمتين الأخيرتين.. بتقول لها: «اتقي الله».. يعني من وجهة نظر هذا الكلام، حضرتك هتكوني مُقصرة في حق ربنا لو ما صحيتيش الصبح قبل جوزك، وأخفيتي آثار التعب والسهر وطلوع العين، وجهزتي له الكيك والبسكويت والعصير (اللي هتكوني سهرتي بتعمليهم طبعًا).. هتكوني مش بتتقي ربنا.. هترتكبي ذنب كبير.. ما أعتقدش إن فيه إساءة استخدام للدين أكتر من كده..

– «حضّري له الحمّام، يعني غياره والبرنس والفوطة، واملي البانيو لو عندك يعني ولو فيه وقت»:

الجملة دي بتدعو الرجالة لحالة لطيفة ظريفة من الوجود البشري اسمها «نكوص-Regression».. يعني الرجوع للخلف في سلم التطور النفسي لغاية المرحلة السنية اللي كانت فيها مامته- لا مؤاخذة- بتحَمّيه وتنشّفه وتغيّر له وتلبّسه هدومه.. دي بالنسبة له جنة الأرض.. اللي الأكل والشرب والهوا والمية بييجوا له فيها لغاية عنده، وهو مُستلقٍ مُسترخٍ مُستسلم لا يُحرك ساكنًا ولا يبذل مجهودًا.. حالة مزمنة من «النطاعة» والعربدة الإنسانية تحت مُسمى الرجولة..

بالمناسبة مافيش حد (ذكر أو أنثى) ماعندهوش الاستعداد لهذا النكوص التطوري (مجرد الاستعداد).. لأنه مُمتع ولذيذ ومافيهوش أي مسئولية ولا جهد ولا تعب.. لكن قليل من الرجال همَّ اللي قدروا يتخطوا قوة هذا الجذب الشديد للخلف بكل متعته وسرمدية وعوده، وقدروا يكبروا من جوه زي ما كبروا من بره، ويتحولوا إلى بني آدمين عندهم إحساس حقيقي بالآخر وقدرة على وضع نفسهم مكانه..

خطورة ده إنه حتى لو ماكانش الذَّكَر في «نكوص» كده جاهز.. فانتي هتحركي ده فيه وتغازليه وتطلعيه منه بمُنتهى السلاسة والحرفنة.. واستحملي بعد كده اللي هيحصل.. وما تشتكيش.. ماهو مين هيلاقي دلع وما يتدلعش..

الجملة دي برضه بتداعب جوه الستات غريزة الأمومة، والرغبات الكامنة الدفينة جوه كل ست في إلصاق مولودها جنبها، واعتباره جزءًا لا يتجزء منها، ولو طالت ترجّعه بطنها تاني علشان تحميه وتطمنه فلن تتردد، لكن برضه بعض الستات قدرت تتجاوز ده، وتقبل إن ابنها انفصل عنها بالفعل بمجرد ولادته منها، وإنها ما ينفعش تبلعه جواها تاني..

الجملة دي كمان بتغوي المرأة بدور المنقذ.. اللي هو بيبذل ويمنح ويعطي على طول الخط.. اللي مش بيدي حتى فرصة للي قدامه إنه يحس باحتياجاته الإنسانية العادية.. لأ.. ده هي بتلبيها له من قبل ما يطلبها.. فيفضل مُعتمد عليها.. وما يستغناش عنها (في دور الأم/ المُنقذ)..

ويستمتع أكثر بنكوصه وعدم مسئوليته وصغر سِنه النفسي.. طبعًا دور المنقذ ده بيتحول بعد شوية لدور «الضحية» اللي بتكون استنفدت كل طاقتها ومجهودها ووقتها ومشاعرها في سبيل طفل كبير نقل اعتماديته من أمه إلى زوجته..

– «ادخلى بقى صحّيه.. بس احذري الصوت العالي وشد الغطا»:

طبعًا بعد كل الفصول الهزلية السابقة ممكن صاحبنا دلوقت يصحى من النوم.. بس استني.. إوعي الصوت العالي يا حبيبتي، علشان ما ينزعجش.. لكن انتي تصحي بدري ويتقلق منامك في الشتا والبرد مافيش مشكلة.. تجهزي له حمّام دافي بعد ما تجهّزي له الكيك والبسكويت والعصير.. تمام..

خدي بالك رايحة فين؟

إوعي تشدي الغطا.. أحسن يبرد يا اختي.. أحسن يستهوى.. أحسن يطلع بيتضايق من الحركة دي.. أحسن يغضب عليكي.. أحسن يقفش منك..

تأصيل قميء وتواطؤ خبيث لحصر دور المرأة/ الزوجة الاجتماعي في ركن ضيق جدًّا، مالهوش أي وصف غير التحقير والاستغلال والعبودية..

– «..... ارفعي الغطا بالراحة»:

طيب.. أنا هاسيبكم انتم تعلّقوا على الجزء ده.. لأن حيائي يمنعني من التلفُّظ بألفاظ مُعينة في هذا السياق.. ومهم- جدًّا- إنها ترفع الغطا بالراحة علشان ما يتخضش..

– «وهو في الحمّام تكوني مجهزة هدومه، ولمّا يخرج ساعديه يلبس، مش عيب تلبّسيه الشراب»:

تمام.. وصلنا لمرحلة تلبيس الشراب..

طبعًا أنا عارف الردود الجاهزة اللي عند كتير من الرجالة (والستات للأسف): وفيها إيه لمّا الست تعمل كده؟ مافيش بين الراجل ومراته كسوف.. مافيش بيني وبين جوزي كرامة.. ما هو برضه ممكن يعمل كده لما أكون تعبانة أو يكون بيدلعني.

وهنا لنا وقفة..

كتير من الرجال (والمقصود الذكور) بيشجّعوا بوست زي ده وشايفينه بيوصف الزوجة المثالية، وأول خط دفاع عندهم هو آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة أُسِيء فهمها وتأويلها واستخدامها.. والأدهى والأمرّ إنهم يقولوا: وأنا برضه ماعنديش مانع أساعد مراتي وأعمل معاها كل ده..

ثانية واحدة بقى..

حضرتك بتعمل ده لما تكون شايفها تعبانة؟ صح؟ لما تكون شايفها مش قادرة تستحمل؟ مش كده؟ بتعمل كده من قبيل المساعدة ساعات.. والدلع ساعات.. والتقرب والتودد ساعات.. لكن.. اسأل نفسك كده: هل أنت ممكن تعمل ده بشكل يومي؟ ممكن تعتبره جزء من مهامك الحياتية؟ هتقول لي بس أنا باشتغل ومراتي لأ.. طيب ولو مراتك بتشتغل، هل عندك استعداد تعمل ده بشكل يومي كجزء من مهامك الحياتية؟ طبعًا لأ.. عندك استعداد تقسّم معاها أيام الطبخ والكنس والمسح والاهتمام بالأولاد؟ عندك استعداد تصحى الصبح قبلها بنص ساعة وتستحمى وتنضف نفسك وتجهز لها الفطار وتصحيها بصوت واطي وما تشدش الغطا.. وتعمل ده كل يوم.. كل يوم؟ طبعًا هتقول لي آه ممكن أعمل ده كله.. هأقولك ممكن تعمل كل ده «أحيانًا»، لو هي «مش

قادرة»، أو لو هي «عيانة»، من قبيل «المساعدة».. أو بنية «العطف» أو «الرفق» أو «الحنان».. مش من قبيل فهم تام إن ده حقها.. وقناعة خالصة إن ده كله مش شُغلتها أصلًا..
أنا يؤلمني جدًّا الراجل اللي يرفض يعمل كل ده، ويكون مبرره -زي ما باسمع حرفيًّا- إن «الراجل راجل والست سِت».. لكن ده مش بيخوّفني.. اللي يخوفني فعلا هو الراجل اللي يعمل أي حاجة من دول من قبيل «المساعدة» أو بنيّة «العطف» أو «الرفق» أو «الحنان».. ليه؟ لأن معنى كده إن الراجل ده شايف إن مراته كائن «يستدعي المساعدة».. مش بني آدم زيها زيه لها نفس الحقوق والواجبات.. شايف إنها بتشقَى وتتعب علشانه وعلشان راحته.. فمافيش مانع إنه «يحِن» عليها في بعض الأوقات ويمد إيده الكريمة معاها.. شايف إن وظيفتها خدمته.. فبيعطف عليها ويساعدها «في خدمته».. ده شكل ماكر جدًّا من أشكال العبودية.. اللي فيها «السيد» بيرحم العبد وبيحِن عليه.. وده لا يصلح إلا في العلاقة بين السيد والعبد.. مش بين شركاء الحياة.. الفيصل الحقيقي هنا الإجابة على السؤال.. هو بيعمل ده ليه؟ إنت بتساعدها من قبيل إيه؟ من قبيل شراكة، ولَّا من قبيل عبودية؟ من قبيل اعتراف بإنسانيتها وحقوقها، ولَّا من قبيل عطف وحنان عليها؟ من قبيل استعدادك الحقيقي من جوّاك إنك تبقى بني آدم كبير مسئول، ولَّا من قبيل شوية دلع وطبطبة وترجع مكانك تاني؟
فرق كبير أوي.. أوي..
– «مش هيقلّل من قيمتك يعني إنك تتفرجي عليه وهو بيسرح.. إنك تختاري له البرفان اللي يحطه.. إنك تُعجبي بيه وتقولي له كلمة كويسة.. مش هتخسّي حاجة والله.. افردي له سجادة الصلاة، والله هتاخدي ثواب»:
ده الكلام اللي يتوصف بإنه حق يُراد به باطل.. طبعًا هو مش هيقلل من قيمتها ولا أي حاجة.. بس إيه الرسالة اللي عمّالة الست دي توصّلها لجوزها من ساعة ما صحي الصبح؟ هي رسالة قصيرة مفادها: «أنا هاعمل لك كل حاجة.. هادّيك كل حاجة.. هادّيك نفسي ووقتي ومجهودي وتعبي.. أنا أتعب وأنت ترتاح وتنام.. أنا أشتغل وأنت تاخد حمّامك الدافي.. أنا مِلكك وأنت الحاكم بأمري.. أنا أموت وأتدفن بالحيا.. وأنت تعيش يا حبيبي وتتهنى».. وعلشان نضيف اللمسة الدينية مرة أخرى.. يبقى افردي له سجادة الصلاة..
حسبي الله ونعم الوكيل.
– «وهو بيصلّي حُطي الفطار ع السفرة.. حضّري جزمته نضيفة ومتلمعة.. افطري معاه.. وصّليه لحد الباب.. بوسيه طبطبي عليه ادعي له قولي له هتوحشني ماتغبش عليّا.. والله هيرتاح نفسيا ويشوف شغله ببال رايق وهيبقى ملهوف يرجع علشان محتاج حِنيتك»:
فيه ملاحظة متكررة هنا بشكل مزعج.. وهي إنها ما تعملش حاجة وجوزها قاعد قدامها.. هي في الأول بتجهز نفسها وتحط ميك اب وهو نايم، وبعدين بتجهز الفطار وهو في الحمّام، ودلوقت تحضّر الجزمة وهو بيصلي.. ده طبعًا علشان ماتزعجهوش.
لأنه ما ينفعش باله يتعكّر بالشغل اللي هي بتشتغله «علشانه»، ولا ينفع يشوفها تعبانة ومطحونة قدامه، أحسن يحس بالذنب أو التقصير.. هو يشوفها عروسة حاطة ميك اب وبس.. غير كده يبقى من وراه.. مش في وشه..
- طيب وفيها إيه لما الست تعمل لجوزها كده؟
- مش هارد..

– «بعد ما ينزل نامي ارتاحي، بس اعملي حسابك تقومي قبل ميعاده بوقت مناسب، روّقي بيتك وحضري أكلك والبسي وسرحي شعرك وحطي برفان واتمكيجي ورشي مُعطر جو أو ولّعي عود بخور، واستقبليه بابتسامة مهما كنتي تعبانة.. ومهما كان فيه مشاكل، خبّيها لحد ما يرتاح»:
تاني وتالت وعاشر.. بيقولوا للست انتي مش من حقك تبقي بني آدمة.. مش من حقك تتعبي وتعبري عن تعبك قدام الملك المتوج، والسلطان المعظم، الساكن عندك في البيت.. عاوزة تنامي يبقى في غيابه.. عاوزة تتعبي يبقى تسكتي وتتكتمي.. ولو فيه مشاكل خبيها لغاية ما مزاجه يتعدل.. أعتقد إنها لو متعورة أو عندها مغص أو تسمُّم بلاش تقول له برضه أحسن يتضايق ويزعل.. وده يخليه يغضب عليها.. وينام زعلان وقلقان.. وقد يصب عليها لعنات لا تنتهي..
طبعًا واضح إن البوست بيفترض إن الست ما تشتغلش، لأن الشغل ده مهمة الرجالة.. إنما الستات شغلها البيت.. وخدمة سيدها..
– «قدمي الأكل بشكل يفتح النفس.. زوّقيه وحطي جنبه عصير فريش برتقال يوسفي تفاح لمون فراولة كنتالوب كيوي.. أي فاكهة عندك»:
طيب ولو ما حطتش العصير؟ أو نسيت الكنتالوب؟ طيب لو اتأخرت في عمل الأكل؟ طيب لو كانت تعبانة وماعملتش أكل اليوم ده؟ طيب لو نسيت تزَوّق الأكل؟
-«ماتسأليهوش مالك.. بصي له وخليه يشوف السؤال في عنيكي بس مش عاوزة تتكلمي.. حسّسيه إنك قلقانة عليه.. لما يتكلم ويحكي لك ماتسخنيهوش.. اسمعي منه وخليكي عاقلة.. اعرفي الوقت المناسب للطلبات وحدود الطلبات على قد إمكانياته»:
الكلام ده بقى بيرسّخ «تاني» لمفهوم «الزوج السيد».. اللي يتحسب له ألف حساب قبل ما حد يكلمه.. اللي يتخاف من توجيه الكلام ليه بشكل مباشر.. اللي لازم يكون فيه توقيت للكلام.. وحدود للطلبات.. مش تفاهم وأخد وعطا وشراكة متبادلة في الرؤيا والتقدير والتصرف.. وطبعا وصف كل ده بـ«خليكي عاقلة» دي مصيبة لوحدها..
الفقرة دي فقرة أبوية ذكورية بامتياز.. ما تكلمش يا حبيبي بابا وهو جاي من الشغل.. ما تطلبيش يا حبيبتي حاجة من بابا دلوقت..
الفقرة دي بتحجُر على حق المرأة في السؤال.. حتى السؤال.. مجرد السؤال.. اللي هتستنى إن زوجها المُبجل يشوفه في عينيها من غير ما تتكلم..
عارفين إيه السؤال المقصود هنا.. «مالك؟».. ماتسأليهوش «مالك؟».. بس..
– «في كل الأحوال جمالك مش بس إنك راسمة عينيكي حلوة، جمالك في هدوئك وطيبة قلبك ونضافتك وريحتك.. استغلي كل إمكانيات البيت في تزيينه من غير تكاليف مرهقة.. خلي دايما ليكي بصمة، كلمة، حركة، يفضل فاكرها ومعلّقة في باله، مثلا تعاكسيه بطريقة غريبة زي إنك تغمزي له أو تموري منخيرك كده يعني»:
تعليقي هنا هو جملة الفنان أحمد مكي في فيلم «طير إنت»: الكبير لازم يتظبط.. وبعدين.. هينزل عليكم..
– «ركزي بقى في اللي جاي لأنه السحر الحقيقي.. لما يزعلك ماترديش كلمة بكلمة.. عِدّي في سِرك لحد ١٠٠.. وبعدين بُصي له بلوم.. لما تناموا خدي راسه على صدرك واقري قرآن وادعي له بصوت هامس بس مسموع.. لو زعّلك وجِه يعتذر ماتسمحيلوش يعتذر.. قولي له ما تعتذرش.. بمجرد ما طبطبت عليّا قلبي صفي لك، أو ما أقدرش أزعل منك»:

يعني لما يزعلها ما تردش.. لأ.. دي تعِد في سِرها لحد ١٠٠.. آه أمال إيه.. علشان يكون قال لها كل اللي عنده وهي ساكتة.. وكمان إيه.. لو جِه يعتذر لها ما تسمحلهوش يعتذر..
ده باختصار شديد اسمه استباحة نفوس الناس.. يعني أسمح لنفسى إني أؤذي حد.. وأحرمه من مجرد الرد.. أمنع عنه حق الدفاع والتوضيح وأخذ الحق.. طيب افرض أنا غلطان؟ افرض أنا مجنون؟ افرض أنا مُشوّه نفسيًّا؟ تستحمل هي ليه وتكتم وتكبت لغاية ما تتشوه نفسيًّا هي كمان؟ افرض هو جبار ومُفتري؟ افرض هو ظالم؟ لأ بلاش.. افرض هو إنسان طبيعي؟
انتم عارفين لو إنسان طبيعي تمّت معاملته بالطريقة دي هيحصل له إيه؟ هيعدّي كل شوية حدوده.. واحدة واحدة.. لغاية ما يتحول لأسوأ وأظلم إنسان في الدنيا.. وساعتها يبقى له حق.. لأنه مالقاش حد يقول له «لأ» ويوقّفه عند حده..
بالمناسبة.. من ضمن الاحتياجات النفسية الأساسية اللي بنتولد بيها «احتياج إن حد يقول لي لأ عند اللزوم».. انتم كده بتخلقوا وحوش آدمية تَعِيث في نفوس زوجاتها فسادًا..
إستني لحظة.. لسه..
ده لما تناموا خدي راسه على صدرك واقري قرآن وادعي له بصوت هامس بس مسموع..
بعد كل ده!!
شوفتوا استخدام للقرآن وللدين أسوأ من كده؟
شوفتوا دفن للنفس في مقبرة مكتوب عليها شعارات دينية وآيات قرآنية بالشكل ده؟
شوفتوا وَأْد علني صريح بيّن.. لكن في صورة دينية روحانية شيك كده؟
أستغفر الله العظيم..
– «البسي خلخال في البيت... أخيرًا.. حافظي على صلاتك ودايما شغلي قرآن في البيت.. من الآخر وبالبلدي: انتي أم وأخت وبنت وحبيبة وعشيقة قبل ما تكوني زوجة»:
وجت دلوقت فقرة آخر الليل.. اللي هتلعب فيها سِت الستات دور جديد (بعد الأم والأخت والحبيبة)، دور تطلّع فيه أنوثتها وفتنتها ورقتها لشهريار عصره ودون جوان زمانه.. قبل ما ينام، وتصحى هي تاني يوم قبله بنص ساعة تجهز نفسها.. لدفن.. ما تبقى منها..
وينتهي البوست..

***

عارفين إيه أكتر حاجة توجع في البوست ده؟
هي مدى انتشاره وانتشار ما فيه من تشوّهات فكرية في مُنتهى البشاعة..
عارفين إيه اللي يوجع أكتر؟
كمية الرجالة اللي مؤمنة بالكلام ده.. وشايفين إن دي الزوجة المثالية.. وماعندهمش أي شك في كده.. واللي نصهم بيقول إني باكتب الكلام ده علشان أجمع مُعجبات.. وإني كده هاخلي الستات تتمرد على الرجالة «بنفس منطق العبد اللي هيتمرد على سيده»..
عارفين إيه اللي يوجع أكتر وأكتر؟
إن الكلام مكتوب بصياغة واحدة سِت.. وموجّه للستات.. وإن كمية الستات اللي مقتنعات بالكلام ده وبيدافعوا عنه.. وفاكرينه من صحيح الدين.. وسمو الخلق.. كبيرة جدًّا..
أنا في مُمارستي الإكلينيكية باسمع ستات بتقول لبناتها: «ما ترديش على جوزك.. ما تعلّيش صوتك على صوته.. ما تناقشيهوش.. انتي مش من حقك تحاسبيه على أي حاجة.. هو الراجل.. انتي شغلك البيت والعيال وبس.. انتي مش زيك زيه»..

وباسمع جُمل من قبيل: «لو بص بره.. شوفي نفسك مقصرة في إيه».. «خدي بالك من نفسك، حتى لو هو ريحته تقرف».. و«خليكي عارفة.. ماعندناش حاجة اسمها طلاق»..
وعلى الجانب الآخر باسمع إيه من الذكور بقى: «مش بتعرف تمتص غضبي يا دكتور».. «مش بتغيّر وتلوّن من نفسها علشان ماأزهقش».. «ده مش ناقص غير إني أنا اللي أغيّر للعيال»..
مشكلة البوست ده إنه مش مجرد بوست.. دي معتقدات مجتمعية راسخة بتتوارثها أجيال من بعد أجيال.. صور ذهنية وعقلية ثابتة بيوصّلها الآباء و«الأمهات أكتر» لبناتهم، ولأولادهم طبعًا، عن ما قرروا تسميته ظلمًا وبُهتانًا «الست الشاطرة» و«الزوجة الناجحة»..
علشان كده الرجالة هنا مظلومين زي الستات بالظبط.. ماهو ده اللي شافوه.. وماعرفوش غيره..
مشكلة الكلام ده إنه مصبوغ بصبغة دينية مُحكمة.. تخلّي أي حد يحاول نقده، يظهر وكأنه بينقد «الدين» نفسه.. رغم إن الدين منه بريء كل البراءة..
البوست ده يصنع ألف فرعون في بيته..
يصنع مليون طفل كبير..
يصنع مليار ذَكَر شرقي..
ماحدش يقول لي الراجل لو شاف ده من مراته هيقدّرها ويحبها ويحترمها.. بلاش نضحك على بعض.. الراجل لو شاف ده من مراته إما إنه هيتعوّد عليه ويعتبره حق مكتسب لا غِنى عنه ولا رجوع فيه، وإما هيبدأ يدوّر على زوجة بجد «مش أم» بره البيت، أو- بالكتير- هيعطف أحيانًا.. ويحِن أحيانًا أخرى.. ويمد إيده يساعد.. من باب كرم السيد على العبد.. مش من باب الآدمية والإنسانية وحقوقهما..
البوست ده يُفشل ألف زواج..
يُضاعف معدلات الطلاق أكتر ما هي متضاعفة..
يهد البيوت أكتر ما هي مهدودة.
وماحدّش برضه يقول لي طيب ما هو ممكن الست تعمل كل ده وهي راضية ومبسوطة وحاسة إنها بترضي ربنا.. لأ.. هو ده اللي وصلها.. هو ده اللي هي متصورة إنه صح.. علشان أنتم حاولتم بكل طرق الإقناع والإيحاء والضغط المجتمعي تخلوها تصدق إن دي صفات الزوجة الصالحة.. ودي مقومات الست الشاطرة.. وإنها لو ماكانتش كده.. يبقى لازم تحس بالذنب واللوم وجَلْد الذات من نفسها ومن اللي حواليها..
البوست ده يؤسس لمملكة ذُكورية فاشية..
وعالم تيستوستيروني عنصري..
وأرض مليئة بالموؤودات من الإناث..
البوست ده بيعلّم ولادنا وبناتنا إن البشر مش سواسية.. لأ.. فيه طبقة أدنى اسمها «الإناث» كل وظيفتها خدمة ومُتعة والعمل على راحة طبقة أسمى اسمها «الذُكور»، مهم جدًّا أن ترضى، وتشبع، وتنعم..
بيعلّمهم إن الستات تشتغل وتسكت وما تشتكيش.. والرجالة تنام وتاكل ولا مؤاخذة..
وبيعلّمهم إن كل ده من الدين..
ومين بقى اللي بينقل لهم كل ده؟ ياريته الراجل بس.. يا ريته الذَّكَر لوحده.. لأ ده كمان بكل أسف.. الأم.. المرأة.. الأنثى نفسها..

فلتنسَ كل أنثى أحلامها وطموحاتها وشغلها ومذاكرتها وقراءاتها وهواياتها وخروجاتها وحياتها كلها..
فلتنسحق في ضِل راجلها اللي هو أحسن من ضِل حيطة.. واللي ما يعيبهوش غير جيبه.. واللي هو الضهر والأمان والسند، مش سندها نفسها وتعليمها وشُغلها وموقفها من الحياة..
فلتكتم صوتها ولتتنازل عن حقوقها وتنتظر نظرة عطف أو يد إحسان من رجل قرر إنها تعبانة فحب يساعدها.. مش صدّق إنها إنسانة راسها براسه..
اظلموا بناتكم وأخواتكم وزوجاتكم.. وهيئوا ليهم إن ده النجاح ودي الحياة..
خلوهم ينكروا احتياجاتهم.. وينسوا إنسانيتهم.. ويضيّعوا سنين عمرهم..
فهّموهم إن الجواز في حد ذاته أهم هدف.. وإن فستان الفرح أهم حلم.. وكويس إنك لقيتي واحد يرضى بيكي ويتجوزك..
علّموهم إن الأنوثة ضَعف وذُل وانكسار.. وإن الرجولة خشونة وقسوة وافتراء..
خلوا البنت تخدم أخوها.. والولد يبقى صاحب الكلمة في البيت..
قولوا لها إن كل دورها في الحياة إنها تبقى خدامة الصبح ومَطيّة بالليل..
وإن وجودها نجاسة.. وحركتها فتنة.. وصوتها عورة..
كرّهوا البنات في جسمهم وحسسوهم إنه عار.. هينوا جمالهم وحسسوهم إنه ذنب..
ولو حد قرب من واحدة فيهم.. إوعى تتكلم.. إوعى تشتكي علشان الفضيحة..
إنما هي.. مش مهم..
لخبطوا مُخهم وشوّهوا نفسياتهم..
لغاية ما يصدّقوا كل ده.. ويتحوّلوا إليه.. ويستمتعوا بيه..
لغاية ما يستعذبوا القهر.. ويدمنوا الألم.. ويستمرئوا المَذلة..
لغاية ما يعلّموا هما كمان أولادهم إن ده الطبيعي.. ويعلّموا بناتهم إن ده الصحيح..
هاختم الفصل ده بجُملة شهيرة للشاعر مُريد البرغوثي:
«عدو المرأة الحُرة ليس الذَّكَر المُتعالي فقط، بل عدوّتها أيضًا المرأة الراضية بالعبودية»..
رحمتك يا رب..

الفصل السابع:
الديناصور

(عن الذَّكَر.. أبو مراته)
خلينا نلخّص اللي فات..
عندك ذَكَر «زوج أمه».. الذَّكَر اللي أمه استبدلت أبوه بيه.. وبتتعامل معاه على إنه زوجها النفسي.. وبتغِير عليه حتى من مراته..
عندك كمان ذَكَر «ابن أمه».. اللي أمه مسحت شخصيته.. وبلعته/ رجّعته جوه بطنها تاني.. تختار مكانه.. تقرر بالنيابة عنه.. تتكلم أحيانًا بدلًا منه.. وهو مِسَلِّم ومستسلم لقيادتها تمامًا..
وعندك الذَّكَر «ابن مراته».. اللي استبدل أمه بمراته.. مستني منها الخدمة من أجل راحته.. والتضحية من أجل إسعاده.. والتفاني من أجل رضاه..
وورا كل دول (واللي جاي زيهم) فيه أب.. إما قاهر وقاسي وظالم.. وإما منسحب وباهت وغائب.. وأم.. إما مقهورة ومظلومة ومُستضعَفَة.. وإما حاكمة ومسيطرة وملتهمة.. ولا سبيل لأي اعتدال..
والآن..
سيداتي آنساتي سادتي..
وصلنا وبكل فخر.. للصورة النمطية التقليدية الأسطورية.. للمادة الخام.. للماسورة الأم.. للنبتة الحقيقية والبذرة الأصلية.. للتجسيد الحي الذي تم استنساخه آلاف- بل ملايين المرات.. في روح ونفس كل ذَكَر شرقي مُنقرض..
أقدم لكم: سي السيد..
السيد أحمد عبد الجواد.. الديناصور الشرقي في أزهى عصوره.. والحفرية الصامدة في وجه الاندثار.. الشخصية اللي قدر العبقري نجيب محفوظ يلخص فيها أهم جوانب الذكورية الشرقية بكل بساطة وإبداع.. واللي قدر من خلالها يقرأ باختراق مذهل وشفافية تامة واقع هذا المجتمع.. وازدواجيته.. ونرجسيته.. ونظرته وتعامله مع نفسه.. ومع المرأة.. ومع الرجل..
شخصية سي السيد، بتقدم لينا النوع الأشهر، وربما الأكثر انتشارًا على الإطلاق من الذكورية الشرقية.. واللي مافيش ذَكَر شرقي واحد من كل الأنواع السابقة ومن غيرها، مافيش جواه- بشكلٍ ما- على أحد مستويات تركيبته، نسخة- كبرتْ أو صغرتْ- من هذا الـ«سي السيد».. مهما بدا منه من تحضُّر أو تنوُّر أو ليبرالية..
باختصار وبدون إسهاب.. الذَّكَر «سي السيد» ليه وجهين..
الوجه الأول هو الفصل اللي فات «الذَّكَر ابن مراته».. والوجه الآخر هو الفصل ده «الذَّكَر أبو مراته»..
إزاي؟
خليك معايا..
سي السيد من ناحية هو «ابن مراته».. لأنه -زى ما شرحنا- بيخليها تقوم معاه بدور الأم اللي ترضّع وتغيّر وتنضّف وتطبخ وتغسل وتمسح.. بس في نفس الوقت، ومن الناحية التانية -ويا للعجب!- هو برضه «أبو مراته».. اللي بيلعب عليها دور الوصي.. اللي يقول لها تعمل إيه وماتعملش إيه.. اللي بيصرف عليها.. اللي ما تقدرش تخرج من غير إذنه.. اللي بياخد كل القرارات.. اللي لازم يكون راضي عنها.. واللي لو زعل منها يعاقبها..

جزء أصيل من الذكورية الشرقية هي تلك السلطة الأبوية اللي بيمارسها الذَكَر على مَن حوله.. على أخته، على أخوه الصغير، على أمه أحيانًا، على مراته أكيد، وعلى أولاده جدًّا.. سواء الذكور أو الإناث..
وطبعًا أحد أهم الأسباب (وربما السبب الأساسي) اللي بتخلي طفل ولد يطلع «سي السيد» لما يكبر، هو إنه يشوف أبوه بيمارس هذا النوع من الذكورية الشرقية مع أمه.. يشوفه بيعاملها على إنه عائلها وسيدها.. مُثيبها ومُعاقبها.. سَبعها وجَملها.. ويشوف كمان هذه الأم -من ناحيتها- خايفة منه.. مُتلعثمة في الكلام قصاده.. وجودها مُنمحي بوجوده.
الطفل ده مش بس هيقلّد أبوه بوعي.. لأ.. هو هيتقمصه تلقائيًّا بكل ذرة في عقله الباطن.. هيتحول إلى نسخة طبق الأصل منه.. وفي الحقيقة هي مش بتكون طبق الأصل بالظبط.. هي عادة بتكون أسوأ وألعن من الأصل بمراحل.
فيه حاجة تانية بتدعم دور السلطة الأبوية الذكورية الشرقية «السي- سيد- ية» على المرأة في مجتمعاتنا.. وهي وإن كانت تبدو في ظاهرها من دواعي الرفق واللين.. لكنها في باطنها- من وجهة نظري- شكل آخر من أشكال الوصاية والفوقية.. اللي هي مجموعة النصائح والتوصيات والتوجيهات المجتمعية اللي من عينة: «خلي بالك منها دي ست مكسورة الجناح».. «ماتحاسبهاش على كلامها دي واحدة ست».. «معلهش انت عارف الستات عاطفيين شوية»..
وكلها اعتقادات ومُمارسات تؤصّل وبشدة لتمييز الرجل.. وتفوقه.. وعلو شأنه.. للدرجة اللي تخليه يمُنّ.. ويقلل من.. ويستضعف.. تلك القاصر.. اللي هي أدنى منه في كل شيء..
يا سلام بقى لما الذَّكَر «أبو مراته».. يرتبط بواحدة بتدور في جوزها على «أب».. يرشدها، يحميها، ينصحها، يحسسها بالأمان (الناقص المشروط- اللي هو أصلًا شعور داخلي ماينفعش حد يحسّسه لحد).. كده تبقى كملت.. واتظبطت.. واتحققت نظرية «Key and Lock» في العلاقات؛ «يعني القفل ده مش هيفتحه غير المفتاح ده»، وربنا يوفق الجميع..
عندك كمان بعض الموروثات الثقافية اللي بتدعم هذه الوصاية الذكورية على الأنثى.. زي مثلًا حق الرجل المُكتسب في «تقويم» زوجته.. وحقه في «تأديبها».. وحقه في «عقابها».. ده فيه بعض الآراء القديمة بترى إن المرأة لا يجب أن تنادي زوجها باسمه مباشرة، وأنه: «لَابُدَّ مِنْ لَفْظٍ يُفِيدُ التَّعْظِيمَ كَـ: يَا سَيِّدِي وَنَحْوِه»- كتاب الدُّر المُختار لابن عابدين.
كل الحاجات دي بقى تتجمّع مع بعض.. وتتخلط.. وتعمل لينا «سي السيد أحمد عبد الجواد».. اللي ما هو إلا مرآة عاكسة وكاشفة بصدق عن ذكورية هذا المجتمع..
ذَكَر مقسوم نصفين.. نصف شديد وقاسي ومُتسلط على امرأة «في البيت».. ونصف ذليل وخاضع وخاشع لامرأة أخرى «بره البيت»..
ذَكَر فيه كل تناقضات الدنيا.. وكل المعايير المزدوجة.. وكل انفصامات الشخصية..
ذَكَر مُرعب شنيع منيع من الخارج.. هش مكسور جريح من الداخل..
ذَكَر تنتهي أسطورته.. وتتهاوى مملكته.. في اللحظة اللي ينكشف فيها وجهه الآخر القبيح أمام أبنائه (زي ما حصل مع سي السيد)..
تلك اللحظة المفاجئة المُزلزلة..
اللي بينهار فيها بناء الابن الفكري..
وتنهدم فيها منظومته الأخلاقية..
وينقسم بدوره نصفين..

مش عارفين بعض..
ولا عايزين يعرفوا بعض..
وكل يوم يبعدوا أكتر وأكتر عن بعض..
نصفين لا تجمعُهم سوى لافتة «ذَكَر شرقي»..
وريث جديد يُكمل الأسطورة.. ولي عهد شاب يُعيد بناء المملكة مرة أخرى..
ويتوالى السِّلسَال.. وتتوالد الأجيال..
إلى أجل مَحتُوم.

***

تقدر تسمع وتشوف النماذج الأصدق والأوصاف الأكثر دقة لكل اللي أنا بأقوله، من الستات والأطفال اللي عاشوا مع نُسخ وأشباه وأشباح «سي السيد»، واختبروا سلوكياته وتصرفاته ووجوهه المتعددة.. واللي يقدروا يكتبوا من خلال تجاربهم وحكاياتهم مئات وألوف الكتب زي الكتاب ده.. بل أكيد أحسن..

هاركّز هنا على وجه «أبو مراته»، لأني تناولت وجه «ابن مراته» في الفصل السابق..

تعالى شوف كده ردود وإجابات الناس لما سألتهم على صفحتي: «كتير من الأزواج بيعامل مراته وكأنه أبوها، بإنه.........».

هتلاقي ناس «ذكور وإناث» كاتبة النموذجين.. نموذج الوصاية السلطوية القاهِرة «مكتوبة بالخط العادي»..ونموذج الوصاية المُصلحة المُرشدة «بالخط العريض».. وهتلاقي للأسف بعض الناس شايفين النموذج التاني نموذج حلو وكيوت ولطيف.. وحابينه وعاوزينه وبيشجّعوه.. ومش واخدين بالهم إنه جواه نفس اللي جوّه النموذج الأول بالظبط.. لا زيادة.. ولا نقصان.. اتفضل:

- يفكر ويقرر بدالها إيه المناسب ليها.
- يعرف أكثر منها، وأدرى بمصلحتها.
- وهو فيه كده أصلًا؟ يا ريت.
- إنه الآمِر الناهي في حياتها، وإنها مالهاش رأي.
- يا ريته حتى يعرف يقدم دور الأب وقت ما تحتاجه.
- بإنه يحسسها إن عقلها صغير وإن هو بس اللي ليه عقل.
- لأ دول مش طبيعيين.. صاحبتي بتقول لي جوزي بياخد مني الفيزا ويصرف هو علينا من مرتبي ومُرتبه، وبيزعل لما يلاقي معايا فلوس.
- بإنه يقرر كل كبيرة وصغيرة على أساس إنه عقله كبير وناضج.
- بيُملِي عليها خطوات حياتها باللي هو شايفه.. عشان هو أدرى بمصلحتها وهي ماتعرفهاش.
- يلغي إرادتها الحرة على اعتبار إنها عيلة وماتعرفش مصلحتها فين..
- يَحتويها ويدلّلها كأبيها..
- يربيها علشان تمشي على هواه.
- «أنا موافق/ مش موافق»- «أسمح/ ما أسمحش».. في أي وكل حاجة.
- يربّيها على إيده.
- بيعاقبها ويحرمها من حاجات بتحبها، أو يحبسها.
- لو اتضايق من حاجة: «طيب مافيش شغل تاني وهتقعدي ف البيت».

• يحسّسها بالأمان والسند.
• يجيب لها هدوم العيد.
• بإنه يقعدها ف البيت ويديها مصروفها، ويتحكم بكل عنجهية في لبسها ومواعيد خروجها ودخولها. يوافق ويرفض إنها تشتغل.. يختار ويعترض على أصحابها.. يستبيح خصوصيتها ويضيق دوائرها.. يخلي ليه الكلمة الأولى والأخيرة في كل شئونها، علشان هو ولي أمرها.. نسي إن الأب في الأساس سَند وأمان.
• يبقى ولي أمرها.
• تسمع كلامه في أي حاجة، ورأيه لازم يمشي وإلا تبقى عاقّة وتتعاقب.
• يحرمها من حياتها وأصحابها وشغلها.
• أعمل كل حاجة أخنقك وأحبسك فيها، تحت مسمى إني خايف وبحافظ عليكي.
• يضربها ويزعق لها ومافيش شغل ولا أهل ولا مصروف.
• يختار كل حاجة وممنوع تختار هي، ولو قالت رأيها يبقى كأنه ماسمعهوش، ولو اعترضت يبقى «مش كتر خيري إني باعمل»، ولو واجهته بإنه لاغي شخصيتها يقول لها: «أنا باجنّبك التعامل مع الناس وباريّحك».
• فاكر إنه من حقه يعاقبها ويتحكم ف كل قراراتها بالموافقة أو الرفض.
• يقول لها إيه الصح والغلط. يعاملها كأنها طفلة وهو بيرشدها عن تصرفات تعملها وينتظر منها تقول حاضر من غير نقاش.
• الآمِر الأول والأخير لها، لأن عقلها قاصر، ولا تستطيع فعل شيء بدون وليّ أمرها.
• يكون حنين عليها.. وتستشيره في كل شيء.
• يعمل نفسه رقيب عليها.
• اسمعي كلامي من غير مناقشة... أنا خايف عليكي.. أنا واثق فيكي بس مش واثق في الناس التانية. هو الصح واللي عارف أكتر.. الخبرة الجاهزة.. وهي اللي لسه بتحْبِي في أرض السباق.
• بيكون شايف هو مستقبلها من وجهة نظره، ويفضل يزُقها تعمل اللي هو شايفه صح، ويضغط على أعصابها، ومايفكرش إذا كانت هي مرتاحة وحابة اللي بيزقها ليه ولّا لأ أصلًا، وبتكون حجته: «أنا واقف في ضهرك وباشجّعك».
• «اسمعي كلامي، أنا أعرف أكتر منك».
• شايف روحه من حقه ومسئول إنه يُقوّمها.
• بدو يربيها من جديد على هواه، وإنها قاصر وإنه لازم يُطاع.
• يعاقبها ويتحكّم فيها.
• يحرمها من الشغل.
• يدّيها الاستقرار النفسي والمعنوي والأمان.
• بحنيته واهتمامه واحتوائه كأب وليس كزوج.
• يتحمل مسئوليتها ويصرف عليها.
• بيفرض سُلطته ورأيه عليها بدل ما يتحاور ويتناقش ويحترم رأيها واختلافها.. بإنه مش بيقبل إنها تكون نِد ليه وشايف ليه فوقية ومكانة مختلفة.. وإنه أحيانا بيعاقبها بالخصام أو منع المصروف زي ما يكون باباها مش شريكها.

• يقول لها: «ماتتصرفيش من دماغك».. «إوعي تتصرَّفي من دماغك».. «الدنيا باظت علشان اتصرفتي من دماغك».
• يعتبرها مسئولة منه.
• يطمنها، يحمِيها من نفسها والآخرين، يمنحها الطيبة والحنان، يساهم في تنميتها. «تعليق من رجل».
• يرسم لها خط ما تفكرش برَّاه.
• تلبس وتتكلم وتخرج وتتعامل زي ما هو عايز.
• يخلي كلامه غير قابل للنقاش، ويبدأ يربيها من أول وجديد، ويعوّدها على طِباع هي مش متعودة عليها ولا قادرة تتكيف معاها.
• يضربها.
• يربي ويعاقب ويحرم ويثيب.. وده طبعًا غلط «تعليق من رجل».
• يوجّهني دايمًا للحاجة الأنسب ليًّا وينصحني..
• الأمان.
• يكون أمانها.
• يشيل لها العيدية.
• أحيانا بالإيجاب، إنه يحتويها ويهتم بها ويدلعها ويجيب طلباتها.. والأكتر بإنه يربيها ويؤدبها على حد قولهم، وده بالضرب والتوبيخ والشخط، أو بالتدخل في خصوصياتها وقرارتها، لأنه بابا اللي عارف مصلحتها أكتر منها.
• يحْمِيها ويتأكد من سلامتها.. ويأمّن لها احتياجاتها وياخد باله من حالتها النفسية.. ويحِنّ عليها زي حنان الأب.
• يكون مُدرك إن خبراتها في الحياة في بعض الأمور بتكون لسه ما وصلتش لمرحلة النضج الكامل «تعليق من رجل».
• يحْمِيها.. يكون سَنَد ليها.. يوجّهها إذا احتاج الأمر.
• الناس يا دكتور فاهمة دي حاجة حلوة.. الأب أب والزوج زوج. ما ينفعش العلاقات تبقى ملخبطة كده. فيه راجل بيحب يعيش دور الأب على مراته لأنه بيحب السُّلطة وبيحب إحساس إنها تقول له بابا.. وده بيترتب عليه خلل في العلاقة الأساسية اللي المفروض تكون علاقة زواج. زي الست اللي عندها خلل في علاقتها بجوزها ومش حاسة بالحب والدلع معاه، فتحط مشاعرها دي في علاقتها بابنها وتعامله إنه حبيبها، وتبقى الكارثة الكبرى لما ييجي يتجوز ويبعد عنها..
التعليق الأخير ده لخّص الكتاب كله.. أنا فخور بيكم والله.. عمركم ما خذلتوني.
في الحقيقة دي أكتر مجموعة تعليقات كانت مؤلمة بالنسبة لي.. لأنها وريتني- وبوضوح جدًّا- كَمّ التشوه النفسي والفكري اللي عند كتير من الستات «مش بس الرجالة».. الستات اللي مستنيين من أزواجهم لعب دور الأب.. المانح المانع.. القادر الحامي.. المُتحكّم المُسيطر.. همَّا مش بس مستنيين.. دول قابلين ومرحبين وفرحانين بيه جدًّا.. دول بيستدعوه استدعاءً.
يا نهار أبيض..
ما هو ده يا جماعة اللي بيصنع بعد شوية من هذا الزوج سي السيد.. ما هو ده اللي بيسلمه في إيده السلطة والوصاية.. ما هو ده اللي بيحوله لذَكَر «أبو مراته»..

ما هو ده اللي يخلي واحد يقول: «أنا باسمح لمراتي إنها تشتغل»، وواحد تاني يتصور إنه: «كتر خيري إني باسيبك تروحي لأهلك وقت ما انتي عايزة»، وواحد تالت يسأل: «هل سماح الرجل لزوجته باستخدام الإنترنت والسوشيال ميديا دلع زائد عن حدّه؟»..
ما هو ده اللي أنتج كلام وتعليقات ذكورية جائرة على فتوى دار الإفتاء المصرية بإن «راتب الزوجة لنفسها ويحق لها التصرف فيه دون استئذان زوجها». تعليقات زي: «الوظيفة تستغرق جزء من وقت البيت الذي هو ملك للرجل، وبالتالي الرجل له حق- على الأقل- في كيفية صرف المرتب»، «غلط.. طول ما هي على ذمة جوزها من حق جوزها مُرتبها»، «يقعدوا في البيت أحسن»، «من حق الزوج منع زوجته من العمل لأن وقت عملها يحق للزوج وأولى به بيته وأولاده»، «يعني جوزها سايبها تشتغل ليه؟ مش علشان تساعده في مصاريف البيت؟ يبقى ما ينفعش تتصرّف إلا بإذنه»، «والله الواحد عاوز ياخد فاس ويطلع على دار الإفتاء يبتدي يهد فيه من دلوقتي، الحريم باظت»، «بس يالا.. هو مش بيأكّلها؟ يبقى ليه حق ياخد المرتب كل شهر»، «هي مالهاش حق التصرف في نفسها مش راتبها غير بأمر الزوج لأن من حقه يفرض عليها إنها تقضي له وجباته كلها، وفي الوقت ده هتتأخر على شغلها ومش هيكون فيه شغل، قراراتكم والله بايخة وغلط»، «الزوج يمتلك زوجته وله حرية التصرف فيها والتحكم في تصرفاتها»، «إحنا في مجتمع شرقي وما ينفعش الست تعمل حاجة بدون إذن جوزها، حتى لو حاجة تملكها، هي ليها حرية التصرف لكن بعد إذن جوزها».
وغير ده طبعًا كتير.
وكل دول نسيوا وتناسَوا وأنكروا وتجاهَلوا إن دي حقوق زوجاتهم أو بناتهم الطبيعية، مش منحة مقدمة منهم، ولا هبة بيهبوها ليهم، أو عطاء بيجزلوه عليهم.
أنا لما أعامل أي حد على إنه المصدر الوحيد للأمان هيبقى «فرعون».. ولما أحسس أي شخص إنه المصدر الوحيد للحماية هيبقى «فتوة».. ولما أفهّم أي راجل إنه المصدر الوحيد للقوة هيبقى «ذَكَر شرقي مُنقرض».. إلا مَن رحم ربي طبعًا، من رجال حقيقيين أُصَلاء بيحترموا نفسهم وزوجاتهم ويقدروهم من قبيل الإنسانية.. مش من قبيل الوصاية والفوقية.
يا إخوانا.. يا جماعة.. ما ينفعش الزوج يبقى أب.. لا أب حنين.. ولا أب قاسي.. الزوج زوج.. زوج فقط.. مش أي حاجة تاني.. إنسان زيُّه زي زوجته.. ما حدش أعلى ولا أحسن ولا أوعى من حد..
علشان كده.. وتاني وتالت ورابع.. الطرفين هنا بيكونوا مسئولين.. مافيش جاني ميّة في المِيّة ولا ضحية مية في المِيّة.. إلا في حالات استثنائية للغاية.. وعلى رأي دكتور يحيى الرخاوي: «كل جريمة عملها اتنين.. ذنب المقتول ذنب القاتل.. أصله استسلم».. أنا بس أحب أخلّيها «فيه جريمة عملها اتنين.....»، علشان دي مش قاعدة.. مش «كل».
فيه كمية هائلة من اللخبطة والعك وعدم اتساق للأدوار في العلاقات.. خاصة علاقات الزواج..
أقل نسبة من المتزوجين في مُجتمعنا، همّا المتزوجين بجد.. جواز بين رجل كامل الأهلية.. وامرأة كاملة الأهلية.. زوج بالغ عاقل راشِد مُكلّف، وزوجة بالغة عاقلة راشدة مُكلّفة..
الباقي كله يا واحدة متجوزة ابنها «نفسيًّا»..
يا واحد «ابن أمه»..
يا واحدة «متبنية جوزها»..
يا واحد «متبني مراته»..

وأنواع تانية كتير من «الذَكَر الشرقي المُنقرض»، زي «الذَكَر الشرقي المُتَخَفي»، و«الذَكَر الشرقي المُتَعافي لكنه بيحِن لذكورته القديمة»، و«الذَكَر الشرقي اللي فاكر نفسه مش ذَكَر شرقي»، والذَّكَر الشرقي اللي فيه أكتر من نوع من اللي فات، والذَّكَر الشرقي اللي فيه الأنواع دي كلها.. وغيرهم وغيرهم..

إزاي بقى نستغرب من ارتفاع نِسَب الطلاق؟ هو فين الجواز أصلًا؟

وليه ما نفهمش تراجُع وتردُّد كتير من الشباب عن الارتباط؟

وهو مين هيرتبط بمين الأول؟

وفين هنلاقي الحل.. والدليل.. والخيط؟

مش عارف..

بس الأكيد..

إن أفضل حل هو اللي أنت توصل له بنفسك..

وأحسن إجابة هي اللي تعرف تلاقيها جواك..

يلَّا نكمل..

ويا مسهل.

الفصل الثامن:
وبعد كل ده!

بعد كل ده.. وبالرغم من كل ده.. فيه شوية حاجات قدرت تتسَرْسب من فِطرة الرجل الشرقي السليمة.. وتنجو من كل المحاولات الأسرية والمجتمعية والذاتية لتشويهها.. لتهرب وتَلوح وتطفو في الأفق، علشان تدينا شوية أمل، وتقول لنا إن فطرة ربنا الحقيقية باقية تحت الرماد.. في انتظار مَن يُوقظها من جديد.
بعد كل ده.. بقى مِن فطرة الرجل الشرقي إنه بيحضن بناته وأولاده -في كتير من الأحيان- أكتر وأدفى من أمهم.. وإن معظم صعوبات وشكاوى الحرمان من الحضن، بتكون حرمان من حضن الأم، مش من حضن الأب..
بالرغم من كل ده.. ماشوفتش في حياتي حزن أشد وأقسى من حزن بنت لموت أبوها -بالرغم من ذكوريته الشرقية أحيانًا.. بيتكسر ضهرها حرفيًّا.. بتفضل طول عمرها حاسة إن فيها حاجة ناقصة.. مش عارفة إيه هي.. وبتدور عليها في كل حد وكل حتة..
بعد كل ده.. الأجيال الجديدة من الذكور الشرقيين موجود جوّاهم صوت تاني.. صوت ملخبطهم ومحيرهم.. بيقول لهم إن الذكورة غير الرجولة.. وإن عندهم اختيارات وسِكك تانية، غير اللي اختارها ومشي فيها أهاليهم.. كتير منهم فعلًا بيحاولوا يتغيروا..
بالرغم من كل ده.. الذكورية الشرقية جزء مش كل.. طبقة سطحية ظاهرة -حتى وإن كانت سميكة.. لكنها مخبية وراها كمية هائلة من الطيبة والغُلب والسلاسة والرغبة في التفاهم والأخذ والعطاء.. اللي في الحقيقة مش بلاقيهم في كتير من الستات بنفس الدرجة..
بعد كل ده.. وبدون أي شك.. هذا الذَّكَر الشرقي من جوّاه بيحب عيلته جدًّا.. وعنده دافع قوي إنه يحميهم ويفديهم بنفسه، لكنه -للأسف- بيسجن نفسه في هذا الدور.. وبيسجن عيلته في دور الضعفاء المحتاجين قليلي الحِيلة.. رغم إن هو اللي محتاج يقبل ضعفه وعجزه وفشله أحيانًا..
بالرغم من كل ده.. وورا كل ده.. الذَّكَر الشرقي موجود - في أعمق أعماقه - احتياجات إنسانية بسيطة للغاية.. محتاج بس حد يشوفه ويقبله ويحترمه.. لكن عدم إشباع هذه الاحتياجات بشكل صحي وهو صغير.. خلَّاه ينكرها ويتعالى فوقها - وفوقنا معها - وهو كبير..
بعد كل ده.. وبعد ظلمه لكل الستات اللي في محيط حياته بطريقة أو بأخرى.. إلا إن أي ذَكَر شرقي بيُقِر وبيعترف إنه ما يعرفش يعيش من غيرهم.. وبيحتاس في عدم وجودهم.. وبيغرق في شِبر ميّة لو تخلى عنهم..
وبالرغم من كل ده.. فإن الطلاق/ الانفصال بيكون أصعب على الرجل- في أحيان كتير- من الست، وبيقاومه حتى آخر لحظة.. وكل غلاسته ورخامته وتعنته في هذا الموضوع بيكونوا نابعين من غُلب وضعف شديدين.. لأنه بيكون عارف ومتأكد إن الست دي هي اللي رابطة له حياته ببعضها.. وماسكة له خيوط وأحبال شخصيته.. وساندة له عوده وكيانه طول الوقت.. وحتى لو ما أظهرش ده.. وما عبّرش عنه.. لكنه بيكون فعلًا متأثر جدًّا.. ومكسور ومجروح وبيدمي بجد.. عند مجرد طرح فكرة الانفصال.
شايفين كمية المتناقضات؟
مُتخيلين حجم الحاجات اللي عكس بعضها داخل هذا الرجل؟
مُتصورين هو قادر يعيش مع نفسه إزاي؟
قادر يستحمل نفسه إزاي؟

عارف يبُص في المراية إزاي؟
أنا مش من أنصار شيطنة الآخر.. ومش حابب يكون كلامي ووصفي وتحليلي طريقة أو وسيلة لتغذية الغضب اللي داخل أي حد تجاه الذَّكَر الشرقي أو الذكورية الشرقية.. دي أسهل حاجة، ومشجعيها كتير أوي.. لكنها- في نفس الوقت - أخيب حاجة، وخسايرها برضه كتير أوي..
إحنا بنشوف المتناقضات علشان نتجاوزها.. مش علشان ننتقل من أقصاها إلى أقصاها الآخر..
إحنا بنكشف العيوب علشان نسعى في إصلاحها.. كلنا.. مش علشان نتباهى برؤيتنا ونتفاخر بيها..
إحنا عرَضنا الأعراض والأنواع علشان نتعاطف مع هذا الإنسان.. اللي هو في الأول وفي الآخر إنسان.. مش علشان نرجمه بنظراتنا، أو نشنقه باتهاماتنا، أو نجلده بألسنتنا..
إحنا بنفهم.. مش بننتقم..
بِنَوْعَي.. مش بننفجر..
بنسمو.. مش بننحَطّ.
آنَ الأوان بقى نشوف ونعرف إيه اللي عمل من الذَّكَر الشرقي.. ذَكَر شرقي..
إيه الظروف والأحداث والملابسات..
مين اللي خطَّط ونفّذ وساهم.
يلَّا سمِّي..
وادخل برِجلك اليمين..

الباب الثاني
فن صناعة الذَّكَر الشرقي

الفصل الأول:

أدهم

- **أدهم: مساء الخير يا دكتور.. أنا اسمي أدهم..**
- **الطبيب النفسي: أهلا وسهلا.. مساء الخير يا أستاذ أدهم.. اتفضل.. تحت أمرك..**
- **أدهم: أنا جاي علشان مشاكل مع مراتي.. إحنا الحقيقة وصلنا لحد الانفصال.. وهي اللي طلبت مني، أو بمعنى أصح ضغطت عليّا، علشان آجي لحضرتك.. أنا شخصيًّا مش باحب أطلَّع أسرار بيتي بره، ومتأكد إننا نقدر نحل مشاكلنا بنفسنا.. بس أنا جيت علشان أريحها وماأهدّش البيت..**
- **الطبيب: خير إن شاء الله.. احكي لي حضرتك..**
- **أدهم: مراتي مش بتحترمني.. بتعاملني الند للند.. كلمة بكلمة.. رد برد.. مش مُعترفة إني أنا الراجل وهي الست خالص..**
- **الطبيب: يعني إيه؟ ممكن حضرتك توضح..**
- **أدهم: يعني يا دكتور اللي أنا أعرفه وشوفته في بيتنا وأنا صغير.. إن الست بتسمع كلام جوزها.. بتحترمه.. مش بتناقشه على كل صغيرة وكبيرة.. الراجل بيبقى راجع من الشغل تعبان وطالع عينيه.. محتاج الست بتاعته تحتويه، تهتم بيه، تدلعه.. مش تقول له طب ما أنا باتعب زيي زيك.. مش بيتك وبيت أهلك كان كده برضه يا دكتور؟**
- **الطبيب: إحم.. إيه دخل بيت أهلي في الموضوع؟ كمّل حضرتك..**
- **أدهم: أمي كانت ما تستجريش تقول لأبويا «لأ».. كانت زي الخاتم في صباعه.. لو قصّرت في حقه تبقى جَنتْ على نفسها.. أنا مراتي بتستكبر تقول لي «حاضر» يا دكتور.. لازم جدال لغاية ما تصدعني وتفلق دماغي..**
- **الطبيب: بس فيه فرق في الأجيال وثقافتها يا أستاذ أدهم..**
- **أدهم: ما اعترضناش يا دكتور.. بس برضه الراجل راجل والست ست.. ده ناقص أغيّر للعيال وأحمّيهم.. مش معقول كده..**
- **الطبيب: إحم.. وإيه كمان يا أدهم؟**
- **أدهم: دي عاوزة تربي الأولاد بمزاجها يا دكتور..**
- **الطبيب: إزاي؟**
- **أدهم: إحنا اتربينا على الشدة يا دكتور.. أنا ما كنتش أقدر أرفع عيني في عين أبويا.. ولو مرة ما سمعتش كلامه تبقى ليلتي سودا.. مراتي بتعلّم العيال يردوا عليّا يا دكتور.. أنا هتجنن والله..**
- **الطبيب: لا بعد الشر على حضرتك..**
- **أدهم: ربنا يخليك يا دكتور.. حضرتك حاسس بيّا يا دكتور؟**
- **الطبيب: حاسس بيك وعاذرك جدًّا يا أدهم.**
- **أدهم: شوفت؟ أهو.. واضح إن حضرتك راجل بتفهم..**
- **الطبيب: لأ يا أدهم.. أنا مش عاذرك في اللي أنتَ بتعمله.. ومش موافقك في اللي أنت عاوزه.. أنا عاذرك في إن ده اللي أنت تعرفه.. وما تعرفش غيره.. وهو ده اللي شوفته واتعلمته..**
- **يعني إيه يا دكتور؟ مش فاهمك..**
- **اصبر وهتفهم كل حاجة يا أدهم.. المهم.. تيجي وتكمل الجلسات بانتظام..**
- **حاضر.. لما نشوف آخرتها.**

الفصل الثاني:
نظرية البالونة.. والدبوس

• اكتشفت إن جوزي نرجسي جدًّا.. أصعب نرجسي ممكن تقابله في حياتك يا دكتور أو تتخيله.. كدااب جدا.. خاين جداا.. لدرجة إنه ممكن يشتري المتعة بالمال.. ماعندهوش مبادئ.. اكتشفت أخيرًا إن القناع طلع مُزيف وعرفت حقيقته.

• أنا اتأذيت باسم الحب ١٦ سنة، زواج مع مريض نرجسي مُصنف عن طريق أكتر من دكتور نفسي.. كلمة «بحبك» على لسانه طول الوقت، بس ما يعرفش من معناها حاجة، غير إنه بيحب الأذى النفسي اللي بيقدر يعمله فيَّا.. وصّلني للاكتئاب الشديد ومحاوله الانتحار.. نرجسي خفي.. ماحدش في الدنيا مصدقني بسبب صورته العظيمة اللي مدّيها للناس حواليه.

• مساء الخير دكتور.. الصدام حصل بالفعل بيني وبين أخي الأكبر النرجسي المغرور اللي بيعاملني كأني جارية عنده.. واجهته بنرجسيته وشرحت له أعماق نفسه.. والمفاجأة إني لقيت قدامي حالة مجنونة من الإنكار والتكذيب.. ولما حاصرته بشدة.. انقلبت الآية وأخذ يستعطفني، وقال لي إنه قد إيه ضحى علشاني وخايف عليّا... إلخ.

• للأسف دخلت في علاقة من العلاقات المؤذية جدًّا.. دمّرتني نفسيًّا في الوقت اللي المفروض أكون فيه في أقصى مراحل السعادة.. خطوبة من رجل نرجسي جدًّا.. مش بيهمه غير نفسه.. بيحب المدح والإطراء والنفخة الكدابة.. عاوزني خاتم في صباعه.. البداية كانت جميلة كالعادة.. لكنها مااستمرتش أكتر من شهر.. وباقي السنتين دمار وأذى نفسي فوق الوصف.. وكانت كل تصرفاته بتقول ابعدي.. كنت باخد قرار إنهاء الخطوبة، لكن هو كان بيرفض القرار دا.. إهمال شديد، لا مقابلات بالشهور، ولا مكالمات، ولا أي بادرة بتقول إنه بيستعد للجواز غير المماطلة في تحديد المعاد.. ست شهور بقوا سنتين بحجة إنه مش لاقي وظيفة، وأنا قررت الوقوف جنبه علشان مأبقاش اتخليت عنه في ظروفه.. وكان فيه كدب كتير... محاولات كتيرة منه إني أسيب شغلي.. كنت باتنازل عن بعض حقوقي خوفًا من الوحدة وكلام المقربين، وللأسف اقتنعت ورضيت.. حددنا موعد الزواج.. وبعدها اختفى لمدة شهر.. ثم قرر إنهاء الخطوبة بلا أسباب.. بعد إنهاء الخطوبة اكتشفت إنه خطب مرات كتيرة قبلي.. أنا دلوقتي في حالة نفسية بشعة، وللأسف مش عارفة أخرج منها.. مش قادرة أعمل أي حاجة في حياتي..

• دكتور أنا قريت عن الشخصية النرجسية في كتاب حضرتك، وقريت كتير عنها على النت.. حضرتك قلت إن لو أنت في علاقة مع شخص نرجسي اهرب منها وانهيها فورًا.. طب لو النرجسي هو الأب يا دكتور.. المفروض نتعامل معاه إزاي؟ لو نفخت ذاته المتضخمة، نرجسيته بتزيد، ولو انتقدته أو اعترضت أو قلت لأ، بيثور ويتجنن وبيبقى عنيف جداا في الدفاع عن الأنا بتاعته اللي أنا قربت منها ومسّيتها.

كتير جدًّا من الناس أو الحالات اللي باقابلهم مؤخرًا بيشتكوا بشكل متكرر: جوزي نرجسي يا دكتور.. أبويا نرجسي أوي.. أمي نرجسية جدًّا..

في الأول كنت باتضايق.. لأنه ما ينفعش نطلق على الناس تشخيصات نفسية جُزافًا من غير ما نقعد معاهم مرة واتنين وتلاتة، ونناظرهم بشكل مهني وعلمي دقيق.. وكنت بافسر ده بإن كمية الكتب والمقالات والمعلومات النفسية اللي انتشرت في السنين الأخيرة خلت البعض يستسهل ويرمي الأحكام والمسميات على أهاليهم أو شركاء حياتهم جزافًا، علشان يعفوا نفسهم من المسئولية ويلعبوا دور الضحية..

بس المفاجأة إني لما كنت باطلب أشوف الطرف التاني «المشكو منه».. علشان أقعد معاه وأسمعه.. كنت بالاقي -في أحيان كتير- تصرفات وممارسات نرجسية فعلًا.. زي ما بيقول الكتاب بالظبط.. حد شايف نفسه دايمًا صح.. هو الوحيد اللي عارف.. هو الوحيد اللي فاهم.. مش بيقبل النقد أبدًا.. مستحيل يعترف بغلطه.. مُتعالي ومليان زهو وفجاجة.. بيسعى إلى جذب انتباه اللي حواليه والاستحواذ على إعجابهم واهتمامهم بأي شكل.. بيغير من نجاح أو جمال أو ظهور اللي معاه حتى لو كانوا أولاده أو مراته.. بيحتقر أي حد غيره ويقلل منه.. عاوز يأمر فيُطاع بدون مناقشة.. يعمل أي حاجة بمزاجه في الوقت اللي هو عاوزه، بغض النظر عن موقف أو احتياج أو حق اللي قدامه.. مُسيطر ومُتحكم.. غضبه صعب جدًّا.. مش بيشوف ولا بيسمع لما بيغضب أو يتنرفز.

وعلى فكرة.. ممكن يكون الشخص مش نرجسي بالمعنى التشخيصي المعروف، لكنه بيمارس سلوكيات نرجسية زي المكتوبة دي مع الناس اللي حواليه.

ده خلاني أفكر وأعيد حساباتي تاني.. وأقول بيني وبين نفسي: يبدو إن دي إحدى نتايج الوعي النفسي.. الشخصيات أصبحت بتتعِرف بشكل أعمق.. الألعاب النفسية بقت بتنكشف بشكل أسرع.. وطلب المساعدة للنجاة من العلاقات المؤذية بيتم في مراحل مُبكرة..

كتير من الأبناء مابقوش يقبلوا الإهانة والتجريح والضرب من آبائهم وأمهاتهم.. كتير من اللي بيعيشوا قصص حب بطّلوا يرضوا بسوء المعاملة، والاستحقار، والإهمال من الطرف الآخر.. وكتير من الزوجات تمرّدوا على الأذى النفسي والضرر الجسدي والخيانة الزوجية اللي بيتعرضوا ليها من شُركاء حياتهم.. وكل دول بدءوا يصدقوا إنه من حقهم يتعاملوا معاملة كريمة محترمة تليق بهم.. مش بس كده.. دول بدءوا يعاملوا الرجال/ الذكور بالمثل.. يعني يبعد عنها، تبعد عنه، يتقل عليها، تتقل عليه، يختفي.. تختفي هي كمان وتعمل له بلوك من حياتها كلها.. بلوك بلوك بلوك...

وهنا -للأسف- بتظهر مشكلة أخرى.. مشكلة كبيرة وصعبة ومُعقدة جدًّا.. مشكلة اسمها «الجرح النرجسي- Narcissistic Injury».. الجرح اللي بيحصل لما شخص نرجسي يتعرّض للرفض أو للتقليل من شأنه (أو هكذا يتصور).. وقد إيه ده بالنسبة له بيكون قاسي ومؤلم، لدرجة قد تُخرجه أحيانًا عن صوابه.

مشكلة إنك تقول لأب أو زوج نرجسي «لأ».. وتدوس بمنتهى القوة على فوّهة خرَّاج نفسي قديم مليء بالقيح والصديد..

مشكلة إنك تضرب دبوس رفيع حاد في بالونة الأنا المتضخمة للذَّكَر الشرقي.. ثم تستقبل انفجارها اللحظي في وجهك..

مشكلة...

إيه ده؟ هو أنت كاتب «الأنا المتضخمة للذَّكَر الشرقي» يا دكتور؟ أنت عاوز تقول إن الذَّكَر الشرقي نرجسي بطبعه؟

رأيي بصراحة... آه..

وهو ده مَدْخَلنا لفهم إيه اللي خلّى الذَّكَر الشرقي.. ذَكَر شرقي..

تعالى نشوف..

***

العالِم الألماني «Heinz Kohut - هاينز كوهوت»، قضى عُمره كله في دراسة وبحث ظاهرة «النرجسية».. وعمل نظرية كبيرة ومهمة عن تكوين الشخص النرجسي، وأسبابه، وعلاجه.. واتكلم كتير عن «النرجسية الطبيعية».. و«النرجسية المرضية»..
«كوهوت» قال إن فيه احتياج إنساني أساسي بنتولد بيه كلنا، اتكلمت عنه كتير قبل كده.. اسمه «الاحتياج للشوفان -Need to be seen/mirrored».. لو تم إشباع الاحتياج ده بشكل مناسب أثناء الطفولة، هنكبر ويبقى عندنا شعور بالاستحقاق «أنا أستاهل.. أستاهل أتحب وأستاهل أفرح وأستاهل أنجح.. وهكذا».. وسمّى ده «النرجسية الصحية» أو «الطبيعية»..
ولو ما تمّش إشباع الاحتياج ده وإحنا أطفال.. بنكبر ويبقى عندنا جوع شديد للشوفان «إن الناس تشوفني وتصقف لي».. ونهم بَشِع للإعجاب «إني أكون محل إعجاب الجميع وبؤرة أضواء الكون».. ورغبة شديدة في لفت الأنظار.. وسمّي ده «النرجسية المرضية».. واللي بيكون فيها الشخص النرجسي حاسس بأهمية مُبالغ فيها، وشايف نفسه إله مُنزّه عن النقص، وبيتعامل مع غيره بفوقية وسلطوية زائدة.. لا يقبل النقد.. لا يطيق الاختلاف.. لا يتحمل أي كلمة أو نظرة أو حتى لمسة تُوحي له بأي قدر من الإهانة أو التقليل «لأنه حاسس من جواه إنه أصلًا قليل وما يستاهلش».. بيستخدم اللي حواليه لمصلحته حتى لو كانوا أولاده.. بيغير من نجاح أي حد حتى لو كانت مراته.. بيحب يمسك خيوط اللي معاه ويتلاعب بيها زي الماريونيت.. هو عبارة عن بالونة كبيرة ضخمة منفوخة هوا، لتعويض شعوره الداخلي العميق بالخواء وعدم الاستحقاق..
الشخص النرجسي ده حد وصّل له طول عمره إنه مايستاهلش.. فقرر يصدق إن مافيش حد يستاهل غيره..
مشكلة «كوهوت» بقى إنه لم يَعِش في مجتمع شرقي، ولا عمل أي دراسة أو بحث على أي ذَكَر شرقي.. علشان كده هو فاته كتير أوي.. وأهم ما فاته هو إن طريقة تكوين الشخصية النرجسية في مجتمعاتنا يُضاف إليها بُعد مختلف تمامًا عن اللي هو شافه ووصفه..
وكلامي التالي بدون تعميم طبعًا..
إحنا عندنا الأولاد «الذكور» مش بيوصل لهم إنهم مايستاهلوش.. لأ.. بالعكس.. ده- في أغلب الأحيان- بيوصل لهم إنهم يستاهلوا بزيادة.. بيرضعوا النرجسية مع اللبن.. بتتزرع فيهم النرجسية من طفولتهم زرعًا.. بيتنفسوها مع الهوا اللي بيتنفسوه في بيوتهم..
أنت عندك أم بتربي ابنها على إنه ما ينفعش يجيب لنفسه كوباية ميّة.. فما بالك بتنضيف مكانه وأكله وشُربه وغسيله ومواعينه..
وعندك أب بيسمح لابنه يؤمر ويتحكم- وأحيانًا يضرب- أخته الكبيرة.. وكمان يسهر ويصيع ويصاحب ويتحرش.. وفي الآخر يتقال له برافو عليك أنت كده راجل..
عندك زوجة بيوصل لها من طفولتها إنها ما ينفعش تلبس ولا تخرج ولا تشتغل ولا تنام ولا تصحى إلا بأمر وموافقة ومُباركة زوجها المقدس..
وعندك مجتمعات بتمنح كل الحقوق والمميزات اللي في الدنيا لمن يُكتب في بطاقة هويته «ذَكَر».. وتمنعها تمامًا عمن تُكتب في نفس الخانة «أنثى»..
ده يطلّع إيه بقى؟
يطلّع شخصيات غارقة في نرجسيتها.. وكائنات تكاد تنفجر من تضخمها وانتفاخ ذاتها.. و«زومبيز zombies» بشرية تُعطي لنفسها حق الحياة.. وتحرم غيرها من مجرد الإحساس

بالوجود..
يطلّع بني آدمين مصدقين إنهم من درجة أعلى ومرتبة أسمى ولديهم عقل أرجح من بني آدمين آخرين زيهم..
يطلّع واحد يعامل أولاده وبناته على إنهم مِلك يمينه.. يتصرف فيهم كيفما شاء.. وقتما شاء..
يطلّع واحد يقول لابنه: «لو ما سمعتش كلامي يبقى ما تقعدش في بيتي.. لما تصرف على نفسك يبقى ليك رأي»..
يطلّع واحد يكسر إيد بنته لما تطلب موافقته إنها تشتغل، ويقول لها: «تشتغلي علشان تبقي قادرة وفاجرة؟»..
يطلّع واحد يشتم مراته ويهينها ويضربها.. ولما أقول له: «عملت كده ليه؟»، يقول لي: «هيّ اللي استفزتني، هي اللي عصّبتني». أقول له: «ولو هي عملت زيك هتعمل إيه؟»، يقول لي: «طبعًا هادّيها بالقلم على وشها.. إزاي تهين جوزها؟».
يطلّع حد يستسهل يخون مراته، ولما أسأله: «طب لو أنت اكتشفت إن مراتك بتخونك هتعمل إيه؟»، يقول: «هاقتلها أو أطلقها بدون تفكير».
يطلّع حد يقول لمراته: «أنا مايتقاليش لأ.. انتي تحمدي ربنا إني راضي بيكي ومعيشك معايا أصلًا»..
يطلّع حد أول ما مراته تناقشه أو تراجعه أو تعترض على رأيه يقول لها: «انتي هتكلميني راس براس؟ انتي هتعامليني الند للند؟».
طيب.. ولما تتم «نرجسة الذَّكَر».. و«سحق الأنثى».. ده ينتج ثقافة عاملة إزاي؟
ينتج ثقافة تفرق بين الرجل والمرأة بشكل أقرب ما يكون إلى العنصرية..
ثقافة تخاف من المرأة.. فتسجنها.. وتخفيها.. ثم تُهِيل عليها التراب..
ثقافة توصّل لكل ذَكَر إنه نصف إله.. كامل العقل والدِين.. يأمر فيُطاع..
وتوصّل في نفس الوقت لكل أنثى إنها عبدة ناقصة وخادمة مطيعة مش من حقها تخرج ولا تدخل ولا تشتغل ولا تلبس ولا تسافر ولا تتجوز ولا تتطلق ولا تتحرك ولا تتنفس إلا بإذن سيدها وولي أمرها.. اللي هو مخلوق مثله مثلها، ما يفرقش عنها قدام ربنا أي شيء.. مخلوق بشري يُخطئ ويُصيب.. بس تطيعه.. يرتفع مستوى ذكائه عنها أو ينخفض.. بس تسمع كلامه.. يصح نفسيًّا أو يمرض.. بس ما تخرجش ولا تشتغل ولا تسافر إلا بإذنه.. يطلع نرجسي يطلع سادي يطلع سيكوباثي.. هو كده.. ولو قالت «لأ» تبقى ناشز تستحق العقاب ولو بالضرب.
ثقافة تحتقر المرأة، وتهين وجودها، وتراها خطر.. وعار.. ومشروع فضيحة.. وتعتبرها سبب للفتنة، وللتحرش، وللفساد، وللعنف كمان.. فالمرأة هي المتسبب دائمًا.. وهي المتهم أبدًا.. في أي اعتداء أو جريمة أو مشكلة تخص الجنس أو العِرض أو الشرف.. من أول «إيه اللي وداها هناك؟»، لغاية «سينتهي الغلاء حينما تتحجب النساء»!!
ليه بقى الذكور تحترم الستات؟ ليه يشوفوهم بني آدمين زيهم؟ إزاي يقدّروهم ويبطلوا يحتقروهم ويقللوا منهم؟
إحنا بنصنع مسوخ ونوصل لهم إنهم كائنات مُقدسة غير قابلة لمجرد اللمس.. بنعلّمهم رجولة مزيفة.. ونفهمهم إنها رجولة حقيقية..
بننفخهم هواء مُلوَّث عطن.. ونُطلق أيديهم ليختالوا ويتطايروا بيه في سماء النرجسية والغرور..

وتيجي بقى زوجة أو خطيبة أو ابن أو ابنة في ثانية واحدة، تضرب كل ده بدبوس حاد مَسنون.. علشان تتسبب في جرح نرجسي مُفاجئ وغائر وعميق -Narcissistic Injury- لا يكون له أي رد فعل غير ما يسمى بالـ«Narcissistic Rage - أو الغضب النرجسي».
والغضب النرجسي ده بقى حكاية لوحده..

***

الشخص النرجسي لما تحصل له صدمة نفسية شديدة أو جرح نفسي عميق يمس ذاته المتضخمة، بيحس بتهديد شديد.. بيحس إن وجوده على وشك الانهيار.. وإن بُنيانه وتكوينه على أعتاب التهاوي.. وده -في الحقيقة- من كُتر غُلبه واحتياجه.. اللي ماعرفش يعمل قدامهم أي حاجة غير الإنكار والتعالي..
(صدمة نفسية شديدة) دي ممكن تكون إن حد قال له «أنت غلطان» مثلًا.. أو حد رفض له طلب.. أو حد حسّسه بأي شكل إنه غير مطلوب أو مرغوب أو مُرحب بيه.. مش لازم تكون حاجة كبيرة أوي يعني. نرجسية الذَّكَر الشرقي بتخليه شايف نفسه دايمًا على حق، لا يتخيل ولا يقبل إنه يعترف بخطئه.. لا يتحمل أي درجة من الرفض أو عدم القبول.. وبيربط كل ده- بشكل عجيب- بكرامته وتقديره لذاته.
وعلشان وجوده الهَش ما ينهارش.. وعلشان يحمي بُنيانه وتكوينه النفسي من التهاوي.. فهو بيستخدم كل أسلحته في الرد.. ويسن كل أسنانه للهجوم.. فيما يعرف بالـ«Narcissistic Rage» شوية شتيمة.. شوية سُخرية.. شوية إهانة.. شوية تَطاول.. شوية تهديد.. وأحيانًا بيصل الأمر إلى القتل..
أنت قدام حد حاسس إنه لو ما دافعش عن نفسه، ممكن شخصيته تتزلزل وتتفكك، ويتجنن بمعنى الكلمة «يعني تيجي له هلاوس وضلالات».. أنت قدام حد المسألة بالنسبة له مسألة حياة أو موت.. أنت فجّرت البالونة وحطيت قدامها مراية.. وقولت له: بُص.. أنت أهو..
اللي أحد والدَيْه بيمارس سلوكيات نرجسية يعرف الكلام ده كويس أوي.. واللي ارتبطت أو اتجوزت/ أو ارتبط أو اتجوز بشخص بيصدر منه أفعال نرجسية.. برضه يعرف الكلام ده كويس أوي.
بمناسبة الارتباط.. دي مجموعة جُمل جات لي إجابة على سؤال: إيه أمثلة الكلام اللي بتقوله الأمهات عند تقدُّم ابنها للارتباط بفتاة؟
الجُمل دي هتوريك يعني إيه إحنا بنرضّع ونغذّي أولادنا نرجسية.. وبنربيهم على النرجسية.. وبنخلّيهم يتنفسوا نرجسية.. وهتوريك كمان دور «الأم» بالذات في صناعة الذَّكَر الشرقي النرجسي:

- **ابني ما بيغلطش أبدًا.**
- **ده أمّور والبنات بتمشي وراه.**
- **ابني ده هدية لا تُرد.**
- **ابني راجل وهيسترك.**
- **ابني ده أحسن من حسين فهمي.**
- **ابني راجل وهيصرف عليكي وجاي يستّتك ويقعّدك من الشغل والمرمطة.**
- **كان نفسي بنتي بيجي لها واحد زيه.**
- **أنا ابني تبارك الخلّاق فيما خلق.**

- ابني ده مُستشاري الخاص وأنا مدياكي جوهرة ومتنازلة عن حقي المادي فيها.
- انتي أمك داعيالك في ليله القدر.
- أنا ابني متدلع آخر دلع.. أنا باقطع التفاحة وأحط له حتة حتة في بقّه عشان ما يِتعبش نفسه.
- ده مافيش زيّه ف الوجود.. ده آخر واحد في الكوكب من النوع الكويس.
- ربّينا وكبّرنا وفي الآخر هتاخدي راجل على الجاهز.
- والله لولا إنه حرام كنت جوّزته واحدة من إخواته.
- أنا ابني شِيك ونزيه وبيهتم بنفسه.. بس يلّا.. النصيب بقا.
- ده الفرخة اللي بكشك.. ده طبق الفاكهة بتاع العيلة.
- أنا ابني زي القمر وبنتك لو مين، عُمرها ما هتطلع جميلة زيّه أبدًا.
- ابني ده إمام جامع.
- لا أنا ولا أخته بنقدر على طلباته.. مابيعرفش يعمل كوباية شاي.
- الضافر اللي بيطيّره بفلوس.
- أنا ابني حليوة وعيونه ملونة.
- ابني.. هوّ فيه زيّه؟ ده شبه تامر حسني.
- ابني مهندس قد الدنيا.. وأنا بادوّر له على صيدلانية.. ومش بيعجبه أي حد.. وألف واحدة تتمناه.

كل ده اسمه إيه بقى؟.

اسمه فن تصنيع وتغليف وتعبئة النرجسية في الذَّكَر الشرقي..

إزاي تصنع من بني آدم طبيعي مخلوق على فطرته البسيطة.. بالونة كبيرة مليانة هوا..

إزاي تخلق من بشر عادي جدًا لا بيه ولا عليه.. طاووس مُنتفخ ملون لا يرى أكثر من عرض جناحَيْه..

إزاي تعمي إنسان عن رؤية العالم كله.. وتخليه يتمحور ويعبد ويطوف حول ذاته.. وذاته فقط.. لسه.. لسه..

***

فيه تريند انتشر بشكل كبير جدًا في أواخر ٢٠١٩، عن مشهد من فيلم «أولاد رزق ٢».. المشهد بيقوم فيه أحمد عز بضرب زوجته بالقلم على وشّها لما بتطلب منه الطلاق، ويقول لها: «طلاق مين يا مَرة يا بنت... انتي فاكرة نفسك متجوزة مُدرب باليه؟ يا عيلة... ده أنا أخلع دماغ أمك وأركبها على دولفين...».

المُدهش إن التريند ماكانش عن مقاومة العنف ضد المرأة ولا عن رفض استخدام الألفاظ والتعبيرات البذيئة.. لأ.. التريند كان عن وسامة أحمد عز، وجماله، وإنه قد إيه «باد بوي».. يعني «واد صايع مدقدق عنيف، وفي نفس الوقت مُثير وجذاب»..

المُدهش أكتر هو إن التريند ماكانش انتشاره بين الشباب الأولاد.. التريند انتشر بين الشابات والبنات والسيدات اللي كانت مُعجبة ومبهورة وولهانة وهيُغمَى عليها من «ذكورية» أحمد عز في هذا المشهد..

ده برضه يقول إيه؟

يقول إن أهم مَن يُشارك ويساهم ويتفنن في صنع «الذَّكَر الشرقي»، هي المرأة الشرقية نفسها..

نعم..
المرأة الشرقية.. بتواؤمها مع الظلم الواقع عليها.. وتماهيها مع العنصرية الخاضعة لها..
بقهرها الشديد لنفسها.. وسَحْقها الشديد لابنتها.. ومن بعدها حفيدتها..
بتصنيم ابنها الذَّكَر.. وعبادته.. ثم أكله كتماثيل العجوة الشهية..
وزي ما إحنا شايفين وسامعين وعارفين..
أكتر حد بيمحي شخصية الابنة.. هي أمها..
وأكتر حد بيفسد شخصية الابن- بجانب أبوه- هي أمه..
وأكتر حد بيظلم الست.. هي الست نفسها..
زي ما هنشوف في الفصل القادم..
ده طبعًا لا ينفي دور الأب والعم والخال والمجتمع كله.. لكنه يؤكد:
إن أي تغيير حقيقي مش هيبدأ إلا من عند الستات..
وأي علاج من الجذور نقطة بدايته هي الأمهات..
والتحوُّل المجتمعي العميق والدائم مش بس هتقوده السيدات والبنات..
لأ..
دول هيصنّعوه صُنعًا..
ومش هيصنّعوه بالحديد والنار..
هيصنّعوه بالورود.. وبالأزهار..
ورود الحب..
وأزهار الحياة.

الفصل الثالث:
مُتلازمة ستوكهولم

بدون مقدمات..

دي ردود أفعال الستات «وبعض الذكور» في أحد جروبات السوشيال ميديا لما واحدة منهم سألت: في حالة ضرب الزوج لزوجته، إيه الإجراء القانوني اللي بيُتخذ علشان تجيب حقها؟

- **أختي الكريمة.. استهدي بالله وافتكري الحاجات الكويسة اللي عملها ليكي ولأولادك، وقدري ظروف زوجك، يمكن عمل كده لضغط منك أو استفزاز.. ما هو انتي مش ملاك بريء قاعد قدامه، أكيد عندك أخطاء وعيوب.**
- **واضح جدًّا من البوست بتاعك إنك من النوع الراس بالراس وأضربه زي ما ضربني.. الله أعلم بحالكم، لكن حكّمي عقلك واعملي مقارنة بين مزاياه وعيوبه ومزاياكي وعيوبك، واسترى بيتك هتكوني عنده حورية من الجنة.**
- **لو اتضربتي من غير سبب تروحي بيت أبوكي تقعدي شوية لما أعصابك تهدى، لو حس إنه غلطان وجه يصالحك روحي معاه وماتكبّريش الموضوع.**
- **تدعي له بالهداية، وماتسمعيش كلام حد.**
- **ماتسمعيش كلامهم، والله هيطلقوكي وماحدّش فيهم هينفعك. ارجعي لجوزك أفضل.**
- **روحي راضي جوزك وصالحيه، وخليه يوعدك إنه ما يضربكيش تاني.. وما صبرك إلا بالله، وحافظي على بيتك.**
- **استهدي بالله، واستعيذي من الشيطان كده وروقي.**
- **الصلح والصبر.**
- **تسامح وتعاتب برقة، ويعتذر، وتصفح وتستمر الحياة بمحبة الطرفين.**
- **تستحمل وتصبر بلاش فضايح.**
- **لو كانت الزوجة محترمة، تتقي الله في زوجها وتطيعه.**
- **نصيحة لوجه الله.. بداية تحرير المحضر، بداية خراب البيت.**
- **تشوفي عملتي إيه خلاه يتعصب بالشكل ده ويوصل إنه يضربك كمان.. وتصلّحي نفسك.. وتستغفري ربك.. وتراضي جوزك.. يمكن يصالحك ويرضى.**
- **عادي جدًّا.. إنما الموضوع لو على الفاضية والمليانة دون مُبرر، لازم نقطة ومن أول السطر.**
- **تشوفي انتي غلطتي في إيه وماعُدتيش تغلطي تاني.. بس مش أكتر.**
- **صلي على النبي كده وروّقي.. المسامح كريم.**
- **تقعدي في بيتك وتربي عيالك وتسمعي كلام جوزك.**
- **لو فيه أولاد، استحملي وسامحيه علشان الأسرة.**
- **تصبري وتحتسبي وربما تكوني استفزتيه بقوة.**
- **ما هو لو مش منكدة عليه عيشته ماكانش ضربها.**
- **ارجعي لمربط الفرس والعُقدة.. ضربك ليه؟ علشان انتي أميرة الأُمَرا؟ أكيد غلطتي وبيعاقبك.**
- **تشوف إيه الأسباب اللي وصّلته لكده، وتعالجها.**

****

سنة ١٩٧٣، حصلت حادثة سرقة بنك كبير في مدينة ستوكهولم بالسويد.. وخلال فترة التفاوض مع السلطات، احتجز المجرمون عددًا من الموظفين بالبنك كرهائن لمدة ستة أيام..

وخلال الستة أيام دول، حصلت حاجة غريبة جدًّا.. مالهاش تفسير واضح ومحدد لغاية النهارده.
اللي حصل إن الرهائن أصبحوا مُتعلقين عاطفيًّا بالخاطفين.. تعاطفوا معاهم.. حبوهم.. لدرجة إنهم رفضوا مساعدة المسئولين.. مش بس كده.. دول قاموا بالدفاع عن الخاطفين بعد انتهاء الأزمة..
ومن وقتها.. تم تسمية الحالة دي بـ«مُتلازمة ستوكهولم».. والدراسات والأبحاث اللي اتعملت عليها بعد كده لقيت إنها بتحصل في الستات أكتر من الرجالة..
مُتلازمة ستوكهولم باختصار هي إن الضحية تتماهى مع الجاني.. المظلومة (أو المظلوم) بتتعاطف مع اللي ظلمها.. تؤمن بنفس أفكاره.. تصير في صفه.. تُؤازره وتدعمه وتقف إلى جانبه.. وفي أحيان كتيرة، تكون أشد وأصعب منه..
قدرت تشوف العلاقة بين الحالة دي، وبين الفصل اللي فات؟ واللي قبله؟ طب واللي قبله؟ ولّا الكتاب كله؟
الحكاية دي بتفسر ليه ستات كتير في مجتمعنا بيصبحوا أكتر قسوة على ذواتهم وعلى الإناث بشكل عام من الذكور أنفسهم.. لدرجة إنهم بيبرّروا ليهم كل اللي بيمارسوه ضدهم همًّا شخصيًّا.. وبيدافعوا عن ظلم الذكور وقهرهم للإناث بشكل غريب ومُدهش وغير منطقي.. يتهموا بني جنسهم بالعُهر والفجور، وأحيانًا بالكفر، لما يحاولوا يقولوا للذكور من هذا النوع «لأ».. يطلبوا منهم الذل والخنوع والخضوع للمنظومة الذكورية الفاشلة بلا أي عقل أو تفكير أو فهم.. وأي واحدة تخرج عن هذا المألوف.. وتحاول تعقل أو تفكر أو تفهم.. تنهال عليها الاتهامات والسباب والشتائم.. وكأنها خرجت من المِلة.. لأ.. دول بيخرجوها من المِلة فعلًا.. ونظرة سريعة على جروبات الستات على السوشيال ميديا واللي بيحصل فيها هتوريك إن التشويه اللي حصل للستات ومن الستات أكتر بكتير من التشويه اللي حصل للرجالة.
هي دي الأم اللي بتقهر بنتها..
وهي دي الزوجة اللي بتسحق نفسها..
وهي دي الست اللي بتكره الست اللي زيها.
في عام ٢٠١٤، كتبت مقال عن أحد مشاهد مسلسل «تحت السيطرة».. حللت فيه ليه «هانيا» - اللي جسدتها «جميلة عوض»- رجعت تخبط على باب حبيبها «علي»- اللي جسده «محمد فراج»- اللي كان لسه سايبها وسط الصحرا لتاجر مخدرات يتعدى عليها ويغتصبها في مقابل جرعة من المخدر.. عارفين المدهش إيه؟
المدهش إنه من تاني يوم نشرت المقال ده، بدأت تيجي لي العيادة كمية هائلة من البنات والسيدات اللي أول ما يقعدوا قصادي، يقولوا لي: أنا زي «هانيا» بالظبط.. اللي بتحب وحبيبها مبهدلها.. واللي مخطوبة وخطيبها مطلّع عينيها.. واللي متجوزة وجوزها مكفّر سيئاتها..
المُدهش أكتر.. هو إجاباتهم كلهم - والمتشابهة تقريبًا -على سؤالي: طب ومكمّلة معاه ليه يا ستي؟.. مرة علشان «بحبه».. ومرة علشان «ما يمكن أنا السبب».. ومرة علشان «وهاعيش إزاي من غيره يا دكتور؟».
تصوّر ده بيعمل إيه في الرجالة؟ وبيعمل إيه في الستات؟
لو عاوز سبب واضح وصريح ومباشر -بعد تقمص الولد لنموذج أبيه -لخلق ذَكَر شرقي مُنقرض.. فهو ما تفعله المرأة الشرقية مع نفسها وسُلالتها..

لو حابب وصفة سريعة وجاهزة لعمل الذكورية الشرقية في المنزل.. فهو موقف المرأة الشرقية من أنوثتها وأنوثة مَن مثلها..
لو بتدور على أنجح الطرق وأكثرها مثالية لبث الذكورية الشرقية في أرواح الرجال والنساء على السواء.. هات بنت/أنثى في مجتمع ذكوري.. خليها تتعاطف وتتماهى مع قوة وعنف الذكورية التي قهرتها.. سويها على نار ستوكهولم الهادئة.. ثم أطلقها على الأجيال التالية من الإناث والذكور..
وللأسف الشديد.. الكل هنا ضحايا.. والكل هنا جُناة..
تعالى نشوف الست اللي بتمارس متلازمة ستوكهولم «بنُسختها الذكورية الشرقية» على نفسها وعلى بنات جنسها، ممكن تعمل إيه.. من خلال أمثلة حقيقية صاغها رجال ونساء بألسنتهم إجابة على سؤالي على السوشيال ميديا «إزاي الستات في مجتمعنا بيقهروا الستات اللي زيهم أكتر من قهر الذكور ليهم؟»- شوف السوشيال ميديا مُعبرة وكاشفة وفاضحة للتركيبات النفسية المجتمعية إزاي:
- **الأمهات اللي بتطلب من بناتها يخدموا أخوهم، وتجبرهم يستحملوا إهانة وضرب من أجوازهم ويقولوا استحملي.**
- **المرأة اللي مقتنعة بأنها ضعيفة وإنها عورة وبلا حقوق، تقوم بمحاربة المرأة العاقلة اللي تطالب بحقوقها.**
- **الأم اللي بتربي البنت إن آخرها في الدنيا هو الجواز، وإنها تبني كل حياتها حوالين الفكرة دي بس. في نفس ذات الوقت نفس ذات الأم بتتعامل مع الابن على إنه نصف إله، له الحق في كل حاجة ومش مطلوب منه الهوا، ولو حد سألها تقول ده راجل.**
- **الأم في البيت المصري أغلب الأوقات بتُنصر الولد على البنت، يعني مثلا قومي اعملي لأخوكي كذا و... و... و...**
- **لو واحدة حد اتحرش بيها في مواصلات مثلا، وزعّقت للمُتحرش وحاولت تطلب البوليس، أول ناس بتيجي عليها الستات اللي موجودين، بيفضلوا يقولوا لها: «خلاص بقى»، «ما تقعدي في بيتك وماحدّش يقرب لك»، «هتضيعي مستقبله»، «هتفضحي نفسك». قليل أوي لما ست منهم تقف جنبها وتاخد صفها.**
- **لو واحدة اشتكت مثلا إن جوزها بيخونها وعايزة تطلق، أول كلمة بتتقال لها من الستات: «ما كل الرجالة كده، وبنعيش وعادي، ماتخربيش على نفسك، حرام عليكي ولادك، وهو مسيره يرجع لك، ودي نزوة وهتعدي، ماتسيبيهوش للتانية تنتصر عليكي».**
- **طول عمري بقول إن الست هي أكبر عدو للست، كفاية إن الأمهات بتربي ولادها إنهم مايعملوش حاجة، وإن أختهم البنت هي اللي تخدّم عليه. كفاية إننا عُمرنا مابنغلّط الراجل حتى لو غِلِط، ولازم تبقى الست هي اللي زعّلته، والمفروض إنها تبذل مجهود علشان تعجِب الراجل، في حين إنه هو ما يبذلش أي مجهود علشانها. والمفروض إنها تاخد بالها من كل كلمة هي بتقولها، لكن هو لأ. وإنه غلطه ممكن يتصلح لكن غلطها لأ.**
- **يا دكتور أنا لما باكتب بوست عن العنف ضد المرأة، بلاقي الستات أول ناس تقولي الضرب مكتوب في القرآن واتعمل للتأديب. أو لما تلاقي واحدة بتقول على ست زيها خطّافة رجالة وخرّابة بيوت، وتشيل كل المسئولية من على الراجل المخطوف ده، وتلبّسها لست زيها. لما**

تلاقي واحدة بيتم التحرش بيها وتلاقي الستات هي اللي بتقول لبسها وهي السبب وإيه اللي ودّاها هناك.

• لما ست بتقرر إنها توقّف أي ظلم بتتعرض له أيًّا كان في زواج أو شغل بتلاقي أول ناس يلوموها هما الستات المقهورات زيها، وأول كلمة: «يا اختي ما ياما بيتعمل فينا وبنسكت»، «أصل بنت الأصول لازم تتحمل»، «أصل الست المحترمة لازم تستحمل».

• فيه قصة مشهورة في بلد ما، كان فيها حرب والجنود اغتصبوا كل ستات المدينة إلا واحدة قتلت الجندي اللي كان بيحاول يغتصبها، وقطعت راسه، وطلعت تمشي في الشارع بيه، الستات اتجمعوا وقتلوها.

• الحماة مع مرات ابنها، وإصرارها على تخريب العلاقة إلى الوصول للطلاق.

• تقفل ميّة ونور على بنتها لغاية ما تموّت طموحها، وتسيب ابنها حر تمامًا لدرجة إنه يضيّع حياته. تضغط وتعيب على مرات ابنها علشان تتحمل بلادته. تبقى البنت في كلية صيدلة وتقوّمها من مذاكرتها تعمل شاي لأخوها اللي بيمتحن إعدادية.. تبقى هي أرملة ولّا مُطلقة وترفض ابنها يتجوز مُطلقة.

• لو واحدة اتعرضت لحادثة تحرش، حتى لو لبسها محترم، الستات بتلومها. لو واحدة عرفت إن ابنها مصاحب بنت بتلوم البنت مش ابنها. لو لقت زميلتها في الشغل ناجحة عنها هتقول ما تتهد وتقعد في بيتها وسط عيالها. لو جوزها اتجوز عليها بيبقى هو ملاك بريء وهي زي الفل والتانية خطفته وتحسبن عليها.

• تفرقتها في المعاملة بين البنت والولد من الصغر. لما تيجي تختار لابنها عروسة تتنمر على شكل ولون وجسم وشعر وأسنان العروسة. وأكبر مصيبة تربيتها للولد إنه راجل ويعمل اللي عاوزه مايعيبوش غير جيبه، والست خدامة ووسيلة للمتعة، ولو اعترضت تقول له اضربها وهينها وطلقها واتجوز عليها.

• أي ست بتمسك منصب وبيبقى ليها سلطة، عمرها ما بتعذر أي واحدة بتشتغل معاها، وبتطلّع عُقدها عليهم.

• اقتناعها التام إن المطلقة فاشلة ومعيوبة حتى لو بنتها.

• أول ما المجتمع قالها انتي قيمتك إنك تجيبي ولد وغير كده انتي صفر، على طول بقت شخصية ذكورية، وربّت الولد غلط نتيجة إحساسها إن ده قيمتها، وفضّلته على إخواته البنات وهكذا.

• الأم اللي بترفض طلاق بنتها رغم إيمانها وتيقنها من استحالة الحياة وسوء خلق الرجل. المديرة اللي بتحارب مرءوستها وتتفنن في قهرها، بل وتحارب ترقيتها. الحماة اللي بتدفع ابنها للجواز التاني وهي أكتر مَن اتكوى بناره.

• الجدة والأم والعمة اللي بيجبروا البنت على الختان.

• الأمهات اللي بتربي بناتها بنفس الطريقة اللي اتربت بيها، مع إنها كانت بتعاني ومظلومة ومضغوطة. ولما تسألها ليه بتكرري نفس اللي حصل لك؟ تقول لك: وأنا مالي، ما أنا زي الفل أهو.

• لما واحدة يبقى جوزها مطلّع عينيها، وتيجي أمها أو حماتها يقولوا لها: عيشي ما إحنا حصل فينا كده وعيشنا. طب أنتم قبلتم إنكم تتكسروا وتتهانوا، ليه إحنا كمان نبقى زيكم؟

• أحيانًا اللي بيفشل في الحصول على حريته، بيغضب عند حصول الآخرين على حريتهم. بس الأكيد إن فيه مكان مُخصص في الجحيم للستات اللي مابتساعدش الستات في الحصول على

حقوقهم الطبيعية.
• إن أم ترفض إن ابنها يتجوز مطلقة، وممكن تكون هي شخصيا مطلقة. حاجة كده لا يصدقها عقل.
• الختان.. الأم بتصر إنها تعمل ختان لبناتها، رغم إنها عارفة إنها تجربة نفسية وعضوية متوحشة.
• لما تلاقي ست بتدافع عن حقوق ست تانية، والتانية دي تغلط فيها وتقول لها: انتي مجنونة وعاوزة تبوّظي لي حياتي.. مع إنها بتفهمها حقوقها.
كل اللي فات ده يقول لنا إيه؟
يقول لنا إن اللي بيدّي الذَّكَر أكتر من حقه.. ست..
واللي بتبخس الست حقها.. برضه ست..
اللي بيقوّي الولد.. ست..
واللي بيضعف البنت.. ست..
اللي بيُنصر الذَّكَر.. ست..
واللي بيهزم المرأة.. برضه ست..
المرأة قد تكون أحيانًا أكثر «ذكورية شرقية» من الذَّكَر الشرقي نفسه.. وفي مجتمعنا مش أحيانًا.. ده غالبًا..
طيب إيه اللي شوّه المرأة بالشكل ده؟ مين اللي عمل لها غسيل مخ للدرجة دي؟ إزاي اتطمست فطرتها وأنوثتها وحقيقتها كده؟
ده بالظبط زي سؤال الفرخة الأول ولَّا البيضة؟
اللي عمل كده أم.. ست.. ربّاها ذَكَر.. ربّته ست.. وهكذا..
وأب.. ربّته ست.. ربّتها ست.. ربّاها ذَكَر.. وهكذا..
واتكوّن مجتمع.. أعمِدتُه الأساسية هذا الأب.. وهذه الأم..
حلقة مفرغة من التدمير ما تعرفش أولها من آخرها..
تكرار قهري لمشاهد المُعاناة والحرمان والألم..
إعادة إشعال للنار بيد مَن اكتوى بها..
مجتمعنا (زي ما زوجتي العزيزة دايمًا بتقول) من على الوش كده تشوفه أبوي ذكوري، إنما لو شِلت الطبقة دي، هتلاقي تحتها طبقة أعمق عبارة عن تسلُّط واحدة ست كرهت نفسها والستات اللي زيها، وأنتجت عاهات ذكورية مُنقرضة. حتى ميل توازنات القوى المجتمعية لصالح الذَّكَر، تلاقي إن اللي ماسك خيوطها واحدة ست.. فالذكور بمفردهم أضعف بكتير من إنهم يقهروا مجتمعات كاملة لعصور طويلة من غير واحدة ست بتقول: أيوه برافو يا حبيبي، إنت كده راجل، وانتي يا حبيبتي استحملي شوية واستُري نفسك.
فاكر «جَنى»؟ الطفلة المصرية اللي عمرها ٤ سنوات.. اللي ماتت من آثار التعذيب والحرق والسلخ؟ عارف مين اللي عذّبها وكوى رجليها وأماكنها الحساسة بالنار؟ جدتها..
عارف مين أكتر حد بيستخدم مَثَل «اكسر لها ضلع، يطلع لها أربعة وعشرين»؟ الستات.. مش الرجالة..
عارف مين بيدافع عن ختان الإناث بكل حماس وتوحُّش؟ برضه الستات.. مش الرجالة..

يبقى اللي بيصنع الذَكَر الشرقي مش بس ذَكَر شرقي زيه- أبوه- سي السيد بكل أشكاله وألوانه المتعددة.. لأ..

ده اللي بيساهم في صُنعه «وبشكل أكبر» امرأة شرقية أصابها من التشويه أكثر مما أصاب الذَّكَر.. من أول الأم اللي ربته.. مرورًا بالأخت اللي خدمته.. وانتهاء بالزوجة اللي ارتضت الدهس تحت قدميه..

وبيساهم كمان في صياغته وتكوينه مجتمع غاشم.. ذو ثقافة ذكورية.. وأعراف ذكورية.. وسلوكيات ذكورية.. مجتمع قدر يعمل نُسخة ذكورية من العرف.. ونسخة ذكورية من العادات والتقاليد.. بل ونسخة ذكورية من الدين.. هي أبعد ما يكون عن الدين الحقيقي.. نسخة خاصة ابتدعها الذَّكَر الشرقي.. والمرأة الذكورية الشرقية.. وتفننوا في ذلك أي تفنن..

خد بقى نفَسَك شوية..

وتعالى كمّل..

علشان من هنا ورايح..

اللي جاي.. خبط ورَزْع فوق الدماغ.. بالمعنى الحرفي..

الفصل الرابع:
زي الشمس.. لما تنطفي

في كلامنا عن «مُتلازمة ستوكهولم».. قُلنا إنها بتحصل للستات أكتر من الرجالة..
مصطلح «مُتلازمة ستوكهولم» نفسه ارتبط بعد كده بفتاة اسمها «باتي هيرست»، وهي ابنة أحد الأثرياء من كاليفورنيا. البنت دي اختطفها بعض المسلّحين الثوريين عام ١٩٧٤، وبعد شوية بدأت تتعاطف مع مُختطفيها لدرجة إنها شاركتهم في إحدى عمليات السطو، قبل ما ينتهي بيها الأمر بإلقاء القبض عليها.. ثم الحكم عليها بالسجن. إلا أن محامي الدفاع عنها قال إنها قد خضعت لعملية غسيل مخ، وإنها كانت تعاني من «مُتلازمة ستوكهولم».
طيب أعرف إزاي يا دكتور إذا كنت ممكن أكون كده في يوم من الأيام؟
إيه العلامات اللي ممكن تكون فيّا وفي شخصيتي تقول لي إني مؤهلة «لمُتلازمة ستكوهولم»؟
إيه نوعية الستات المُعرضات أكتر للحكاية دي؟ وإيه اللي فيهم يخليهم قابلين للتأثر بهذه المتلازمة؟
إيه اللي يخلي واحدة تتعاطف مع اللي ظلمها وداس عليها وبهدلها.. وكمان تدافع عنه.. ثم تحذو حذوه؟
ليه حد يعمل في نفسه كده؟
يمكن لو عرفنا.. نوعَى ونفوق..
يمكن لو فهمنا.. نوقّف ونبطّل..
ويمكن لو اكتشفنا.. نرحم نفسنا ونرحم غيرنا..

***

نور: بحبك أوي.. أنت بتحبني، مش كده؟
عمر (خطيبها): صمت.
نور: عمر.. إيه الكلام اللي «فريدة» بتقوله ده؟ الكلام اللي فريدة بتقوله ده مش حقيقي.. صح؟
عمر: لأ يا نور.. هي مابتكدبش..
نور: يبقى أكيد هيّ اللي عملت كده، أنا عارفة فريدة، فريدة أختي دايمًا بتعمل الحركة دي، وأنت مابتحبهاش ولا حاجة، بتحبني أنا.. صح؟ بتحبني أنا يا عمر؟
عمر: ... (صمت).
نور: طب ليه كدبت عليّا وقولت لي إن أنت بتحبني؟
عمر: لأ يا نور أنا ماكدبتش عليكي.. أنا حبيتك فعلًا..
نور: وهي...؟
عمر: إحنا...
نور (مُقاطعة): انتوا مين؟ انتوا مين؟ إنت وأختي؟ أختي الحامل من خطيبي؟ انتوا مين؟ انتوا دي كانت إحنا.. أنا وأنت.. والبيت ده.. اللي إحنا ناقص لنا أسبوعين ونتجوز فيه.. كل الحاجات دي كانت إيه؟ بتضحك عليّا ليه؟ بتعمل كده ليه؟
عمر: ما تعمليش كده في نفسك..
نور (راكعة تحت رِجل عمر): طب أعمل إيه؟ طب أنا آسفة والله.. والله أنا آسفة وحياة ربنا.. طب أنا مسامحاك.. أنا مسامحاك.. مش مشكلة.. مش مشكلة لو غلطت.. والنبي أنا آسفة..

ماتعملش كده والنبي.. والنبي يا عمر.. أنا آسفة.. طب شوف أنا غلطت في إيه.. والله العظيم ما هاعمل كده تاني.. وحياة ربنا.. أنا آسفة.. أنا كويسة والله.. مش هاعمل حاجة تاني والله..

***

أكتر حاجة كانت صادمة بالنسبة ليَّا في المشهد ده من مسلسل «زي الشمس» رمضان ٢٠١٩، مش إن «نور» ركعت تحت رجلين خطيبها «عمر» تتأسف له وتعتذر له وتترجاه (إنها هي اللي تسامحه وهي اللي تعرف غلطها وماتكررهوش).. ولا إن «عمر» خانها مع أختها.. ولا إن ده حصل وباقي على جوازهم أيام.. لأ.. أكتر حاجة صادمة ليَّا هي إني باشوف الحكاية دي وباسمعها بشكل يومي عشرات المرات..

المؤلم مش بس إن حد يخون حد، أو حد يُؤذي حد.. المؤلم أكتر هو إن الضحية تعتذر للجاني، وإن اللي اتأذى يتأسف للي أذى، وإن اللي اتخان يركع تحت رِجل اللي خان..

فيه فصيلة من البشر اسمهم «Empaths- المتعاطفون»، حوالي ٢٠٪ من الناس.. دول أكتر ناس بتحصل معاهم قصة «مُتلازمة ستوكهولم»، وبتتكرر دايمًا في حياتهم بصورة صعبة، وغريبة، وموجعة.. اتكلمت عن تركيبة مخ الـ«Empaths» في كتاب «لأ بطعم الفلامنكو».. تعالى دلوقت نشوف تركيبتهم النفسية بالتفصيل.. أحسن تطلع/ تطلعي منهم.. وبعدها نعرف هنعمل إيه..

الشخص المتعاطف (Empath) هو الشخص اللي عنده القدرة إنه يضع نفسه مكان الآخرين ويحس بيهم وبمشاعرهم وباحتياجاتهم.. وبعدين يرجع مكان نفسه تاني، ويتعامل مع اللي قدامه بناء على هذا الإحساس، ويقدره بناء على هذه المشاعر، ويلبي احتياجاته كما شعر بها عنده..

لكن أحيانًا تحصل مشكلة.. وهي إن الشخص ده لما يحط نفسه مكان حد، بدل ما يرجع نفسه تاني، يعلق هناك شوية.. آه بجد والله.. يفضل هناك (عند الآخر) لوقت أطول، وعُمق أكتر من اللازم.. فيحس بيه أوي.. ويغرق في مشاعره بزيادة.. ويتوجع لاحتياجاته أكتر من صاحبها شخصيًّا.. وتتحول الحكاية من «التعاطف» إلى «التقمص»، وبعد شوية لما يرجع مكان نفسه، يبقى مش «بس» عاوز يساعد ويقدّر ويحترم ويلبي.. لأ.. ده يتصور إنه هو شخصيًّا سبب الوجع، ومسبب الأذى، ومصدر الحرمان.. ويتخيل فعلًا إن الطرف التاني «ضحية».. ضحيته هو.. رغم إنه ماعملش أي حاجة.. أو عمل حاجة عادية جدًّا.. أو أصلًا هو اللي اتعمل فيه.. ويبدأ يحس بالذنب.. ولوم النفس.. وجَلْد الذات.. ويعتذر.. ويتأسف.. ويغرق في دور «الجاني» اللي ماجناش على حد.. وبعدين في دور «المنقذ».. اللي مش هيعرف بعد شوية ينقذ حتى نفسه.. ثم يتحول أخيرًا إلى «ضحية» حقيقية لمَن كان يعتقد أنه قد جني عليه..

أنت قدام حد بيتنقل ما بين أضلاع ورءوس وزوايا مثلث العلاقات لغاية ما يتقطع نَفَسه..

كل ده لأنه (أو لأنها.. وده الغالب) بتحس بزيادة.. وتتعاطف بزيادة.. وتلوم نفسها بزيادة..

الأشخاص دول زي ما يكون عندهم قرون استشعار لآلام مَن حولهم.. وريسيفرات هوائية لاقطة لمُعاناة من يحبون.. وكأنهم يجذبونها.. ثم يمتصونها.. إلى أن تتحول إلى أجزاء منهم.. لدرجة إنهم أحيانًا بيشعروا بآلام جسدية حقيقية لو شافوا حد بيتألم جسديًّا.. وتتلون أيامهم بالبؤس التام لو مرّ أحد البائسين بجانبهم.. وقد لا ينامون الليل بطوله.. من مشهد قطة تمشي وحيدة على أحد الأرصفة..

مِنحة ربانية عظيمة.. يملؤها الشعور المرهف والأحاسيس العالية.. تتحول إلى لعنة يومية بشعة.. عند أول مُستغل يطرق الباب..

أيوه.. بالظبط..
علشان اللي بيلقط النوع ده من البني آدمين.. واللي بيعرف يميزهم ويختارهم ويصطادهم.. هم المستغلين.. والنرجسيين.. والسيكوباثيين.. أو كلهم مجتمعين في شخص واحد أحيانًا..
قبل ما أتكلم بقى عن العلاقة بين النرجسي والمتعاطف/ة- Empath، واللي صال فيها التحليل النفسي وجال.. خليني أقول لك في نقط سريعة باقي صفات هذه الفصيلة الخاصة من البشر (زي ما وصفها الباحث أندريه سولو):
- **بتحس بمشاعر وآلام الآخرين بدرجة كبيرة وكأنها تخصك.**
- **تيجي لك أحيانًا نوبات مفاجئة من المشاعر الجياشة، وبدون أي مقدمات (حزن شديد مفاجئ، ألم نفسي غير متوقع،...).**
- **بتهتم بروح الأماكن أكتر من الأماكن نفسها.. وبالانطباعات الأولى أكثر مما بعدها..**
- **بتحس وتفهم اللي قدامك من غير ما يتكلم أو يُحسن الصياغة أو يُجيد التعبير.. لأنك بتحط نفسك مكانه بسرعة..**
- **بتسمع أكتر ما بتتكلم، وتصغي أكتر ما بتصيغ، وده بيخلي اللي حواليك يحكوا لك، ويشكوا لك، ويفضفضوا معاك.**
- **بتحس بجسمك زي ما بتحس بمشاعرك.. وبتتألم بجلدك زي ما بتتألم بقلبك..**
- **ما بتستحملش مناظر العنف والدم والدراما والمآسي الإنسانية.. حتى لو كانت في التلفزيون.. حتى لو كانت خيالية..**
- **لما تحب.. بتحب أوي.. بتغرق في الحب.. ومش بتمسك نفسك في التعبير عنه والتصريح بيه.. حتى مع الأطفال.. حتى مع الحيوانات..**
- **سهل أوي في أي علاقة إنك تسمح للطرف التاني إنه يخترق حدودك.. أو يتدخل في شئونك وخصوصياتك.. أو يستغلك.. أو- بالبلدي- يبلعك..**
- **لما اللي قدامك يكدب عليك بتحس.. لما يخدعك بتحس.. لما يتلاعب بيك بتحس.. بس مش دايمًا بتصدق إحساسك.**
- **تأثيرك على اللي حواليك مُلَطِّف.. مُهوِّن.. مُساعد.. و- حرفيا- بيوصفوك بإنك «زي البَلْسَم»، ما تقدرش تشوف حد محتاج مساعدة وما تساعدهوش.**

نقول كمان..
منحة ربانية عظيمة.. يملؤها الشعور المرهف والأحاسيس العالية.. تتحول إلى لعنة يومية بشعة.. عند أول مُستغل يطرق الباب..

****

ييجي بقى ذَكَر نرجسي أناني مُستغل.. مش بيهمه غير نفسه.. ومش بيشوف غيرها.. شخص يذبح من أمامه بكل برود فقط ليُثبت وجوده.. ووجوده- بالنسبة له- لا يعني إلا سحق الآخرين.. طفل جريح مهزوم.. داخله وحش كاسر مفترس.. يلتهم أول يد تمتد لمساعدته..
الشخص ده بقى لما يدخل في علاقة حب.. يختار مين؟
أيوه.. عليك نور.. يختار حد «Empath».. حد يحس بيه بزيادة.. ويقدّره بزيادة.. ويلبي له احتياجاته بزيادة..
يختار حد بيتصور طول الوقت إنه مُقصِّر.. ومُذنب.. ومُلام..
حد حاسس إنه مُضطر يكفّر عن ذنوبه وسيئاته وأخطائه طول الوقت..

حد بيفضّل اللي قدامه على نفسه.. ويسمح له يدوس عليه بكل أريحية.. لمجرد إنه يرضى.. ويتبسط.. ويشبع.. لكنه في الحقيقة.. لا هيرضى.. ولا هيتبسط.. ولا هيشبع.. لأنه بالظبط زي مصاص الدماء.. كل ما يمص دمك.. نفسه تتفتح أكتر..
الذكور النرجسيون بيبهدلوا الستات اللي معاهم عاطفيًّا.. ويشرَّحوهم نفسيًّا.. ويجننوهم عقليًّا.. دائرة مغلقة بائسة من الجذب والتدمير (Attraction- Destruction).. تنتهي بإنه يرميكي تحت رجليه..
يتلاعب بمشاعرِك.. ويحسّسِك بالذنب والتقصير ولوم النفس عمّال على بطال..
يشككك في نفسك.. ويغيّر استقبالك ليها.. ويشوّه رؤيتك لملامحك انتي شخصيًّا.. حتى في المراية..
يعيش على تضحيتك.. ويستنزف عطاءك.. ويغذي نرجسيته بإحباطك وكَبْتك وإخفات نورك يوم بعد يوم، وساعة بعد ساعة، وثانية بثانية، حتى آخر شعاع باقٍ.. من شمسك اللي كانت مالية الدنيا بالوهج والنور..
وغالبًا.. بعد ما يطّمن إنه مَلَكك.. وفرد شباكه حواليكي.. وخلى كل خيوطك في إيديه.. يخونك.. أيون.. يدور على ضحية جديدة يمص دمها.. ويستمد منها الحياة.. زي دراكولا بالظبط..

***

أهو الناس الـ«Empath» دول.. واللي معظمهم ستات.. وبناء على كل العرض والتفصيل السابقين.. هما المشروع الناجح لـ«مُتلازمة ستوكهولم».. وخير استثمار لهذه الظاهرة..
امرأة «Empath»، تقع في شِبَاك ذَكَر نرجسي.. يظلمها ويهلكها ويدوس عليها.. فتتعاطف معاه، وتدوّر له على مُبررات، وتسامحه.. يدوس أكتر.. تتعاطف تاني، وتشوف له مبررات جديدة، وتعذره.. يسحقها ويدهسها ويحطمها.. فتتحول أخيرًا -هي ذاتها- إلى نسخة منه.. مع نفسها أولًا.. ومع كل مَن يشبهها ثانيًا..
دي حكاية الأنثى الشرقية..
وقصة تحوّلها من إنسانة مُرهفة حساسة..
إلى جلّادة لنفسها ولبنات جنسها..
في سيناريو صعب جدًّا.. ومؤلم جدًّا.. ومُتكرر جدًّا جدًّا..
عنوانه الكبير: كيف تصنع ذَكَرًا شرقيًّا؟
وكأني باشوف قدّام عينيَّ طفلة.. بتطلَعْ لها أنياب..
وكأني أرى امرأة تم اغتصابها.. تنتقم من نفسها وتعاقبها..
وكأني أشاهد أم.. تقتل بناتها وأبناءها بيديها..
وتاني..
السيناريو ده مافيهوش ضحية وجاني..
الكل ضحايا والكل جُناة..
ضحايا أنفسهم..
وجُناة على أنفسهم..
وتكتمل المأساة.. لما مجتمع بكامله يقنع «البنت» إن شغلها في الدنيا هو راحة أخوها «الولد»..
ولما أُسَر وعائلات كبيرة وصغيرة تعمل غسيل مخ «للزوجة» من أجل وفي صالح «الزوج»..

ولما كل دول ودول يرسموا- مع سبق الإصرار والترصد- صورة واحدة «للأم» المثالية في العقل الجمعي الذكورى الشرقي..
عارف الصورة دي؟
أكيد عارفها..
جاهز لرؤية الجانب الآخر منها؟
ماشي.. يلَّا بينا..
لأ استنى لحظة..
عاوز أقول لك إن الأمريكية «باتي هيرست»، اللي مُحاميها دافع عنها وقال إنها اتعمل لها غسيل مخ وحصل لها «مُتلازمة ستوكهولم»، ما أخدتش براءة.. دي اتحكم عليها بخمسة وتلاتين سنة سجن.. تم تخفيفهم إلى سبعة بعد ذلك..
مش قولت لك: فيه جريمة عملها اتنين.. ذنب المقتول ذنب القاتل.. أصله استسلم..

الفصل الخامس:
الأم المثالية

اسأل نفسك دلوقت سؤال بسيط جدًّا..
إيه هي مواصفات «الأم المثالية»؟
هتلاقي صورة ذهنية واحدة «غالبًا» نطّت في مُخيلتك.. واحدة ست.. كبيرة في السن.. أرملة أو مطلقة.. ربّت عيالها لغاية ما كبروا واشتغلوا واتجوزوا وخلفوا.. مع بعض التنويعات والتباديل والتوافيق..
تاني..
واحدة ست.. تكون قررت بعد ظروف قاسية.. إنها تنكر احتياجاتها الإنسانية والنفسية الطبيعية.. وتعيش علشان حد غيرها..
واحدة ست.. دفنت بعض أجزائها النفسية حية.. وفوّتت على نفسها فرص حقيقية لحياة أفضل هي ومَن تعول..
واحدة ست.. نسيت إنها ست.. إنسانة.. أنثى.. لها حقوق..
الأسئلة اللي حضرت في عقلك دلوقت هي بالظبط نفس الأسئلة اللي حضرت في عقل مُعظم اللي بيقروا هذا الكلام: يعني أنت عايزها تشوف نفسها وتسيب عيالها يا دكتور؟ يعني تتجوز وتهملهم؟ تستمتع بالحياة وتنساهم؟
السبب في كل هذا الاستغراب وكل هذه الأسئلة حاجة مهمة جدًّا، اسمها «القالب الذهني المجتمعي»..
مجتمعنا- زي أي مجتمع- عمل قوالب ذهنية لبعض المعاني.. ومنها معنى «الأم المثالية».. اللي هي طبعًا أحد مشتقات «المرأة».. وانتم خلاص عرفتوا بقى يعني إيه «امرأة» في مجتمع ذكوري..
امرأة يعني حد بيضحي بكل شيء وأي شيء علشان رضا وسعادة ومتعة وانبساط الرجل.. حد مالهوش أي حقوق في الحياة إلا بعد أكل وشبع ونظافة وتنظيم وتجهيز وتدليع الرجل.. امرأة يعني انسحاق وذُل وموت نفسي بطيء.. وحتى لو خان أو مات أو طلّق هذا الرجل.. فمن الواجب «مُجتمعيًّا» عليها إنها تستمر في مسلسل التضحية والتفاني وإنكار الحقوق الإنسانية البسيطة على نفسها، علشان في الآخر نصقف لها ونقول لها برافو.. ونسميها «الأم المثالية»..
طيب والست اللي بعد ما جوزها يموت تتجوز تاني؟ دي ست مش محترمة..
والست اللي بعد ما تطلق تشوف لنفسها عريس؟ دي ست لامؤاخذة..
والست اللي تحب تعيش الحياة؟ دي مستصغرة نفسها..
أنا عمري ما سمعت في أي بلد في الدنيا عن حاجة اسمها مسابقة الأم المثالية.. (The Perfect Mother)، وآخر ما أعلمه من توصيف نفسي للمثالية (Perfectionism) هي إنها شكل من أشكال الانتحار..
الأم اللي تدي نفسها الحق في الحياة، وماتطفيش نفسها لأي سبب من الأسباب.. هي في الحقيقة أم جديرة بالاحترام..
والأم اللي ما تنساش إنها أنثى ليها احتياجات وحقوق.. هي أم جديرة بالتقدير..
والأم اللي تعلّم أولادها إنه ما ينفعش تدفن نفسها بالحياة علشانهم ولا علشان أي حد، هتطلّع أجيال برضه ماتدفنش نفسها بالحياة ولا تسمح لحد إنه يدفنها بالحياة.. بدلًا من المفهوم

المتوارث للمرأة الطيبة والأم المثالية على إنها «ضحية» أجادت «التضحية» بنفسها.. ووصّلت لأولادها وبناتها معنى غلط للأمومة، ومفهوم خطأ للأنوثة، وصورة مُشوّهة للحياة.. وأهلا بيهم كلهم في العيادات النفسية..
بس الذكورية الشرقية المجتمعية تروح فين بقى؟
يعني إيه امرأة حُرة؟ يعني إيه تدي نفسها فُرص جديدة؟ ليه ما تحرمش نفسها من حقها في الحياة؟
يعني إيه واحدة ست ماتبقاش مُكبلة بهموم مَن حولها، ومغلغلة بسلاسل شئونهم وأحوالهم؟
إزاي بنت.. أو زوجة.. أو أم تعيش وتحيا لحسابها.. مش لحساب أبوها وأمها، وبعدين جوزها، وبعدين أولادها؟
إيه بقى الطُّرق اللي نقدر بيها نلبّس هذه الأم الدور ده.. ونقيّفه عليها.. ونخليها كمان تحبه.. وتسعى له؟
أولًا: نبتزها عاطفيًّا.. نفهمها إنها لما تفكر في نفسها تبقى أنانية.. نحسّسها بالذنب لو قالت في يوم «ده حقي»..
ثانيًا: نفهّمها إنها -بإنكارها لذاتها واحتياجاتها وإنسانيتها- بترضي ربنا.. وبتتقرب إليه..
ثالثًا: لما تعمل كده.. نسمّيها «الأم المثالية»..
خلطة سحرية نابعة من عقلية ذكورية بامتياز..
تركيبة نفسية ومُجتمعية تُشوّه أي امرأة باقتدار..
تدوس على نفسها.. ونقول دي «بتضحي»..
تنتحر نفسيًّا ومعنويًّا.. ونصور لها إنها «شهيدة»..
تعيش حياتها جافة وحيدة.. ونمنحها شارة «قِدّيسة»..
خلّيني أزيدك من الشِّعر بيتًا.. لأ بيتًا إيه.. خليني أزيدك قصائد ومُعلقات..
دي بعض إجابات الناس عن سؤال: إيه الصورة أو المواصفات اللي بتيجي في ذهنك أول ما تسمع كلمة «الأم المثالية»؟:

- أُم من غير راجل حتى لو عايش.
- المُتفانية المُضحية.
- أُم بتعرف تدّي ولادها كل حاجة.
- أُم لوحدها تحدّت ظروف صعبة، وربّت أبناءها تربية سليمة عوّضتهم فقدان الأب.
- كريمة مختار.
- التضحية، الاحتمال، العزيمة.. مسئولية كبيرة.. وجه كبير في السن مُبتسم.
- أمي.. باشوفها مثالية.. بتعمل كل حاجة علشانا وعلشانا وبس.. وبتضحي حتى بصحتها.
- واحدة جوزها ميت وبتربي عيالها لوحدها.
- الأم المثالية بالنسبالي مش صورة «أم» محددة، لكن صورة أولادها.
- أي أم بتضحي براحتها ووقتها وعُمرها علشان ولادها.
- الست المطحونة اللي بتشقى على عيالها، وفي الغالب زوجها مُتوفي أو مريض، عاشت حياتها تربي عيالها وتعلّمهم وتصرف عليهم.
- إنكار الذات والاحتواء.
- أم ضحّت بحاجات كثيرة واستحملت واتنازلت علشان أولادها.

• واحدة ست فقيرة ومش مُتعلمة، ضحّت عشان ولادها على حساب نفسها، عشان تعلّمهم وتلبّسهم.. واحد منهم لازم يكون دكتور.. والتاني ظابط.. والتالت مهندس.
• الأم المُضحية من أجل أولادها، اللي بتحرم نفسها من أي شيء عشان خاطرهم، وخصوصًا لو مافيش أب يشيل معاها المسئولية.
• الشمعة التي تحترق من أجل الآخرين.
• الأم اللي بتحرق نفسها وتضحي عشان الكل.
• أرملة أو مُطلقة عاشت لولادها بس، ودخّلتهم كليات «قمة».
إيه رأيك؟
فيه كام حد جاب سيرة «الأم اللي بتحب نفسها»؟
كام مرة ذُكرت كلمة «تحافظ على صحتها»؟
مين قال «الأم اللي تحقق ذاتها»؟
يا عزيزي..
نحن أمام أكبر عملية تزييف في التاريخ..
أمام خطوات عملية وتفصيلية مُذهلة لصناعة وتعبئة وتغليف الذكورية الشرقية وتوصيلها لكل منزل..
نحن أمام سجن كبير.. من ذهب..
صنعنا قُضبانه- على أعيننا- الواحد تلو الآخر..
ثم حبسنا فيه أمهاتنا..
كُلهن.
حد هيسأل: ليه أقول على ده مساهمة في صناعة الذَّكَر الشرقي؟ إزاي الأم دي هتكون شريك في هذه الصناعة؟ فين استفادة الذكور من القصة دي كلها؟
أقول لك..
معنى إن الأم تخرج من هذا القالب المجتمعي السميك، هو إنها تبطل تكون مُرضعة وخادمة وأسيرة في قصر أحد الذكور..
وكونها تتجوز بعد طلاق أو وفاة، أو حتى تفكر في ده من قبيل تلبية احتياجاتها النفسية والعاطفية والجسدية، ده يضعها فورًا في خانة العاهرة بالنسبة لذكور عاوزينها دايمًا في خانة الأم.
الأم اللي تعمل كده هي في الحقيقة بتطلّق كل ذكور المجتمع طلاق بائن، وبتتحلل من بُنوتهم ونكوصهم المرضي للأبد..
صح؟
طب ولما تفضل في القالب ده وما تخرجش منه.. وتكمل إنكار ودفن لاحتياجاتها النفسية والجسدية.. وتستمر في زواجها النفسي من أبنائها.. وتفضل حبيسة سجن «الأم المثالية».. مش تبقى كده بتشارك وتساهم في صناعة الذَّكَر الشرقي؟
آه طبعًا.. وبكل جدارة..
خلي بالك.. فيه تويست لطيف في الحكاية دي.. وهو إن اللي صنع هذه الأم المثالية.. هو المجتمع الذكوري «بنسائه ورجاله».. وإن الأم دي نفسها باللي بتعمله ده، بتساهم في صُنع

وتغذية نفس هذا المجتمع الذكوري «بنسائه ورجاله».. حاجة كده تاني زي البيضة والفرخة..
مين بدأ قبل مين؟
والإجابة هي إننا كلنا بنتئذي.. بغَضّ النظر عن مين بدأ قبل مين..
عارف إحنا محتاجين نعمل إيه؟
محتاجين نجيب حفّار صلب متين.. ونحفر في أساسات هذه الذكورية المجتمعية الغائرة.. وننخر فيها بكل قوة.. حتى تخر ساقطة مكانها..
عارف مين هيعمل ده؟
أنت..
كرجل مش كذَكَر..
وانتي..
كأنثى.. مش كقِدّيسة..
وأنا..
كطبيب نفسي بيبحث ويجتهد..
أقول لك أخيرًا كلمة في سِرك..
لما بتجيلي واحدة ست لبست هذا الدور، وعملت في نفسها كل ده، بقول لها:
يا ستي.. حبي نفسك.. علشان أولادك يتعلموا يحبوا نفسهم..
اهتمي بنفسك وادّيها حقها.. علشان بناتك يهتموا بنفسهم ويدّوها حقها..
ما تفرطيش في احتياجاتك وإنسانيتك.. علشان مايفرطوش في احتياجاتهم وإنسانيتهم..
إحيي علشان يحيوا.. ما تستجيبيش لضغوط المجتمع.. ابدئي من جديد كل يوم..
ده اللي هينفع ولادك..
وهيحميهم..
ويعلّمهم أصول الحياة..
مش أصول العيشة..
ما كلنا عايشين.

الفصل السادس :
النسخة الذكورية من الدِّين

- دكتور محمد.. أنا اسمي «حنان».. عندي ٢٠ سنة.
- أهلًا وسهلًا بيكي.. اتفضلي..
- أنا جاية علشان حاجة واحدة.. ممكن؟
- خير تحت أمرك..
- أنا عاوزاك تسمعني.. بس..
- طبعًا يا حنان.. ده حقك.. أنا شغلتي إني أسمعك..
- تسمعني من غير ما تحكم عليّا أي حكم ديني أو أخلاقي..
- أنا لو حكمت عليكي أي نوع من الأحكام، يبقى أسيب الشغلانة دي من بكرة..
- أنا مُلحدة يا دكتور محمد.. أنا سيبت الدِّين.. سيبت كل الأديان..
- ماشي.. مافيش أي...
- ممكن حضرتك تسمعني..
- آه.. آسف.. اتفضلي كملي..
- أنا مش فاهمة لو فيه «إله» فعلًا.. هوّ ليه يخلق الستات، وبعدين يعمل فيهم كده!
- كده اللي هوّ إيه؟
- أنت مستعجل ليه يا دكتور؟ ما تسيبني أتكلم..
- حاضر.. أنا باسأل بس.. حقك عليّا اتفضلي..
- ليه ممكن ربنا يخلق جنسين.. والاتنين بشر زي بعض.. ويخلّي جنس فيهم يتحكّم في التاني؟
- يتحكّم إزاي؟
- حضرتك لو قاطعتني تاني، أنا هأقوم أمشي..
- معلهش والله آخر مرة (بصيت لجدران الأوضة اللي أنا فيها، علشان أفكّر نفسي إني في عيادتي الخاصة)..
- ليه يقول للرجالة انتم قوامون على الستات؟ ويقول للستات انتم ناقصات عقل ودين؟ ليه يقول للراجل من حقك تضرب مراتك، ويقول للست لو رفضتي إن جوزك ينام معاكي، تباتي والملايكة بتلعنك لغاية الصبح؟ ليه يخلي الراجل يتجوز أربعة والست لأ؟ ليه إحنا فتنة؟ ليه يتحكم علينا نكون أغلب أهل النهار؟ ليه...
- إحم.. معلهش ممكن أقول حاجة؟
- ممكن.. اتفضل..
- هو يا حنان انتي بتقولي لي أنا الكلام ده ليه؟ أنا أقدر أرد وأجاوبك وأقول لك رأيي طبعًا.. بس دي مش شغلتي.. أعتقد إنك محتاجة تتكلمي مع رجل دين.. أنا مش عارف أساعدك إزاي؟
- هو مش حضرتك قولت لي إن شغلتك إنك تسمعني؟ مش أنت عمّال تكتب وتنشر وتطلّع في برامجك ومحاضراتك تقول إن مجرد السماع باهتمام وقبول ممكن يغير ويشفي؟
- صحيح..
- أنا محتاجة إنك تسمعني يا دكتور محمد..

قعدت «حنان» تتكلم ساعة كاملة، بدون أي مقاطعة مني.. فقط إيماءة.. نظرة تعاطُف.. ودمعة أَجَدْتُ إخفاءها.. ثم صمتت..

• خلصتي يا حنان؟
• خلصت يا دكتور.. شكرًا إن حضرتك سمعتني.. وشكرًا إني ماشوفتش في عينيك ولا نظرة فيها حكم أو رفض..
• خالص.. بالعكس.. أنا حسيت بيكي جدًّا.. وهاستنى أشوفك تاني..
• لأ.. أنا مش جاية تاني.. أنا قولت كل اللي عندي..
• طيب.. أنا باشكرك إنك وثقتي فيَّا يا حنان..
• عاوزة أقول لك حاجتين قبل ما أمشي يا دكتور محمد..
• طبعًا.. تحت أمرك..
• عاوزاك تكتب اللي حصل النهارده في كتابك الجاي.. أنا محتاجة أحس إن كل الناس سمعتني..
• حاضر.. أنا هاعمل كده.. وإيه الحاجة التانية يا حنان؟
• عارف أنا نفسي أقول لربنا إيه يا دكتور؟
• نفسك تقولي له إيه يا حنان؟
• نفسي أقول له: أنا زعلانة منك يارب.. زعلانة منك أوي.. وعندي ليك أسئلة كتيرة.. أسئلة مؤلمة جدًّا.. ومستنية منك إجابات تشفيني..
• من حقك تسألي يا «حنان».. من حقك كل الأسئلة.. وأنا متأكد.. فعلًا متأكد.. إنك هتلاقي الإجابات.. هتلاقيها من جواكي.. قبل ما تلاقيها من برّاكي.. وهتشوفي.. وهتفتكريني..
• مش عارفة.. ياريت تكون صح.. بعد إذن حضرتك..
خرجت حنان في هدوء بعد أن دخلت في عاصفة.. ومارضتش ألفت نظرها وهيَّ خارجة إلى أنها قالت في الأول «أنا مُلحدة».. وقالت قبل ما تمشي: «أنا زعلانة منك يارب»!

***

لو خُيّر الذَّكَر الشرقي بين دينه وذكوريته.. لاختار ذكوريته دون تردد..
كل الأديان فيها نصوص اختلف في تفسيرها العلماء والمتخصصون.. نصوص بتكون مُرتبطة بالحدث أو الموقف اللي أُنزِلت بسببه.. نصوص أخرى حُكمها خاص بالزمان والمكان والظروف اللي أحاطت بيها.. ونصوص ثالثة تحمل كلماتها وألفاظها أكثر من معنى.. وتحتاج كثيرًا من التفكر والقياس للوصول للمعنى المناسب..
فيه آيات وأحاديث نبوية لو تم اقتطاعها خارج سياقاتها الأصلية (زمان ومكان وموقف وسبب نزول)، هيكون ليها معاني مختلفة قد تُشكّك الناس في دينهم، بل وربما تُنفرهم منه..
فيه نصوص تحتاج شجاعة في الرؤية.. وحكمة في التناول.. تصل أحيانًا إلى حد تعطيل العمل بأحكامها، من أجل المصلحة العامة، ومُراعاة أحوال الناس.. زي ما عمل سيدنا عمر بن الخطاب عندما عطّل حد السرقة في عام الرّمادة مجتهدًا، رغم إنه حد ثابت بنصوص قطعية من الكتاب والسنة، وزي ما اجتهد هو أيضًا في إخراج الزكاة للمؤلّفة قلوبهم؛ وعطَّل سَهمهم الثابت بنص قطعي في القرآن..
وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق».. يعني «عدم التَّكَلُّف وعدم التَّنَطُّع، يؤدّي ما شرع الله من دون تنطّع». (موقع الشيخ ابن باز رحمه الله).
ييجي بقى الذَّكَر الشرقي قُدام النصوص المختلفة الخاصة بالمرأة ويختار إيه؟ يختار المعنى اللي يبرر له التسلط..

ييجي قُدام الآيات المتشابهات في أمور المرأة، ويعمل إيه؟ يقتنع بالتفسير اللي يمنحه الفوقية والاستعلاء..
ييجي قُدام الأحاديث الكتيرة جدًّا عن علاقة الرجل بالمرأة، ويقف عند إيه؟ يقف عند أي كلمة أو جملة أو استنتاج يدّي له حق السيادة والوصاية..
إزاي بيعمل كده؟
وليه بيعمل ده؟
هأقول لك دلوقت «إزاي».. وبعدين نشوف حكاية «ليه» دي..

***

في حلقة يوم ٥ رمضان ٢٠٢٠ من أحد البرامج الدينية المصرية، قدم أحد علماء الأزهر الشريف- تفسيرًا مختلفًا للآية القرآنية الكريمة:
﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾. (النساء: ٣٤).
الرجل قال حرفيًّا ما يلي:
«جمهور المفسرين- وبأقول جمهور المفسرين- ذهبوا إلى أنه الضرب الرفيق بالسواك للتأنيب والتذكير، ده جمهور المفسرين. وأنا رافض جمهور المفسرين في هذه الآية.. وبأقول لحضرتك إنه ذهب بعض العلماء وبعض المعاصرين إلى إن الضرب هنا ليس بمعنى الضرب بالسواك، لأن الضرب بالسواك إهانة.. جمهور المفسرين قال ليس للإيلام.. إنما إحنا بقى بنقول إنه حتى لو ضرب بالسواك دي إهانة وتطاوُل وتجاوز.. الضرب بالسواك ده إهانة وتطاوُل وتجاوز.. الضرب له أربعة عشر معنى في القرآن: الضرب بمعنى السفر «وإذا ضربتم في الأرض»، الضرب بمعنى التغطية «وليضربن بخمرهن على جيوبهن»، الضرب بمعنى الكشف {ويضرب الله الأمثال للناس}، الضرب بمعنى التطنيش أو الصفح أو العفو «أفنضرب عنكم الذِّكْر صفحًا»، الضرب بمعنى التداخل زي ما بنقول جدول الضرب، ومضرب البيض مثلا بندخل الصفار في البياض، علشان كده سمّوه مضرب، الضرب بمعنى قطع الرقبة «فضرب الرقاب»، فليه ماقولتش هنا إنه ضرب رقاب؟ ليه ماقولتش فاضربوهن أي اقطعوا رقابهن؟ يبقى إذن أنت خدمت اللفظ الذي يتناسب مع مشاعر العلاقة الودودة بين الرجل وبين المرأة.. فلماذا لا يُحمل المعنى على المشاعر الودودة؟ وهو أن الضرب هنا بمعنى الترك والابتعاد، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾».
تعالى بقى شوف تعليقات الناس «الذكور والإناث» على كلام الشيخ «الأزهري»:
• تفسير خاطئ مُرائي للنساء، ففي الآية تدرُّج ملحوظ، وهم قطعوا التدرُّج والتسلسل. الشيخ بيقول إن الضرب بمعنى الترك والابتعاد، طب ما قبل الضرب في الآية بكلمة جاء بلفظ «فاهجروهن في المضاجع»، وبعدين يأتي بعدها يغلّظ العقاب ويقول «واتركوهن»؟ تفسير غير مُقنع إلا للي عايز يقنع نفسه بأي شيء يُرضي ما بداخله.
• ويلك بأي جهالة أنت؟ الآية تقول فاضربوهنّ وفسرها النبي صلى الله عليه وسلم ضربًا غير مبرّح! وهل غير مبرح يعني هجرانًا قريبا وليس بعيدا! مالت عليك وعلى عِمّتك.
• الحمد لله.. عِشت وفهمت كلمة واضربوهن، لأني كنت رافضة تماما بأن الله كان يقصد ضرب المرأة بالأسلوب الوحشي وحتى الأسلوب غير المُضر. لأن الله لم يخلق خلقه للضرب. والدليل أن سيدنا رسول الله لم يضرب. (تعليق من سيدة).

• كنت باقرأ السورة من يومين ووقفت عند الآية دي شوية أفكر يا ترى معناها إيه بالظبط.. جزاكم الله خيرًا. (تعليق من سيدة).
• «..............» في بداية التفسير قال أنا أختلف مع جمهور العلماء والمفسرين.. طيب يا «..............» إيه أعمالك وكتاباتك وتفسيراتك اللي تخليك تنافس وتخالف جمهور العلماء والمفسرين مثل الشيخ الشعراوي؟ إنه الفلس الفكري.
• ده تحريف لكلام ربنا عز وجل.. الآية صريحة وأنت ياشيخ بتفسّر على هواك، والدليل إنك قولت إنك بتختلف مع جميع المفسرين.
• اللهم اكفنا شر ضِعاف النفوس.
• في الآية سَبق الضرب الهجر في المضجع، يعني عقوبة الترك تحققت، ليه ربنا سبحانه وتعالى يُكررها تاني ويأتي بـ«واضربوهن» بمعنى الترك أيضا.. هذا مع إعجابي بالتفسير.. (تعليق من سيدة).
• طيب يا مولانا والست اللي تستاهل الضرب والزجر لأنه علاجها؟ وربنا قال: «واضربوهن»، أنت بتحرّف ليه؟ دي أقول لها هاي؟
• الضرب هو آخر حل من الحلول يا شيخ. والضرب بمعنى الضرب، مافيش فيه تأويل تاني.
• ليس الضرب هنا بمعنى الهجر.. لأن الهجر موجود ف الآية من ضمن عقاب الزوجة. أولًا الموعظة.. ثانيًا الهجر ف المضاجع.. ثالثًا فاضربوهن، أي ضرب حقيقي، لكن في أماكن محددة وبدون ترك إصابات ولا يكون ضربًا مبرحًا.
• «...............» هذا عدو الإسلام، هذا ليس شيخا ولا عالما، هذا جعلوه هكذا للإساءة للدين، وفعلًا قد خدع الكثير والكثير هو وغيره ممن لبسوا عمامة وجبّة. الآية واضحة وضوح الشمس، وهذا يزرع الشك ليأتي بعدها حذف كل المعاني الحقيقية والمراد من آيات القران الكريم، ولكن خسئوا.
• ليس الضرب هنا المقصود به الترك لأن الله سبحانه وتعالى جاء بالهجر قبل الضرب، وقول جمهور العلماء هو الصحيح بإذن الله. والله أعلم.
• يُفسرون كلام الله على هواهم.
• الله قال ضرب، إيش يعني هل هم أشفق من الله سبحانه وتعالى؟ مع أن الضرب لم يأتِ إلا بعد الهجر.
• لا حول ولا قوة إلا بالله «فاضربوهن واهجروهن في المضاجع»؛ بمعنى التأديب يا شيخ، هذا هو معنى الضرب في الآية.
• والله خسارة فيك حتى كلمة شيخ، أي تفسير هذا؟ وأين ذهب التدرج بالآية؟ لماذا لم تأتِ بالآية من أولها؟ حسبي الله ونعم الوكيل فيكم.
• الراجل ياجماعة خرف بجد. النص واضح وصريح؛ هو مين وكُتبه إيه علشان يختلف مع جمهور العلماء؟
• الميك اب بتاعك جميل يا «.........»، وحاجة تاني برضه.
• والله ما فيه حد عاوز ينضرب على دماغه إلا انت يا «..........»، يمكن تفوق من اللي أنت فيه. يعني أنت بتفهم أكتر من جمهور العلماء؟ حسبنا الله ونعم الوكيل.
• كم نحتاج إلى مراجعة بعض التفسيرات القرآنية من علماء نرجو أن يكون قد كشف الله عن بصائرهم بما فيه خير الإسلام والمسلمين. (تعليق من سيدة).

• الآية صريحة ياعم.. أنت هتألف؟
• التدرُّج بتاع الآية واضح وصريح.
• شيوخ السلطان الجهلة، الآية واضحة وضوح الشمس، ولا تحتاج إلى تأويل. صدق رسول الله ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان يُجادل بالقرآن».
• دايمًا الشيخ «............» يبحث عما يثير الجدل، ربنا يهديه.
• والله يا «............» أنت اللي عايز ضربك على راسك علشان تفوق، مَن تكون حتى تُنصّب نفسك مُفسرًا لكتاب الله وتتجرأ على كلام أسيادك من كبار العلماء، بل جمهور العلماء؟ عندما يبعد العلماء الربانيون يظهر الرءوس الجُهال.
• من أكثر من عشر سنوات وأقول عنك مُنافق والناس تُدافع عنك إلى أن أصبح جميع مَن كان معك عليك، فعليك من الله ما تستحق في الدنيا والآخرة.
• كل الهجوم دا عشان انتم عاجبكم الضرب وتفسيره بالضرب؟ مع إنه الشيخ ومَن معه قال إن الضرب ورَدَ بـ١٤ معنى في القرآن، فلِيه التمسك بإنه معناه هنا الضرب البدني؟ والله حسبنا الله ونعم الوكيل، وإن شاء الله يعرفكم الله ضربكم أنتم يا ظلمة يا مُتجبرين. (تعليق من سيدة).
• أنت بتفسر حضرتك يا مولانا القرآن بوجهة نظرك أنت علشان حقوق المرأة، فالأَوْلى إنك ترجع لكبار مشايخك ولا تفتي.
• والله كنت أحترمك وأقدرك، ولكن للأسف أصبحت عندي ولا شيء.
• يا سلام على الإيمان بيشعّ من وجوهكم، فعلًا العلماء ورثة الأنبياء، بس للأسف لا انتم عُلماء ولا بطيخ، انتم شوية كدابين ومُدلّسين وبتمشوا حسب هواكم عشان ترضوا كُروشكم.
• هذا شبيه الرجال يتقوّل على الله في تفسير الآية، اتقِ الله ولا تكن من أهل النفاق.
• اهبد كمان اهبد، حتى قرآن ربنا بتفسره ع مزاجك، يعني كل المشايخ اللي فسّروا الآية دي فسّروها غلط؟
• على فكرة أنا خريج أزهر يا شيخ يا مُحترم، ولَّا أنت بتنضرب كتير من مراتك؟
• بلاش فَتي في حاجة ماتعرفهاش يا شيخ «........».
• أنت خايف من المدام وبتجاملها على حساب القرآن ولا إيه؟؟؟؟
• ده تفسير ما يطلبه المُستمعون، خالف تُعرف، «.............» ده كارت واتحرق.
• حسبنا الله ونعم الوكيل في كل مَن أساء للإسلام والمسلمين.
• يجب أن يُعطوك جائزة نوبل للكذب، «................» حرام تكون شيخ.
• هو ده تغيير الخطاب الديني؟ اللهم إني صائم.
• مشايخ في البطيخ.
• الشيخ المطبلاتي.
• أنتَ راجل «ع...... »، وأنا صايم.

يبقى إذا خُيّر الذَّكَر الشرقي بين دينه وذكوريته يختار إيه؟ أديكو شوفتوا..

يا سيدي أنت كده بتختار التفسير اللي يبني علاقتك بزوجتك على التخويف والتهديد والضرب..

لا ماهو ضرب خفيف!

يا أخي أنت كده بتختار التفسير اللي بيسيء لدينك.. مش مهم!

يا عمي إيه المنطق ورا إن العلاقة بين الرجل والمرأة يكون من حق حد فيها إنه «يضرب» التاني؟ ما أعرفش!

يا خالي مش ممكن ربنا يدي الحق لأحد طرفي العلاقة الزوجية (اللي هي مودة ورحمة بين اتنين عاقلين بالغين راشدين)، في إنه يُؤدّب ويُؤنّب ويُعاقب الطرف التاني.. هو كده!
ده فيه بعض التفسيرات اللي تزيل هذا التوتر والخوف والتهديد بينك وبين زوجتك.. ماليش دعوة!
ده فيه كتير من الاحتمالات الأقرب للعقل والقلب.. طظ!
ده فيه عديد من الرؤى اللي تُبرئك وتُبرئ دينك من التقولات والتهم الباطلة.. أنا ليَّا ذكورتي وسُلطتي وفوقيتي وبس..
شوفت اللي بيقول على الشيخ إنه عدو الإسلام؟ هو مِين كده عدو الإسلام؟
شوفت اللي بيقول: «حسبنا الله ونعم الوكيل في كل مَن أساء للإسلام والمسلمين»؟ بالذمة مين كده اللي بيُسيء للإسلام والمسلمين؟
ولَّا اللي بيقول: «يُفسرون كلامَ الله على هواهم»؟ هو مين اللي بيفسر كلام الله على هواه؟
الذَّكَر الشرقي بيدافع باستماتة عن مُكتسبات ذكورية مُتراكمة عبر الأجيال، مش عن دين بيقبل الاجتهادات المختلفة من أصحاب العلم.
ده لو احتمال صحة كلام الشيخ واحد في المليون.. طب ما تاخد الاحتمال ده وتستخدمه.. ولَّا خايف على سُلطتك الهشة؟
ما هو كل واحد من جمهور المفسرين دول برضه، اختلف هو كمان مع جمهور المفسرين في إحدى القضايا الأخرى.. ولَّا خايف على هيبتك المُصطنعة؟
أنت واخد بالك أنت بتدافع عن إيه؟ عن ضرب بني آدم لبني آدم!! مُتخيل؟
ورغم أن أحد كبار الأئمة حاول تقديم رؤية مُخففة للأمر حينما شرح مؤخرًا أن «ضرب الزوجة ليس مُطلقًا ولم يقل بذلك الإسلام ولا القرآن، ولا يمكن أن تأتي به أي شريعة أو أي نظام يحترم الإنسان، ولكن الضرب الرمزي يأتي في حالة المرأة الناشز كحلٍّ ثالث إن لم يصلح معها النصح والهجر، وهذا الضرب الرمزي له ضوابط وحدود، ويُستخدم في حق الزوجة التي تريد أن تقلب الأوضاع في الأسرة وتتكبر على زوجها، فالضرب هنا يكون لجرح كبرياء المرأة التي تتعالى على زوجها، وعلاج الضرب يُساء فهمه لدى كثيرين رغم ما حددته له الشريعة الإسلامية من ضوابط وحدود بحيث يكون رمزيًّا لا يُحدث أذى جسديًّا أو معنويًّا لأن غرضه التهذيب لا الإيذاء(1)، لكن- ومع كل الاحترام للإمام والعالِم الجليل- أنا كطبيب نفسي أقف بكثير من التساؤل عند كلمات زي «ضرب رمزي»، «الزوجة التي تريد أن تقلب الأوضاع في الأسرة وتتكبر على زوجها»، «الضرب هنا يكون لجرح كبرياء المرأة». أنا مش شايف إن فيه حاجة اسمها ضرب رمزي! الضرب ضرب، ومش مُقتنع بحكاية الضرب بالسواك وبفرشة الأسنان زي ما بيقول بعض المُفسرين، طب لما الحكاية سهلة كده، إيه لازمته بقى؟ ومش عارف إيه عقاب الزوج اللي يريد هو كمان إنه يقلب الأوضاع في الأسرة ويتكبر على زوجته- ودول كتير جدًّا؟ ومش فاهم ليه نجرح كبرياء وكرامة المرأة اللي تقول «لأ» لجوزها! طب والراجل اللي يقول «لأ» لمراته هنعمل معاه إيه؟ وليه نفترض أصلًا إن الرجل أكثر حِكمة وعقلانية ووجوبًا لسماع الكلام؟
الكلام اللي فات ده عن مثال واحد بس «ضرب الزوجة».. فيه أمثلة أكتر بكتير من كده.. أشهرها اقتطاع الذَّكَر الشرقي جزء ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (النساء: ٣) من الآية الكريمة،

ووقوفه عند هذا الجزء، وتجاهله التام للآية: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ (النساء: ١٢٩).. يعني مستحيل.. ما تحاولوش لأنكم مش هتقدروا تعدلوا.
وكمان ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (النساء: ٣٤).. اللي تفسيرها العقلاني والمنطقي هي أن يكون الرجل قائمًا/ قوَّامًا على راحة ورعاية امرأته.. مش أن يكون عليها مُقيمًا/ مقوّمًا..
ده غير الختان (رغم أن النبي نفسه لم يختن بناته)، وعمل المرأة (رغم أن السيدة خديجة زوجة النبي كانت بتشتغل)..
وغيرهم وغيرهم..
وزي ما انتم شايفين.. ذكورة الرجل الشرقي مش بتنهض وتنتفض وتنتصب إلا فيما يخص المرأة، حتى لو كانت بتصلي.. (راجع قصة الفتاة المصرية اللي جه عليها وقت صلاة الظهر وهي في محطة القطار – سبتمبر ٢٠٢٠، فقررت إنها تصلي في أحد الأركان على رصيف المحطة. صوّرها أحدهم ونزّل صُورها على السوشيال ميديا، علشان تقوم الدنيا وما تقعدش، وتنهال عليها اللعنات الذكورية من كل حدَبٍ وصَوْب، لغاية ما أعلنت دار الإفتاء إن صلاتها جائزة وصحيحة).
وده برضه بيفكّرنا بالصورة الشهيرة اللي كانت مُنتشرة من فترة لإحدى الندوات اللي كانت بتناقش «قضايا المرأة».. ومنصّة المناقشة كانت كلها ذُكور، وماكانش عليها ولا واحدة ست.
الذَّكَر الشرقي بيختار وينتقي ويفسر من الدين، بالشكل الذي يُرَسِّخ في عقله وفي وَعْيه الأفضلية والعلو والتفرد على المرأة: فقوامته عليها تعني له «إنك أحسن منها»، و«نشوزها عليه» يعني له «إنها ماتسمعش كلامك»، وضربها وجرحها وإهانتها يعني له «تأديب وتقويم».

مين بقي عنده الشجاعة إنه يكون قدامه النوعين دول من القراءات والاجتهادات والتأويلات للنصوص وما يختارش اللي في صالحه؟
مين عنده الثقة إنه يتنازل عن مكانة وسيادة وفوقية زي دول؟
مين يقدر يتخلى عن نرجسيته وانتفاخ ذاته اللي بنى عليهم كل كيانه ووجوده؟
مين؟
نقول كمان..
الذَّكَر الشرقي اختار أن تكون ذكوريته هي دينه.. لا الإسلام.. ولا المسيحية.. ولا أي دِين آخَر..
الذَّكَر الشرقي- بكل ظُلم وافتراء- استخدم الدين شخصيًّا.. لحساب أغراضه الذكورية..
الدين الذي لم يُفوت فرصة إلا وأكد فيها على أننا جميعًا أمام الله كأسنان المشط.. وإن النساء هن القوارير.. وأنه ما أكرمهن إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم، و«استوصوا بالنساء خيرًا» (صحيح مُسلم)، و«أطعموهن مما تأكلون، واكسوهن مما تكتسون، ولا تضربوهن ولا تُقبحوهن» (سُنن أبي داود)، وعن عائشة قالت: «ما ضرب رسول الله خادمًا له ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئًا» (سُنن ابن ماجه).
الذَّكَر الشرقي اجتزأ بعض النصوص الدينية، وأخرجها من سِياقها الزماني والمكاني، وابتعد بها عن أسباب وظروف نزولها.. وأنتج «نسخة ذُكورية من الدين»، ليس لها أي علاقة بالدين الحقيقي.
نسخة استغل فيها الدّين من أجله ولصالحه وعلى هواه..

نسخة استسهل في فهم مفرداتها ومعانيها وتوصيلها ونشرها، بدون اجتهاد أصيل، وبدون تجديد أو تحديث أو إعادة قراءة عصرية..
نسخة حرم بها كل أنثى من حقوقها الإنسانية الكاملة، اللي ربنا منحها ليها كما منحها للرجل تمامًا..
ونوصّل ده للأطفال.. ونسلّم ده للأجيال..
والنتيجة إيه؟
النتيجة تشويه كامل للرجل.. وللرجولة.. والأنثى.. والأنوثة.. وكل ما يمُتّ إليهم بصِلة..
ساديّة تامة.. عند كثير ممن وُلِدوا- بالصدفة- ذُكورًا..
نرجسية غير مسبوقة.. عند أي شاب صغير نبتَ شعرُ شارِبه..
سيكوباثية مُطلقة.. عند أغلب الشرقيين من حاملي كروموسوم «Y»..
واللي جرب مُتعة السادية صعب يتخلى عنها.. واللي حس بشهوة النرجسية مش بيقدر يفاوض عليها.. واللي لغى عقله ومنطقه لهذه الدرجة، بيجمع أفكاره ويضعها في كبسولة عقلية سميكة، مُحاطة بأسوار وأسلاك شائكة، لحمايتها من هجوم أي منطق أو ظهور أي فرصة للمراجعة..
إزاي تزرع في عقل ابنك إن القوامة معناها إنه ليه أفضلية وفَوقية على المرأة، وما تستناش منه إنه يحتقرها؟
إزاي تقول له إن زوجته لو رفضت تنام معاه بالليل هتبات الملائكة تلعنها لغاية الصبح، ومش عاوزه يسلبها حريتها وإرادتها وحقها في الاختيار؟
إزاي تفهّمه إنه من حقه يضرب مراته لو ما سمعتش كلامه، ومش عاوزه يحس إنه يملك أحقية الثواب والعقاب عليها؟
إزاي تقنعه إن أمه وأخته وبنته ومراته ناقصات عقل، وناقصات دين، بالمعنى القاصر المُتداوَل.. وعاوزه يحترمهم ويقدّرهم ويدّيهم حقوقهم؟
وبأي منطق نتكلم بعد ذلك عن العلاقة السويّة بين رجل وامرأة؟ علاقة إيه اللي طرف فيها ما ينفعش يقول للطرف التاني «لأ»!
حُط ده كله جنب الستات اللي عندهم مُتلازمة ستوكهولهم..
حُط كروموسوم «Y» الشرقي بهذه السادية والنرجسية والسيكوباثية، جنب كروموسوم «X» الشرقي برضه باستعداده الرهيب للسَّحق والدهس والمازوخية.. تفتكر هيطلع لنا إيه؟
انزل الشارع وشوف..
وترتب على كل ده بالطبع مجموعة هائلة من المضاعفات المَرَضية الخطيرة.. لحالة صعبة وعسيرة ومُستعصية على العلاج.. مُضاعفات تبدأ منذ دخول الذَّكَر الشرقي أي علاقة، ولا تنتهي بخروجه منها.. ومن دخوله بيته، حتى خروجه منه.. وحتى من دخوله سريره، إلى قيامه من عليه.. زي ما هنشوف بالتفصيل في الباب القادم..
***

نسأل بقى نفسنا أخيرًا:
هو ليه الذكور عَملوا كده في دينهم وثقافتهم؟
ليه قرروا يختاروا هذه المجموعة من النصوص ويمركزوا حولها كل فهمهم واستخدامهم ومُمارستهم للدين، رغم إن بعضهم ممكن يكون مش بيمارس أصلًا أكثر العبادات أساسية زي الصلاة والصوم والزكاة، والبعض الآخر بيكذب ويرتشي وياكُل حقوق الغير؟

ليه وقف كثير منهم عند هذا الفهم الناقص القاصر.. واختاروا أن يتجمدوا عنده، ويُغلقوا كل أبواب المرونة والاجتهاد والتجديد أمام أنفسهم؟
ليه عملوا في نفسهم وفي سِتاتهم ومُجتمعهم كده؟ عاوزين إيه؟ مستنيين إيه؟ خايفين من إيه؟
أيوه..
بس.. هوَّ ده..
خايفين من إيه؟
ما هو أكيد هذا النهم بتجريد النساء من كل أسلحتهن ودفاعاتهن.. مافيش وراه غير خوف..
هذه الشهوة بكتم وخنق وكبت طرف حياتك الآخر.. مالهاش مُحرك غير رعب..
ذاك التحقير والتصغير والتسفيه لكل بنت.. وامرأة.. وسيدة.. ما يبررهوش غير هلع فائق..
طيب ليه الخوف؟
من إيه الرعب؟
لأي سبب الهلع؟
ده بقى الباب.. بعد القادم.

(1) الأهرام- ٣١ مايو ٢٠١٩.

الباب الثالث

المضاعفات

زي ما اتفقنا..

أي مرض له أعراض وأشكال.. له أسباب.. له مضاعفات.. وله علاج..

شوفنا أعراض وأشكال وأنواع «الذكورية الشرقية» في الباب الأول.. واستعرضنا بعض أسبابها في الباب التاني.. خلينا دلوقت نشوف إيه هي بعض نتائج وعواقب ومضاعفات تلك الحالة المَرَضية الشائعة.. والتي أوشكت- بإذن الله- على الانقراض..

أول مضاعفات الذكورية الشرقية هي نوعية وجود الذّكَر الشرقي في بيته.. مع زوجته ووسط أولاده (أو عائلته الأولى قبل ما يتزوج).. موقفه منهم.. مُعاملته ليهم.. كلامه وأفعاله معاهم.. اللي هنعرضها، ونحلّلها بالتفصيل..

ثاني وثالث هذه المضاعفات هي الاختزال الشديد لكل أبعاد ومستويات «الرجولة» في الجنس، وفي العلاقات المتعددة.. ابتداء من مفاهيم واعتقادات وممارسات جنسية مغلوطة منذ الصغر والمراهقة، وانتهاء بعلاقات جنسية زواجية مضطربة داخل البيت، وتحرُّش وخيانة زوجية خارج البيت (دي مش قاعدة طبعًا- لكننا بنتكلم عن جوانب مَرَضية)..

رابع وخامس المضاعفات هو أيضًا اختزال الرجولة وجوهرها ومعناها في «القسوة » و«العنف».. أن يتحول هذا الذَّكَر إلى آلة للعقاب، يُعاقب بها مَن يحب.. ماكينة للمكر والدهاء، يستخدمها مع مَن يريد.. أداة للشدة والانتقام، ضد أي حد يقول له «لأ».. امرأة.. طفل.. مش مهم..

سادس هذه المضاعفات.. هي أن يمارس هذا الشخص شكلًا آخر من أشكال العقاب/ الانتقام.. وصورة أخرى من صور العنف.. اسمها «العنف السلبي- Passive Aggression».. عن طريق إنه ينسحب.. يتسلل بعيدًا.. يختفي عن الوجود.. إما بالصمت والسكوت.. وإما بالبعد والجفاء.. وإما بالانفصال والطلاق المهين..

وآخر هذه المضاعفات.. هي إن البنات والأولاد- بناء على كل ده- مش عارفين يتجوزوا.. خايفين.. مرعوبين.. متلخبطين.. مش عارفين ييجوا منين ويروحوا فين.. وسط معدلات طلاق مرتفعة.. وفُرص زواج غير مُشجّعة..

عندك استعداد تشوف كل ده بعقلانية وهدوء؟

عندك استعداد تقرا وتفهم من غير ما تحكم أو تحاكم؟

طيب..

توكلنا على الله..

الفصل الأول:
ماذا يفعل الذَّكر الشرقي في بيته؟

تقرا كلامي الأول، ولَّا كلام الناس اللي بتوصف حالة وكلام وأفعال الذَّكَر الشرقي في البيت الأول؟
كلامي هيكون تفسير وتحليل.. وكلام الناس هيكون عرض للظاهرة وكشف ليها بكل أبعادها..
يبقى نعرض الأول.. وبعدين نحلّل..
ده كلام الناس وردودهم على سؤالي: «إيه أشهر جُملة بيقولها/أشهر حاجة بيعملها الذكر الشرقي أثناء وجوده في البيت؟» شوف يا سيدي:

- **قومي اعملي لك حاجة بدل القعدة دي.**
- **ما تقومي تعملي لنا كوبايتين شاي.**
- **هاتي... آكل... أشرب....**
- **ما هو انتي لو مركّزة.. ما هو انتي لو واخدة بالك.. ما هو انتي لو كنتي عملتي..**
- **فِطر عاوز شاي.. اتغدا عاوز شاي.. اتعشا عاوز شاي.. شافني معديّة عاوز شاي.. بيتنفس عاوز شاي.. كح عاوز شاي.**
- **الطلبااااااااات.**
- **الراجل بيعتبر قعدة البيت زي قعدة القهوة، لدرجة ساعات لما يعوز ينادي على مراته يصقف لها.**
- **انتي بتعملى إيه طول اليوم؟**
- **السيطرة والتوجيه طبعا.**
- **ما انتي قاعدة طول النهار فاضية لا شُغلة ولا مَشغلة.**
- **شغل بيت إيه ده اللي يتعبك؟ ده أنا أعمله بصباع رجلي الصغير... وهو لو عمل كوباية شاي يفتكر نفسه «Brave Heart».**
- **انتي شو قدمتي لي؟ انتي ما بتفهمي؟ انتي شو بتعملي طول اليوم؟**
- **أكتر جملة إخواتي الولاد دايمًا بيقولوها كتيييييير جدا لما بيشوفوني أنا وأختي: انتم لازمتكوا إيه قوموا اخدموا في البيت... ولما حد منهم يطلب حاجة وأقول له لأ.. يقول لي أمال انتي إيه لازمتك؟!**
- **انتم قاعدين في البيت طول النهار مابتعملوش حاجة وأنا مطحون بره... مع العلم إنه شغله مكتبي وقاعد في مكتب طويل عريض لوحده في التكييف.**
- **ما تقومي تعملي لنا حاجة.. اللي هي إيه؟ هو نفسه مش عارف..**
- **بياكل وبيسأل عن الحلو أو المشروبات «شاي، قهوة، عصير»، ريموت التلفزيون... وممكن يسأل عن حاجة كانت ضايعة منه في ابتدائي.**
- **ما تقومي تعملي لنا الفطار/ الغداء/ العشاء/ شاي/ حاجة حلوة.**
- **إحنا مش هنتغدى النهارده ولَّا إيه؟ ما تقومي تشوفي العيال عاملين دوشة ليه.. أنا مصدّع وجاي تعبان من الشغل ومش ناقص.. ما تعملي لنا حاجة حلوة كده ع العَشا..**
- **يدخل المطبخ يزعق.. يفتح التلاجة ويقول إيه كل الحاجات اللي مالهاش لازمة دي ويزعق برضو.**
- **بيطلّع الخيار والطماطم البايظ من التلاجة وبتبقى ليلة.**

• طول اليوم نقد وزعيق ومافيش حاجة ترضينا، وأشهر حاجة بنعملها إننا مش بنعمل حاجة، ولا بنساهم في أي حاجة داخل البيت أو خارجه.. جميل إن راجل ينتقد نفسه بالشكل ده. (تعليق من رجل).
• انتي بتعملي لنا إيه يُذكَر؟
• عملتي إيه النهارده من ساعة ما صحيتي؟
• البتاعة دي هنا ليه؟ وإيه ده؟ واعملي شاي.. وده بيتعمل إزاي؟ وهاتي السبعتلاف حاجة اللي جوه.. واعملي شاي.. وهاتي الريموت.. فين...؟ اعملي شاي... اللي كنت شايلها هنا يوم سبوعي راحت فين؟ اعملي شاي.
• انتي بتعملي إيه طول النهار؟
• أنا مابانامش طول الليل والنهار منك انتي وعيالك.
• يعني انتي روّقتي البيت كله وماهانش عليكي تُحطي الخُدديات بتاعة الكنبة مكانها؟
• ينتقد كل حاجة وأي حاجة، وبيدوّر علي أي سبب للزعيق والخناق، وبياكل.
• مش مُتخيلة عدد الستات اللي كتبت الجُملة دي بجد «هو انتي بتعملي إيه طول النهار؟».
• شايفة الستات عاملة إزاي؟ هي دي الستات ولَّا بلاش!
• كل الستات بتعمل كده.. مش انتي لوحدك.
• مافيش حاجة تتاكل في البيت ده تكون حلوة أو مالحة؟
• الانتقاد واللوم والعتاب ع الهايفة والتافهة.
• ما كل الستات بتعمل اللي انتي بتعمليه.
• ما تقومي تـ... «ت» أي حاجة المهم تقومي ما تقعديش.
• بتعملي إيه طول النهار/ أو إيه اللي بتعمليه زيادة عن كل الستات؟
• ماتعلّيش صوتك طول ما أنا موجود.
• اعملي قهوة.. شاي، أنا جعان، لِمّي عيالك وابعديهم عني، أنا صدّعت منهم..
• اعملي...........
• هو انتي بتعملي إيه طول الوقت يعني؟؟؟
• طلبات طلبات، مالهوش دعوة هي بتعمل إيه، والمفروض برضه ما يعتمدش عليها طول الوقت، ممكن لو حاجة بسيطة يعملها لنفسه. مشكلة الراجل الشرقي إنه دائمًا عاوز يتعامل على إنه طفل من أطفالها. حراااام.
• همّا اللي اتعلموا خدوا إيه؟
• يناكف على أقل حاجة حتى لو لقانا ساكتين.. أهم حاجة ينكُشنا علشان نتخانق معاه.
• صمت رهيب.
• انتم بتعملوا إيه يعني؟ شغل البيت ده مش مُتعب.
• أغلب الوقت صامت وأنا اللي باتكلم.
• مافيش حاجة تتاكل؟
• الشاي + زعيق + قومي اعملي لي + أنا باهدّ الدنيا وانتم قاعدين + لو حصل كذا «مش على مزاجي» هاعمل وهاسوّي.
• هو انتي بتعملي إيه طول اليوم لما تقعدي تريّحي دلوقتي؟

• هو انتي أول ولّا آخر واحدة بتعمل كل حاجة؟ ما كل الستات كده.. أساعدك ليه؟ ولّا أشيل الكوباية ليه؟ أنا كده ابقى مش راجل البيت بقى.. وكنت باتجوّز ليه؟!
• اعملي لي حاجة أشربها.. واطفي النور.
• هو انتي من أول ما صحيتي عملتي إيه؟؟؟
• مش عارف بتعملوا إيه من صباحية ربنا؟
• ما تعملي لنا كوبايتين شاي كده.
• الزعيق والشخط والغضب والتهزيق.
• مين عمل كده ؟ مين ساب دي هنا؟ بتاعة مين الحاجات دي؟ وأي جمله بتبدأ بمين..
• شنوه الفطور، وشنوه العشاء. حطي لي نفطر وحطي لي نتعشا.
• كوكتيل من النقد والطلبات.
• هاتي علبة السجاير.. هاتي الشاحن.. اعملي لنا شاي.. فين الأكل.. انتي شوفتي بنات فين.. انتي بتفهمي حاجة؟ انتي طول الوقت نايمة.. البيت مش مترتب ليه.. أنا داخل أنام.
• أنا كام مرة قلت...؟ الانتقاد على أي حاجة.
• التعديل... حاطة ده هنا ليه؟ بتعملي كده ليه؟ الرجالة كلها مُديرين في نفسهم.
• إيه الكوبايات دي؟ مش تحطوا ميّة في التلاجة؟ انتي بتعملي إيه يعني؟
• اللي أقوله يتسمع.. مش عايز مناهدة.. انتم بتعملوا إيه يعني؟ فين الأكل؟ فين الشاي؟ صوتي بس اللي يعلا.
• أنا صاحب البيت وأنا حُر وكله هيمشي زي ما أنا عايز.
• قومي اعملي قهوة.. لالا القهوة مش بوِش زي ما باشربها بره.. اعمليها تاني، قومي أنا جعان، قومي شوفي ابنك، قومي اعملي حاجة حلوة، والآخر يقول انتي قاعدة طول النهار بتعملي إيه يعني؟
• صوتِك ما يعلاش.
• طلبات طلبات طلبات وأوامر وانتقادات، غير كده صامت.
• أوووووف.
• هو فين الريموت؟
• كنتي بتعملي إيه طول اليوم؟
طيب.. قبل ما نحلّل الكلام ده عاوز أفكّركم.. إحنا مش بنحكم على الذَّكَر الشرقي.. ومش بنهاجمه.. ومش بنسخر منه.. إحنا بنستعرض سلوكياته ومواقفه علشان نعرف تركيبته النفسية، ومَواطن الخلل في شخصيته «بدون تعميم طبعًا»، ونشوف- بشكل علمي تمامًا- المشكلة فين، ونحاول نقدم العلاج بشكل بسيط وفعّال.
أعتقد إنك دلوقت تقدر تحلّل معايا التحليل الكيفي.. إحنا ببساطة بنشوف كل الجُمل، ونشوف الجُمل المشتركة/المتشابهة في موضوع أو اتجاه واحد، ونقسمهم حسب تشابههم.. يطلع عندنا مجموعات من النصوص اللي كل مجموعة منهم ممكن يبقى ليها عنوان أو موضوع مُنفصل.. والعناوين دي تبقى هي خلاصة ونتيجة التحليل.
***
فيه نوعية مُعينة من الوجود الإنساني اسمها «استجابة الكر أو الفر- الانسحاب أو الهجوم- Fight/Flight Response». نوعية الوجود دي بنمُر بيها كلنا تحت الضغط النفسي،

وعند التوتر، وفي أوقات الشعور بالخوف أو التهديد..
في الحالة دي الإنسان بيعمل حاجة من اتنين: إما إنه يهرب ويجري وينسحب بطريقة أو بأخرى.. أو إنه يُقدِم ويهجم وينقض- بطريقة أو بأخرى برضه..
لو راجعت الأقوال والأفعال اللي ذكرها الناس (والموجودة كلها على صفحتي للمراجعة في أي وقت)، هتلاقي إن الذَّكَر الشرقي في بيته بيعمل حاجة من الاتنين دول.. أو بيعمل الاتنين بالتبادل مع بعض.. إما ينسحب وإما يهجم.. مافيش في النص..
إما ينكص (يتراجع للخلف في النمو النفسي)، ويبدأ يطلب طلبات بدائية جدًّا من الأكل والشرب.. الشاي والقهوة والحلو والفطار والغدا والعشا (فاكر المرحلة الفمية اللي اتكلمنا عنها في الفصل الرابع؟).. وقومي اعملي أو قومي سوّي.. أو ينقد ويزعق ويشخط وينطر.. مين ساب دي هنا؟ مين عمل كده؟ انتي عملتي إيه من الصبح؟
إما يصمت ويغرق في التلفزيون والريموت وقنوات الرياضة والأخبار.. وإما يهجم بـ«صوتِك مايعلاش» و«أنا صاحب البيت».
إما يدخل كهف عميق من الـ«لا أسمع.. لا أرى.. لا أتكلم».. وإما يخرج من الكهف مُسلحًا بجذع شجرة ضخمة شائكة..
تقدروا تشوفوا مُعظم أقوال وأفعال الذَّكَر الشرقي في بيته من خلال نفس التحليل ده..
يعني- مثلًا- الذَّكَر اللي لما يزعل من مراته وتيجي تسأله:
- مالك؟
- ماليش.
- طيب فيه إيه؟
- مافيش.
- طب قول لي لو زعّلتك في حاجة؟
- مش عاوز أتكلم.
الذَّكَر ده اختار استراتيجية الانسحاب والنكوص والدخول في كهفه المُظلم.. وعلى فكرة أنا باشوف ده كتير أوي الفترة دي.. ومش عارف ليه..
أما الذَّكَر اللي بيتعصب ويتنرفز ويشتم ويضرب، أو اللي طول الوقت يقول: «ماحدش يكلمني».. «مش عايز وجع دماغ».. «أنا باشتغل وبارجع من الشغل مش طايق نفسي».. ده ذَكَر اختار استراتيجية الانقضاض والهجوم القاسي..
الذَّكَر اللي أول ما مراته تخلّف، ينفصل عنها نفسيًّا وجسديًّا، كلامه يقل معاها، وجوده يبهت في وجودها، وآخر الليل يروح ينام في الصالة أو في أوضة لوحده.. ده ذَكَر اختار التراجع عن دوره ووجوده ومسئوليته..
أما الذَّكَر اللي برضه أول ما مراته تخلّف، عفاريت الدنيا تركبه، ويبقى مش مستحمل دبّان وشّه.. ده ذَكَر استسهل الهجوم والفوران..
هات أي تصرف أو أي نص كلامي، بيقوله أو بيعمله الذَّكَر الشرقي في بيته (إحنا لسه في البيت)، هتلاقيه- غالبًا- بيندرج تحت نوع من الاتنين دول (الهجوم / الانسحاب).. اللي همَّا في أصلهم زي ما قُلنا حالة واحدة من الوجود الإنساني (ومعظم الكائنات الحية بالمناسبة)، بتظهر كرد فعل واستجابة طبيعية عند التوتر أو الخوف أو التهديد..
طب هوّ ليه الذَّكَر الشرقي يحس بالتوتر في بيته؟

إيه مصدر التهديد اللي يخليه يعيش الحالة الصعبة دي؟
فين الخوف؟ يخاف من إيه؟ يخاف ليه؟
رجعنا لقصة الخوف تاني..
معلهش.. هنصبر شوية..
نشوف الأول باقي قِطَع القيح والصديد الدامية..
والمتناثرة من خرَّاج الذكورية الشرقية المُنقرضة..
الخرَّاج اللي بنفتحه مع بعض بالراحة.. وبالبصيرة.. وبالشجاعة..
علشان نطهّره.. وننضفه.. ونعقمه..
وبعدين نشوف إيه حكاية الخوف دي.

الفصل الثاني :
العنتيل

أنت يا ابني.. تعالى هأقولك حاجة مهمة.. بُص:

- **أنت لسه صغير، بس لما تكبر شوية عايزك تخربها.**
- **أنت راجل.. عارف يعني إيه راجل؟ راجل يعني دَكَر.. دَكَررر.**
- **تعالى أحكي لك على مُغامراتي بقى.. عارف أنا كنت باعمل إيه وأنا في سِنك؟**
- **يا ابني أنت أي واحدة تتمنّاك..**
- **الجنس عيب وحرام.. بس لو أنت غلطت، إيه يعني؟ أنت راجل.**
- **اعمل اللي أنت عاوزه، بس إوعى تتدبس.**
- **الجنس بيعبر عن رجولتك. الجنس هو مفهوم الرجولة.**
- **أداؤك الجنسي هو تعريف رجولتك.**
- **لازم تسيطر يالا.**
- **إيه آخر أخبار الشقاوة؟**
- **شرفك موجود في جسد أختك وأمك ومراتك وبنتك.. مش عندك أنت لأ.**
- **خليك جامد كده فيه إيه؟**
- **ما حدّش يقدر يمسك عليك حاجة.**
- **أنت لغاية دلوقت ماشوفتش أفلام؟ أنت عبيط يالا؟**
- **البنت اللي تعرف عن الجنس أو تتكلم فيه دي بنت سافلة ماتربّتش.**
- **البنت اللي تحس برغبة جنسية تبقى صايعة وقليلة الأدب.**
- **شايف البنت اللي هناك دي؟ شايف جسمها؟ شايف مشيتها؟**
- **البنت اللي تلبس كده وتمشي كده تبقى بتغري الرجالة.. عاوزة واحد يظبطها.**
- **كل البنات مش عاوزين غير حاجة واحدة.. السرير.. طالما أنت دَكَر في السرير، يبقى أنت كده مكفّيها.**
- **صاحب أي واحدة واعمل معاها اللي أنت عايزه، بس لما تيجي تتجوز، اختار المحترمة اللي ما تعرفش حاجة عن أي حاجة.**
- **الست مخلوقة علشان تمتّعك وترضيك وتشبع رغبتك، دي شُغلتها في الدنيا.**
- **لو طلبت مراتك ما ينفعش تقول لك لأ أصلًا. روح اتجوز عليها.**
- **في الجنس، أنت الطرف الفاعل، وهي المفعول به.**
- **أنت من حقك تبص على أي واحدة، تعاكس أي واحدة، تتحرش بأي واحدة، وتخون مراتك زي ماأنت عايز.. ولو حد كلّمك، قول له: أنا ليّا أربعة.**

***

حكاية الذَّكَر الشرقي مع الجنس حكاية طويلة.. تثبت لنا- تاني- بما لا يدع مجالًا للشك إنه ظالم ومظلوم في نفس الوقت..

وإنه ضحية زي ما هو- في بعض الأحيان- جاني.. وإنه أسير مجموعة من الترهات وُضعت في عقله منذ طفولته.. وإنه انتهى بيه الأمر بإنه يمارس بعض الأفعال والسلوكيات الجنسية بشكل قهري، فقط ليُثبت لهذا الصوت الداخلي الذي يطارده.. إنه راجل..

في مُمارستنا الإكلينيكية، أول سؤال بنسأله لأي حد فيما يخص الجنس هو: إيه أول مصدر لمعلوماتك الجنسية؟

الذَّكَر الشرقي بيعرف عن الجنس من خلال أصحابه، من خلال الأفلام «الثقافية»، من خلال المجلات «الجنسية»، ومؤخرًا المواقع والفيديوهات الإباحية.. مافيش من خلال الدراسة، أو من خلال الأهل، أو من خلال أي حاجة تانية.. اللهم إلا حصة الأحياء بتاعة الجهاز التناسلي.. اللي المدرس بيشرحها بجدية مُتوترة.. والطلبة نُصهم يتكسف يسمع، والنص التاني يضحك ويسخر..

الجنس بيوصل للذَّكَر وللأنثى في مجتمعاتنا على إنه فاعل ومفعول، آخِذ ومأخوذ، حد بيعمل وحد بيتعمل فيه.. حد ليه اليد العُليا وحد تاني ضعيف مُستضعَف.. معادلة قوة واستقواء في أصلها..

تشويه هائل في المفاهيم والمعاني وحتى الممارسات الجنسية للذَّكَر، وللأنثى أيضًا.. اللي هي أصلًا مش بيوصلها عن الجنس من ساعة ما تتولد غير إنه عيب، وحرام، وماينفعش نتكلم فيه، ومش من حقك تحسي ولا تستمتعي ولا تتبسطي ولا حتى تطلبي.. لما الراجل يعوزه هييجي ياخده منك، هو هيبادر وياخد الزمام، وانتي تستسلمي وتستقبلي وبس.. الجنس بالنسبة لك وظيفة ومهمة تؤديها آخر اليوم وخلاص.

الرسايل المجتمعية الرهيبة اللي زي دي بتزرع في عقل أي ذَكَر عقيدتين نفسيتين أساسيتين: الأولى هي إن رجولته تساوي فُحولته الجنسية، والتانية هي إن الأنثى أداة جنسية بالدرجة الأولى..

ويعيش هذا الذَّكَر طول عمره مغمِّي عينيه وبيلف في ساقية كبيرة اسمها «جنسي رجولتي».. ويصيبه هوس مجنون بكل ما هو جنس، ولهاث لا ينقطع وراء كل ما له علاقة بالجنس.. مش بس كده.. ده حتى الحاجات اللي مالهاش علاقة بالجنس.. بيخلي ليها علاقة بالجنس.. فيما يعرف علميًّا بـ«الجنسنة»..

يتباهى بين أصحابه بعلاقاته الجنسية.. علشان يثبت لهم إنه راجل..

يُضيق الخناق على أخته وبنته وزوجته وأحيانًا أمه.. علشان يثبت لنفسه إنه راجل..

بقت أهم ليلة في حياته هي ليلة الدخلة.. علشان يثبت للمجتمع كله، إنه برضه راجل..

شوفت سِجن نفسي أكبر من ده؟

وأصبحنا تاني أكتر شعب في العالم بندور في جوجل على كلمة «جنس» بعد باكستان(2).

وأمتنا العربية أكتر أمة في العالم بتستخدم الحبة الزرقاء(3).

والقاهرة أكتر بلد في العالم لا تشعر الأنثى في شوارعها بالأمان(4).

شوفت جنان وهوَس أكتر من كده؟

والمفارقة بقى.. إن هذا الذَّكَر الفحل، المهووس بالجنس، غير القادر على التحكم والسيطرة على شهواته وغرائزه، يتحول- بالرغم من كل ده- إلى حجر أصم بارد مع زوجته.. لا يُحرك معها ساكنًا..

عارف فيه كام زوجة بتشتكي من بُعد زوجها الجسدي/الجنسي عنها لشهور، وأحيانًا سنوات؟

عارف كام زوج قرر- بشكلٍ واعٍ أو غير واعٍ- إنه يحرم مراته منه إمَّا زُهدًا وإما زهقًا أو فتورًا أو عقابًا؟

عارف الإحساس اللي بتحسه الست ناحية نفسها وناحية أنوثتها لما جوزها يوصّل لها- بهذه الطريقة- إنها «غير مرغوب فيها»، وإنه قرفان منها، وإنها «ناقصة الأنوثة»، وإنها

«مابقيتش حلوة ولا جذابة خلاص»؟
أهو ده الجنان والفصام والانفصام فعلًا..
هوس جنسي من الخارج.. وخيبة جنسية من الداخل..
فحولة جنسية ظاهرة.. وضعف جنسي خفي..
اغترار جنسي في الشارع.. وتواضُع جنسي شديد في البيت..
بالمناسبة..
عارف إيه أهم أسباب الضعف الجنسي عند الرجالة؟
هذا الصوت المريض داخله..
آه والله.. هذا الصوت المُخيف اللي بيطارد صاحبه ليل نهار.. الصوت اللي بيقول له: «اثبت لي إنك راجل».. «وريني فحولتك».. «أداؤك الجنسي هو بطاقتك الشخصية». الصوت ده بيطلع له في بيته.. في شغله.. في سريره.. في أحلامه.. يُسميه العامة «ربط»، ويُسميه الدجالون «عفريت»، ويُسميه الأطباء «عجز لأسباب نفسية».
شوفت غُلب أكتر من كده؟
وطبعًا اللي بيدفع تمن كل ده مش الرجالة/ الذكور بس.. لأن الإناث كمان- الطرف التاني في المعادلة- دفعوا وما زالوا بيدفعوا تمن غالي جدًّا.. الإناث في خضم ده كله تم «جنسنتهم» تمامًا..
وخليني أقول لك دلوقت يعني إيه «جنسنة».. اللي هي- برضه- أحد محاور وجود الذَّكَر الشرقي..

****

كلنا عارفين «وسائل الدفاع النفسية- Psychological Defense Mechanisms»..
اللي هي بعض الطرق اللي بيستخدمها عقلنا الباطن علشان يخفي بيها (عن عقلنا الظاهر) مشاعر الخوف أو الألم النفسي أو الإحساس بالذنب.. من أشهر هذه الوسائل الإسقاط (أقول: «أنت سبب فشلي» بدلًا من «أنا قصّرت وتسبّبت في فشلي»).. والتمنطق: «المريض مات لأن سِنه كبيرة بدلًا من مات بسبب تأخري في مساعدته».. وتكوين الفعل العكسي «أنا باحبك جدا».. في الوقت اللي تعبر فيه الأفعال عن «أنا باكرهك جدًّا»..
فيه بقى وسيلة دفاع نفسية اسمها «الجنسنة- Sexualization»، يعني اختزال شيء معين وإضفاء معنى جنسي عليه..
في المجتمعات الذكورية، معظم الناس بتدي حاجات كتير معنى جنسي، وصبغة جنسية، وتأويلات جنسية.. مش هادخل في تفاصيل دلوقت.. لأني عاوز أوصل للُب الموضوع.. وهو إن أكتر حاجة إحنا عملنا لها جنسنة على مر تاريخنا (البشري مش بس المجتمعي)- كذكور، هي المرأة.. الأنثى..
الأنثى في العقل الجمعي- الذكوري الشرقي- كائن جنسي.. هدف جنسي.. لا تحمل إلا معنى جنسي.. يعني جسم الأنثى كائن جنسي.. أي واحدة ماشية في الشارع هدف جنسي.. ضحكة الأنثى ليها معنى جنسي.. صوت الأنثى ليه معنى جنسي.. مشيتها ليها معنى جنسي.. ريحتها ليها معنى جنسي.. لبسها يتم فحصه وتمحيصه بالمجهر الجنسي..
الأنثى في عقل الذَّكَر الشرقي ليست سوى «موضوع جنسي- Sexual Object».. فقط.. مش أي حاجة تانية.. وفي سبيل الوصول ليها، ممكن يستخدم أي حاجة وأي طريقة وأي

أسلوب من أول «تعالي أعزمك على قهوة» لغاية «أنا باحترمك جدًا، بس إحنا عايشين في مجتمع متخلف قوي، ماتيجي تقلعي»، مرورًا بكل أنواع التودد والتقرب والتجمل والتحمُّل، وكل كلمات السحر وعبارات الغزل، وأشعار وأغاني الحب والغرام.
الأنثى في عقل الذَّكَر الشرقي مش بني آدم.. مش إنسان ليه نفس حقوقه وعليه نفس واجباته.. مش حد ممكن يتفوق في أحيان كتير وفي أمثلة أكثر على أقرانه من الذكور.. مش مخلوق ربنا وهبه من الذكاء والحِكمة والبصيرة والتحمُّل وعُمق الرؤية أضعاف أَضعاف بعضهم..
جسد الأنثى في عقل الذَّكَر الشرقي وظيفته الوحيدة هي إنه مثير للشهوات، وكل معنى وجوده هو إنه فتنة للرجال، وكل هدفه هو تعطيلهم عن مهامهم المقدسة في الحياة. وبالتالي ما ينفعش معاها طبعًا- في مجتمع مصدق إنه متدين بطبعه- إلا الوأد النفسي والسحق المعنوي والتشويه الجسدي، والأمثلة أكتر من إني أعَدّدها.. من أول الختان لغاية «صوت المرأة عورة»..
إحنا بنقطع جزء من جسمها علشان ما تحسش، ما تستمتعش، ما تبقاش - على حد التعبير العامي الدنيء- هايجة ومش لاقية حد يلمّها، بنشوّهها علشان نخلي المتعة الجنسية مقصورة على الكائنات السامية المنزهة اللي هي «الذكور»، ونحرمها هي منها، علشان ده مش من حقها، لأنها «موضوع جنسي - Sexual Object»، مش «شريك جنسي - Sexual Partner»..
ومهما قيل إن الرسول ﷺ لم يختن بناته، وإن الأحاديث الواردة في الختان ضعيفة، وإنه مش بيتم في البلد الذي نزل فيه الإسلام نفسه (السعودية)، ولا الشام ولا المغرب العربي، وإنه حرام برأي الأزهر ودار الإفتاء، وإنه جريمة برأي الطب..
صعب جدًّا - وساعات مستحيل- إنك تقف قدام لاوعي جَمعي ذكوري مُتجذر فيه كل ما هو عكس ذلك لسنوات طويلة جدًّا، في الرجالة/ الذكور، وفي الستات كمان.. ويمكن في الستات أكتر.. زي ما شوفنا سابقًا.
طيب.. حُط الصوت اللي بيقول للذَّكر من جواه «وريني رجولتك»، جنب «جنسنة» الأنثى واختزالها في كل ما هو جنسي، جنب «نرجسية» الذَّكَر الشرقي وانتفاخ ذاته، يطلع لنا إيه؟ بالظبط..
يطلع التحرش الجنسي.. والغرور الجنسي.. والخيانات الجنسية.. اللي همّ رسالة صفيقة موجّهة من كل ذَكَر شرقي إلى كل أنثى شرقية بتقول: «من حقي أعمل فيكي اللي أنا عاوزه»..
تطلع أجيال كاملة من الشباب الفخور بكونه ذكرًا.. وأجيال كاملة من الشابات الشاعرة بالدونية لكونها أنثى..
يطلع ولد يَشعر أن أجساد كل البنات ملكًا له.. وبنت لا تشعر حتى إن جسدها ملك لها..
لحظة واحدة..
هو إيه الغرور الجنسي ده؟

***

في أحد مؤتمرات العلاج النفسي في روما، كنت حاضر ورشة عمل عن ديناميكيات المجموعة.. الراجل اللي كان قاعد جنبي قال للراجل اللي قصاده - وكان ماسك كاميرا - «جميل إن حد يكون عنده موهبة التصوير، طبعًا أنت بتحب تصور بيها الستات الحلوين».. الراجل صاحب الكاميرا غضب وكشّر وقال له بصرامة: «بلاش تُسقط رغباتك وأحلامك الجنسية عليّا.. أنت اللي عاوز تصور الستات الحلوين.. وبترمي ده عليّا»..

المثال ده كان نموذج واضح «للإسقاط».. اللي زي ما قولت عنه من شوية، إنه بيخليك تشوف/ ترمي/ تسقط ما في داخلك على الآخرين.. يعني بدل ما تقول أنا عاوز أتحرش بالبنات.. تقول البنات لبسهم يدعو للتحرش.. بدل ما تقول أنا عاوز أغتصب أنثى.. تقول هي اللي بتثيرني لاغتصابها.. بدل ما تقول أنا المسئول.. تقول هي المسئولة.. إسقاط إسقاط يعني..
هذا الشكل من الإسقاط المريض بيعمل حاجتين..
أولًا.. بيخلي ناس تبرر التحرش، وناس تلوم ضحايا الاغتصاب، وناس تتهم الأنثى بأنها دائمًا وأبدًا هي السبب وهي المثير والمُحفّز والمستفز.. ما هي أصلًا فتنة.. وهي أصلًا هدف جنسي.. وهي أصلًا مكانها البيت.. إيه اللي خرجها؟ إيه اللي لبّسها؟ إيه اللي ودّاها هناك؟ يبقى هي اللي عاوزة.. وهي اللي بادئة.. وهي اللي فاتحة الباب..
وثانيًا.. بيخلي الذَّكَر الشرقي يُصاب بما يمكن أن نطلق عليه «الاغترار الجنسي» أو «الغرور الجنسي».. يعني يتصور إنه مطمع نساء العالم.. وإنه مافيش زيه.. ولا في الحلاوة.. ولا في الرجولة.. ولا في الفحولة.. يبقى مصدق إن أي واحدة في الدنيا تتمناه.. وترغبه.. وهتموت عليه.. ولو سافر بره.. يمشي في الشارع وهو مُتخيل إنه لو بص أو شاور لأي واحدة.. مش هتقدر تمسك نفسها عنه.. هتيجي جري تركع تحت قدميه مفتونة ومبهورة.. وهتطلب منه التوجه فورًا لأقرب سرير.. تصور؟!
أقول لك نكتة.. عارف لما تحصل فضيحة أخلاقية لذَكَر بيعمل علاقات غير شرعية مُتعددة بيتسمى إيه في الجرايد والمواقع الإخبارية؟ بيسموه «العنتيل».. آه والله.. كان فيه عنتيل المحلة.. وعنتيل الغربية.. وبعدهم عنتيل القاهرة.. والبحيرة.. ودمياط(5).. لقب لا يُعبّر إطلاقًا عن انحطاط وقذارة وخِسّة ما قام به هذا المجرم.. لكنه بيعبّر بكل وضوح عن فخر وانتفاخ وغرور ذكوري بالفحولة والقدرة الجنسية..
بدل ما يسموه خسيس.. بيسمّوه عنتيل..
بدل ما يُطلقوا عليه خائن.. بيُطلقوا عليه فَحْل..
بدل ما يُوصَف بالدونية والعار.. بيُوصَف بالقدرة والشدة..

***

في شتاء ٢٠١٩ عمرو دياب نزّل أغنية شهيرة جدًّا، بيتكلم فيها عن «يوم التلات».. اللي قابل فيه تلات بنات.. واحدة بيضا وواحدة سمرا وواحدة حلاوتها في روحها.. البنات عزموه على الغدا.. وفتفتوا الفتافيت!!! الصبح طلع عليهم.. وواحدة واحدة كانت عليه بتميل.. وفتفتوا الفتافيت تاني!!!
ولأن الأغنية بتوصف حالة من الفحولة المغوارية المنتشية.. فهو قعد كتير يوصف في جمالهم.. وشعرهم الحرير.. وسحرهم الخطير.. وإغوائهم وإغرائهم وفتنتهم ليه.. وقد إيه كان محتار بينهم.. يختار مين ويسيب مين.. ولّا يجمع بينهم همَّا التلاتة.
كلمات هذه الأغنية هي لسان حال الذَّكَر الشرقي بالحرف.. وبكل دقة..
شُعور شديد وزائف ومُبالغ فيه بالأهمية.. وانتفاخ الذات.. والاستحقاق غير المُبرر..
وبالمناسبة- وبكل أسف- ده كله بيخبّي تحته شعور عميق بالدونية وقِلّة القِيمة وعدم الاستحقاق.
وتحت كل دول أطنان من الخوف..
وأرتال من التهديد..

خوف تاني؟
كمان تهديد؟
آه..
عارف إحنا محتاجين إيه في مواجهة هذا الاختزال المُخلّ للرجولة ومعانيها ومُقوّماتها؟
إحنا محتاجين إعادة تعريف.. وإعادة صياغة.. وإعادة توعية- بكل وسائل التوعية- عن إن الرجولة غير الذكورة..
وان الأنثى مش أداة جنسية..
والجسد مش هدف جنسي..
والجمال مش شيء جنسي..
وإن الجنس نفسه مش شيء جنسي وبس.. آه والله العظيم.
الجنس لو تم اختزاله في فعل الجنس نفسه.. لفقد أهم ما فيه.. وهو التواصل النفسي والجسماني والروحي لأعمق درجات الوجود..
علشان كده فيه صلاة قبل الجِمَاع.. ودعاء قبل وبعد الجِمَاع.. واحترام وإجلال حقيقي لهذا الفعل الإنساني المُقدّس.. اللي - وبكل أسف - قُمنا باختزاله وتشويهه وتقذيره ومومسته.. إلى أقصى حد.. بعد ما اختزلنا الرجولة في الجنس.. والأنوثة في الجنس.. والحب في الجنس..
ربنا يعينا على نفسنا..
وعلى ذكوريتنا..
ويعين بناتنا علينا..
وينجّيهم مننا..

(2) جوجل تريندز ٢٠١١.
(3) القدس العربي، ٢٠١٦.
(4) رويترز، ٢٠١٧.
(5) موقع صدى البلد- ٢٥ أغسطس ٢٠١٩.

الفصل الثالث :
المرأة الثانية

كنت بأقود ورشة عمل بالقاهرة عن العلاقة بين الرجل والمرأة في المجتمع المصري، مع أستاذة وزميلة هولندية، سنة ٢٠١٨.

الزميلة الهولندية سألت الستات عن أهم صفات الرجل الشرقي.. طبعًا اتقالت أوصاف كتيرة من أول الجدعنة والشهامة لغاية الكِرش..

لكن كان فيه معلومة صعبة الفهم جدًّا على الست الأجنبية.. وكل الحاضرين كانوا بيحاولوا يوصلوها لها بدون فائدة.. واحدة تقول لها: «بيقبل على نفسه اللي مش بيقبله على مراته»، وواحدة تقول لها: «يبص على البنات اللي لابسة ومتمكيجة، لكنه ما يرضاش مراته تخرج كده»، وتالتة تقول: «يضحك ويهزر مع الستات لكن ما يقبلش أخته أو مراته تضحك وتهزر أو حتى تكلم الرجالة»، ورابعة تقول: «يخون مراته عادي، لكن لو مراته خانته يقتلها»، وخامسة تقول لها: «يعمل اللي هو عاوزه قبل الجواز، وما يرضاش يتجوز اللي تكون عملت زيه»..

مع كل جُملة، الست كانت ترفع حاجب وتنزل حاجب، أو تقلب شفايفها من الاستغراب، أو تفتح بُقها وتوسع عينيها من الذهول.. لغاية ما بعد عناء شديد، وحوالي نصف ساعة كاملة من محاولات التوضيح وضرب الأمثلة، الست قالت: «Do you mean double standards?».. يعني «قصدكو عنده ازدواجية في المعايير؟».. كل الحاضرات في نفَس واحد قالوا لها: «يااااااه.. Yes, Yes.. هو الـ«Double standard» ده».. الست بصَّت في الأرض شوية وردَّت: «Oh My God, this is very weird» «يا إلهي، هذا غريب للغاية».. طبعًا إحنا استغربنا أكتر من استغرابها.. weird مين يا ست الكل؟ ده عادي جدًّا هنا..

إحدى أهم مشاكل الذَّكَر الشرقي إنه مقسوم من جواه نصفين.. نصف ظاهر يتماشى ويتواءم مع عادات وتقاليد وأعراف المجتمع، ونصف باطن يجد لنفسه كل المبررات ليفعل ما يشاء، كيفما ووقتما شاء.. حياتين منفصلتين عن بعض تمامًا.. حياة ملتزمة متحفظة أمام العيون، وحياة منفتحة متحررة خلف الأبواب.. شخصين عايشين في جسد واحد، شخص يلمع في النور، وشخص يرتع في الظلام..

الزميل الفاضل د. شريف عمار وصف هذا الذكر في إحدى كتاباته(6) بأنه يقعد على القهوة مايسيبش بنت ماشية قدامه في حالها، وأول ما الأذان يؤذن يردده بصوت عالي، وينادي على صاحب القهوة يوطّي التلفزيون..

يقول: «أنا ضد شغل الست»، ولما مراته تتعب مش بيخليها تكشف غير عند «دكتورة»..

يتكلم على صفحته على الفيسبوك في الدين، ولو شاف صورة بنت مش عاجباه يطعنها هي وأهلها في أخلاقهم وتربيتهم وشرفهم..

يتجوز بنت مُستقلة بتشتغل وبتصرف على نفسها وبتسافر وتروح وتيجي، وبعد الجواز يقعدها في البيت ويقول لها: «ماعنديش ستات تشتغل»..

يصاحب ويعيش حياته ويقضّيها قبل الجواز، وأول ما ييجي يتجوز يدوّر على «القطة المغمضة»..

ما يخليش بناته يكلموا أولاد علشان عيب وحرام، وفي نفس الوقت يحاول «يدردح» ابنه اللي مش عارف يصاحب بنات..

يحكم على مراته وأمه وبنته بلبس معين، وأول ما يخرج ما يسيبش بنت غير لما ياكُلها بعينيه ويقول: «أصل لبسها استفزني»..
ما يقولش اسم مراته أو أمه أو أخته قدام الناس علشان ده هينقص من «رجولته»، لكن عادي جدًّا يعلّي صوته عليهم ويهينهم ويبهدلهم برضه قدام الناس علشان هو «الراجل»..
ما يرضاش يغازل مراته أو يقول لها كلمة حلوة قدام الأولاد.. بس يضربها قدامهم بمنتهى الصفاقة..
يشتغل على تاكسي أو ميكروباص ويفضل مركّز في المراية اللي كاشفة اللي وراه، ويشغل في الكاسيت قرآن..
وغيره.. وغيره.. وغيره..
طبعًا المسئول عن هذه الحالة الفصامية الصعبة مش الذَّكَر الشرقي وحده، المسئول كمان هو مجتمعه المنفصم أكتر منه، وتربيته المشوَّهة والمشوِّهة، وكثير من الأفلام والمسلسلات والأغاني والأعمال الفنية اللي لا تُخاطِب فيه إلا جوانبه المُظلمة..
يعني مجتمعه يقول له إن رجولتك تساوي فحولتك، وأهله يزرعوا فيه إن الراجل مش بيعيط ولا بيحس ولا بيحتاج، وتلفزيون وسينما وأغاني يحصروا الرجولة في حسين فهمي بمُعجباته، ومحمود ياسين بالهايمين بيه، ومن بعدهم تامر حسني بمراهقاته، وآسِر ياسين بالمفتونين فيه.. هتكون إيه نتيجة كل ده؟
اللي انتم شايفينه قدامكم ده بالظبط..
إنسان محتار ومتلخبط، مُتردد ومتخبط.. عمرو خالد من فوق، وعمرو دياب من تحت.. على رأي السيد «مرجان أحمد مرجان».. حاجة صعبة بجد..
نوصل بقى للخيانة الذكورية الشرقية.

***

الخيانات العاطفية والزوجية موجودة في كل حتة في العالم.. وأشكالها متعددة للغاية.. وأسبابها كتيرة جدًّا.. فيه أسباب عامة ومشتركة بين كل المجتمعات والثقافات، وفيه أسباب تخص كل مجتمع وكل ثقافة...
حسب الإحصاءات العلمية.. معدل خيانة الذكور ضِعف معدل خيانة الإناث.. حوالي ٢٠٪ من الذكور عملوا علاقات جنسية مع واحدة تانية غير الزوجة.. وكل ما عُمر الذَّكَر يزيد، احتمالات الخيانة بتزيد هي كمان General Social Survey» (GSS)» ٢٠١٧... (دي دراسة أمريكية)..
أكتر عشر بلدان من حيث نسبة الخيانة الزوجية «سواء من الذكور أو الإناث» هي: تايلاند ٥٦٪ - الدنمارك ٥٠٪- إيطاليا ٤٥٪- ألمانيا ٤٥٪- فرنسا ٤٣٪- بلجيكا ٤٠٪- النرويج ٤٠٪- إسبانيا ٣٩٪- بريطانيا ٣٦٪- فنلندا ٣٦٪(7).
طبعًا كل دي دراسات أجنبية.. نظرًا لصعوبة عمل دراسة علمية حقيقية وصادقة عن هذا الموضوع في أي بلد عربي.
في رأيي.. فيه عشرة أسباب للخيانة الزوجية من جانب بعض الذكور الشرقيين (والخيانة استثناء وليست قاعدة يمكن تعميمها- إحنا بنتكلم عن ظواهر مرَضية):
خمسة أسباب منهم يخصوا الثقافة والمجتمع اللي إحنا عايشين فيه، والرسايل اللي بيوصّلوها لأبناء هذا المجتمع (أشرنا ليهم في الفصول السابقة- وهافكركم بيهم تاني هنا)..

وخمسة آخرين يخصوا العلاقة الزوجية نفسها، بأحوالها ومشاكلها وتفاصيلها.. وده لا ينفي طبعًا وجود خيانات بين النساء.. لكننا هنتناولها في سِياق آخر.
السبب الأول..
وجود دورين مُنفصلين للمرأة في عقل الذَّكَر الشرقي.. واحدة تلعب دور «الأم» في البيت.. وواحدة تلعب دور «الزوجة» بره البيت.. وده اللي بيخلي كتير منهم لما ييجوا يتجوزوا، يدوّروا على واحدة طيبة وبنت ناس ومالهاش أي خبرات أو تجارب عاطفية.. واحدة بتعرف تطبخ وتكنس وتربي العيال.. ويبدأ بعد الجواز (وأحيانًا قبل الجواز) يعمل علاقة مع واحدة تانية مش مطلوب منها كل ده.. وكل المطلوب منها علاقة جنسية/ زوجية مُشبعة.
ده وراه إيه؟
وراه - زي ما قُلنا - ثبوت الذَّكَر نفسيًّا عند المرحلة الطفولية اللي بيشوف فيها أمه اتنين.. واحدة «أم».. وواحدة «زوجة نفسية».. وشرحنا النقطة دي بالتفصيل في الفصل الخامس «الذَّكَر ابن مراته».
تاني سبب..
عارف لما واحدة تكتشف خيانة جوزها ليها، وتواجهه، بيقول لها إيه؟ بيقول لها أنا راجل ومن حقي أربعة.. يا سيدي ماشي، الشرع قال لك إنه من حقك «بضوابط وقيود شرعية» تتجوز أربعة، بس ماحدّش قال إنك تخون مراتك مع أربعة.. ولّا تلاتة.. ولا واحدة حتى.. ليه ربطت الحق في الزواج بالحق في الخيانة؟ هو كده..
ده بقى وراه إيه؟
شاطر..
وراه الفهم المغلوط والمشوَّه للدين.. وسوء استخدام النصوص والأحكام الدينية، وإخراجها من سِياقها وهدفها ومعناها الحقيقي..
السبب التالت..
عارف الزوج ده بيقول لمراته اللي خانها إيه كمان؟ بيقول لها انتي اللي مش مُهتمة بيَّا.. انتي اللي مقصّرة في حقي.. شوفي إيه اللي أنا احتاجته ومالقيتهوش معاكي، فروحت أدوّر عليه بره.. واللي ورا ده طبعًا هو اقتناعه التام بإن مراته لازم تكون عشر ستات في بعض.. تشتغل في البيت.. وتربيه هو وعياله.. وتكون كمان غانيَة بالليل.. مالقاش الكومبو ده في البيت.. يروح يشوفه بره..
وده - بدوره - وراه الاعتقاد الراسخ بإن الست دايمًا هي المُلامة.. هي السبب.. هي المسئولة: اتعاكست هي المسئولة.. تم التحرش بيها هي المسئولة.. اتخانت هي برضة المسئولة.. وإن الذَّكَر مايعيبهوش غير جيبه.
السبب الرابع هو الطمع..
الخيانة كتير بيكون وراها طمع.. طمع في مُتعة أكتر.. طمع في إحساس بالامتلاك والاستحواذ.. طمع في الحصول على كل شيء.. دون أي خسارة..
يعني عايز يكسب البيت.. وكمان عايز يكسب بره البيت..
عايز يكسب الزوجة.. وكمان عايز يكسب العشيقة..
عايز يكسب الأولاد.. وكمان عايز يكسب المغامرة.
وكل ده.. من غير ما يخسر أو يفقد أي حاجة.. أو أي طرف..

سلوك نرجسي واضح.. وجَشِع أناني فَجّ..
السبب الخامس هو الاستسهال..
يعني لما يكون فيه مشاكل زوجية.. أو صعوبة في التواصل بين الزوجين.. بدل ما يتوجّهوا مع بعض لمُعالج نفسي زواجي يساعدهم، ويحل اللي بينهم، ويعلّمهم طُرق ومهارات جديدة للتواصل مع بعض.. لأ.. الست تبقى موافقة على ده، وجوزها يرفض ويقول لها: «أنا ماعنديش حاجة».. «مش هاطلّع أسرار بيتي بره».. «مين يعني فلان أو فلانة دي علشان تعلّمني أتعامل مع مراتي إزاي؟».. ويريح نفسه.. ويكبر دماغه.. وزي ما يكون كده ما بيصدق علشان يلعب بدِيله.. زي ما يكون بيدوّر على سبب للخيانة ولقاه، وعاوزه يفضل موجود.. فيكون مُبرر ليه قُدام نفسه، ويعفي نفسه من المسئولية، ويرميها على شريكة حياته.
وده نابع من الرسايل اللي بتوصل من المجتمع لكل زوج بإن زوجته هي اللي مفروض تعوّد نفسها على طبعه، وهي اللي لازم تتغير علشانه، وهي اللي ما ينفعش تخرب على نفسها.. وده تلقائيًّا هيخلي أي ذَكَر يتعامل مع مراته من منطلق: «أنا كده.. ومش هاتغيّر.. وإن كان عاجبِك»..
دي الأسباب الأشْهَر في مجتمعنا.. واللي بتسهّل على بعض الذكور الشرقيين الاتجاه لفعل الخيانة.. غير المقبول وغير المُبرّر على الإطلاق بالطبع..
فيه أسباب تانية تخص العلاقة الزوجية نفسها، بغَضّ النظر عن الثقافة والمجتمع.. زي انعدام السعادة الزوجية المُزمنة والمستعصية، مشاكل جنسية، الرغبة في الانتقام، اضطرابات الشخصية والإدمان. وكلهم برضة لا يُبرروا الخيانة.. يا إما نسعى للعلاج والتغيير وإعادة التواصل.. يا إما كل واحد يروح لحاله..
إحنا من حقنا علاقات زوجية مُستقرة وسعيدة.. مش مقابر نفسية جماعية للزوج والزوجة والأولاد.
ويفضل السؤال الصعب..
طيب نعمل إيه؟
هل فيه حل؟
ينفع أكمّل مع حد خانّي؟
في الحقيقة الحكاية دي تفرق من راجل لراجل.. ومن سِت لسِت..
فيه واحدة تقول دي نزوة.. وهاسامحه..
وفيه واحدة تقول ما كل الرجّالة كده..
وفيه واحدة تقابل الخيانة بالخيانة..
وفيه واحدة تنهي الزواج وتطلب الطلاق فورًا..
وفيه واحدة ما تستناش الطلاق.. وتروح تخلعه..
أنا رأيي في كل الأحوال.. إن حدوث الخيانة الزوجية معناه فشل حاد في الزواج.. معناه ستُوب.. معناه نقطة ومن أول السطر، لو كان فيه سطر تاني..
هل إحنا بقى مُستعدين نقف ونشوف ونصلّح ونعالج ولّا لأ.. ده قرار الزوجين.. لو الزوجة وافقت تكمّل.. ولو ما وافقتش.. يبقى خَلاص.. خِلصت..
لما واحدة بتجيلي في وضع بالشكل ده.. باسألها: عايزة تكملي؟ لو قالت لأ.. بأقول لها ده حقك.. ولو قالت آه.. بأقول لها يبقى مهم تخضعوا انتم الاتنين لعلاج نفسي زواجي عند حد من

المتخصصين.. غير كده ماأعرفش..
فيه بقى بنات وسيدات لو قالت «لأ».. بتحصل لهم بلاوي.. اللي أهلها يقاطعوها.. واللي جوزها يبهدلها.. واللي الناس ينصحوها ويقولوا لها «ما تخربيش بيتك».. واللي كل دول مع بعض.. دي باطلب منها تشتغل لو كانت مش بتشتغل.. وتعمل لنفسها دايرة قريبة من الأصحاب والمعارف و«بواقي الأهل».. وتخضع لأحد برامج الدعم النفسي.. لغاية ما تقدر تقف على رجليها، وتقول «لأ» بالفُم المليان، وتبقى قادرة تتحمل مسئوليتها.. من مواجهة.. وخوف.. وبعض الوحدة..
ما هو «لأ» ليها تمَن.. بيكون في بعض الأحيان غالي جدًّا.. غلو النَّفس.. وقيمة الروح..
والخيانة اللي مش بيتقال لها «لأ» بصوت عالي ومزلزل.. بتكسر النَّفس.. وتهين الروح..
وتتحول شيئًا فشيئًا إلى غلطة متكررة.. ثم عادة.. ثم حق..
يا كل أم وأب
ما تربيش ابنك على إنه «هارون الرشيد».. كل اللي حواليه بيخدموه ويسهروا على راحته..
ما تكبرهوش على إنه «شهريار».. الآمِر الناهي المُطاع.. وإلا «السيف يا مَسرور»..
علشان ما يتحولش في أحد الأيام لـ«دون جوان»؟ يحب دي.. ويعشق دي.. ويبات في حضن دي..
ربنا يبعد عنكم وعنا كل سوء..

(6) بوست على الفيسبوك بتاريخ ١٤/ ٤/ ٢٠١٦ للدكتور شريف عمار (بتصرف).
(7) جريدة المصري اليوم، بناء على دراسة منشورة في الإندبندنت البريطانية- ٢٨ نوفمبر ٢٠١٦.

الفصل الرابع :
علشان تبقي تقولي لأ

(١)

منال

- دكتور محمد.. كنت عايزة أقول لك على حاجة حصلت معايا الأسبوع اللي فات..
- اتفضلي يا منال..
- يوم الأحد اللي فات، أخويا ضربني وشتمني وفضل يبهدل فيَّا، عشان ياخد مني فلوس، وأنا لسه ما قبضتش والله.
- يا نهار أسود.. وعملتي إيه؟
- حضرتك قلت لنا في الجروب ما تسمحوش لأي حد يؤذيكم، حتى لو روحتوا بلغتوا فيه الشرطة..
- آه أنا قولت كده..
- أنا اضطريت أبلغ فيه في النقطة في البلد اللي إحنا عايشين فيها..
- وبعدين؟
- وبعدين قرايبي لما سمعوا إني عملت كده، قاطعوني كلهم.. حتى أمي خاصمتني لغاية النهارده..
- كلهم مُجرمين زيه.. ونقطة الشرطة عملت إيه؟
- الضابط بعت له غفير ياخده.. راحت أمي نبّهته عشان يهرب.. وهرب منهم فعلًا.. وهدّدني إن هو هيشنقني لو الظابط خده.. وجابوا ناس تاني قرايبي عشان يخلوني أتنازل عن المحضر..
- واتنازلتي؟
- ماكنتش راضية أتنازل، لغاية ما أخويا التاني حلف إنه هيحبسني في البيت في أوضة لوحدي لو ما اتنازلتش عن المحضر.
- لا حول ولا قوة إلا بالله.
- أنا مخنوقة من اللي بيحصل دا كله منهم يا دكتور محمد.. هو أنا غلطانة عشان حاولت أمنعه من إنه يؤذيني؟ ولَّا يعني كنت هاعمل إيه؟ وهاتصرف إزاي في الموقف ده؟
- هو أخوكي ده مين كبيره يا منال؟ أبوكي فين؟ أعمامك فين؟
- مالوش كبير يا دكتور.. أخويا مالوش كبير.. وما حدش بيقدر عليه..

(٢)

ظهر تريند من فترة، لواحد حب يدّي خطيبته درس العمر، لأنها ماكانتش بتسمع كلامه، وكانت على غير وفاق مع مامته، فقرر يروح حفل الخطوبة عادي جدًّا.. ويأجّل لبس الدبل شوية بحجج مختلفة (علشان تراجع نفسها على حسب الكلام المنتشر/المنشور على لسانه)، وفجأة.. ساب هو وأهله حفل الخطوبة، واختفوا واحد ورا التاني بدون سابق إنذار، وأخدوا كمان معاهم التورتة.. وبعت لها بعد كده يقول لها: «مبروك يا عروسة، علشان تسمعي كلام اللي حواليكي كويس». وفقًا لكلامها ونشرها التالي:

«أنا كان مَقْرِي فاتحتي زي ما كله عارف على «فلان»، وخطوبتي كانت يوم السبت اللي فات المفروض.. كان بينا مشاكل زي أي اتنين عاديين، وقلت دا عادي بيحصل، بس اللي ما تخيّلتش إنه يحصل هو إنه يسيبني في القاعة لوحدي.. اتفاجئت إنه مش عازم صحابه ولا قرايبه كلهم،

وحسيت فيه حاجة غلط، حتى مامته وأخته مافيش واحدة فيهم جات باركت لي، وقولت أمشّي اليوم.. كل ما أقول له فين الشبكة اللي هنلبسها يقول لي: «أصل اتكب عليها شربات».. «أصل وقع جاتوه عليها».. «طب خليها بعد البوفيه».. وكلام كله غريب كده.. لحد ما دخلنا بعد البوفيه، لقيت أهله كلهم مشيوا، وقال إيه خاله تعب! فيقوم أهله كلهم يمشوا؟ وأنا في القاعة لوحدي بادوّر عليه ألاقيه بيصرخ بره ويقول خالي عيان وبيلطم وحاجات غريبة كده.. وأنا أقسم بالله ما مستوعبة اللي بيحصل.. هو فيه واحد خاله عيان عيلته كلها بتمشي؟ الستات اختفوا بس كانوا بيهزروا فوق.. نسيوا العيان؟ والأنيل إننا اكتشفنا إنهم أخدوا التورتة معاهم.. طب مش خالك عيان؟ أخدتوا التورتة معاكم!! مالبّستنيش شبكة!! وقبل كل دا بأيام جالي البيت وأخد التوينز بتاعت قِراية الفاتحة بحجة إنه عايز يلبسني كله مرة واحدة في القاعة.. وأنا هبلة وافقت.. ماجاش في بالي للحظة واحدة إنه هيعمل فيَّا كده.. دلوقتي حابّة أقول كل دا عشان إيه؟ كان ممكن ننهي بالمعروف من غير أذى نفسي ليَّا.. كان ممكن تسترجل وتيجي تقول لي يلَّا نفركش وكنت لَغيت الخطوبة.. مش جاي وبترقص وتقول لي محضّر لك مفاجأة.. وفي نيتك تعمل فيَّا كده.. حسبي الله ونعم الوكيل»(8).

بمناسبة الواقعة دي..

انتم عارفين فيه كام واحدة خطيبها سابها قبل الفرح بكام يوم، وأحيانًا في نفس يوم الفرح؟

عارفين فيه كام واحد اختفى تمامًا وفجأة وبدون أي سابق إنذار، ولا يرد على تليفون، ولا يبعت رسالة، في نفس يوم الخطوبة؟

عارفين فيه كام واحدة حصلت معاها الحكاية دي؟

أكتر مما تتصوروا..

مش قادر أنسي صوت ودموع البنت اللي كانت مرتبطة بواحد، وعاشت معاه قصة حب استمرت كذا سنة، وفي الآخر بعت لها رسالة: «الموبايل اتكسر ومش عارف أكلمك».. «أنا مكسوف».. «أنا هاخطب»!

(٣)

اقرا معايا كلمات الأغنية دي، اللي انتشرت في صيف ٢٠١٩.. الأغنية اسمها «سالمونيلا» وده نوع من البكتيريا.. الأغنية بتشتم البنت اللي تقول «لأ» للي بيعاكسها ويتحرش بيها ويطلب رقم تليفونها.. والمُغني بيهددها بالفضيحة وتشويه السمعة والإصابة بالمرض:

«أنا شفتك مرة في حتة في يوم، وطلبتي لاتيه..
فهاروح لك نفس الحتة لحد ما أقابلك فيه..
ومش هامشي أنا قبل ما آخد رقمك، فما تكسفنيش..
وإن قولتي لي «لأ» يلعن أبو شكلك..
بكرة يقابلك حد يقول لك..
«لأ» تلُق طعامتك.. تيجي ف كرامتك تبقى..
وييجي لك سالمونيلا.. وتصحي فشلة..
وتجري ورايا ما تلحقنيش.. عشان تبقي تقولي «لأ»..
عشان تبقي تقولي «لأ»..
...
ارفضيني بقرارك، أنا عادي كده كده..

بس هاجري أقول لكل شاب إنك بنت مسكبة..
بلا فرح بلا شقة.. عشان تبقي تقولي «لأ»
هوبّا عادي نسيتك فجأة..
عينيكي طلعت لينسيز زرقة..
معايا شنجن وانتي «لأ»..
عشان تبقي تقولي «لأ»..
عشان تبقي تقولي «لأ»..»
(٤)
كل الكلام اللي فات ده.. هو مقدمة كان مهم أكتبها.. علشان أقول الكلام الجاي..
هو إيه علاقة الحاجات دي كلها ببعضها؟ أخو منال.. التورتة.. الخُطّاب/ العرسان اللي بتختفي قبل أو يوم الفرح.. وأغنية السالمونيلا؟ إيه المشترك ما بينهم؟ وفين الراجل/ الذَّكَر الشرقي في الموضوع؟
أقول لك..
العلاقة بين كل ده اسمها «السيكوباثية- Psychopathy».. والسلوكيات السيكوباثية هي أحد أوجه الذكورية الشرقية (المتعددة).. وهي رابع المضاعفات الخطيرة جدًّا لبعض المصابين بها.
«السيكوباث- Psychopath» ده نوع من اضطرابات الشخصية.. موجود في حوالي ١٪ من البشر.. ونسبتهم في الرجال إلى الإناث ٢٠ إلى ١ «يعني في مقابل كل ١٠٠ سيكوباثي ذكر، فيه ٥ سيكوباثيات إناث».. حوالي ١٥٪ من المجرمين والنصابين والسفاحين مصابين بهذا النوع من اضطراب الشخصية.. و٣٪ من رجال البيزنس الكبار في العالم تم تصنيفهم إنهم سيكوباث في دراسة اتنشرت في أمريكا سنة ٢٠١٠.
الشخص السيكوباثي فيه ١٠ صفات لا تُخطئها عين:
• جذّاب ولطيف وحبُّوب جدًّا.. مُتحدث لبق ومتكلم من الطراز الأول.. معسول الكلام إلى أقصى درجة.. كلمة واحدة منه تطلّعك سابع سمَا حرفيًّا.. أستاذ في الغزل والإطراء، ورئيس قسم في اللعب على أوتار المشاعر والاحتياجات النفسية والعاطفية والمادية.. عنده قدرة هائلة على الإقناع وطاقة جبّارة على الإبهار..
• مش بيحس بالندم إطلاقًا.. هو حرفيًّا ماعندهوش ضمير.. مش بيلوم نفسه ولا يعاتبها ولا حتى يراجعها.. يقتل بدم بارد.. يجرح بابتسامة عريضة.. يذبح بكل صفاء ونقاء وأريحية.. ولا ذرة إحساس بالذنب..
• بالتالي.. فهو مش بيحب يتحمل مسئولية أفعاله خالص.. بالعكس.. ده دايمًا يلقي اللوم على الضحية ويؤنبها ويقول لها: «انتي السبب».. لما يعمل حاجة تؤذي حد، يقول: ده كان يستاهل.. لما يجرح واحدة، يقول لها: «انتي بس اللي حساسة شوية».. لما حد يقوله أنتَ بتعمل معايا كده ليه؟ رده يكون: «أنت اللي مش عاوز تعترف بغلطك».. قدرة خارقة على قلب الترابيزة.. ومهارة فائقة في تشكيك أي حد في نفسه..
• إحساس عالي جدًّا بالأهمية.. شايف نفسه مافيش زيه.. ومُتوقع منك معاملة خاصة واهتمام زائد.. فاهم اللي ماحدش فاهمه.. وعارف اللي ماحدش عارفه.. ودايمًا يستحق أكتر من اللي هو فيه.. بس مين يفهم؟ ومين يقدّر؟ (ده رأيه في نفسه).. نرجسية أصيلة متأصلة ذائبة حتى

النخاع في تركيبته النفسية المُعقدة.. ودي إحدى نقاط تشابه وتشابك الشخص السيكوباثي بالشخص النرجسي (وهو تشابه كبير).
• ذكي جدًّا.. لأ.. ده شديد الذكاء.. بيحسب كل خطوة، ويخطط لها قبلها بمراحل.. صعب أوي تضحك عليه أو تمسك عليه غلطة.. علشان كده بيسموا المجرمين السيكوباث فنانين في الإجرام.. بيستمتع جدًّا بإيذاء الناس، وبالتحضير والتخطيط المُحكم لده.. لكنه طبعًا بياخد مُخاطرات غير محسوبة أحيانًا.
• مش بيحس بالناس.. خاااالص.. ماعندهوش مشاعر أصلًا.. مش بيحب.. مش بيكره.. مش بيقرف.. مش بيهتم.. مش بيتألم.. مش بيخاف.. لكنه- وبكل أسف- بيعرف يمثل المشاعر كويس أوي، وأحيانًا أحسن من أصحابها.. يعني يقنعك إنه بيحبك، لغاية ما تصدقه.. وهو شخصيًّا يصدق نفسه.. يقنعك إنه زعلان من نفسه وندمان وحاسس بالذنب، لغاية ما تبقى عاوز تقطع شرايينك من كتر ما هو صعبان عليك.. يوريكي إنه مهتم ومشغول بيكي ليل نهار.. لكنه في الحقيقة- ومن جوّاه جدًّا.. أبيض.. فلات.. ولا حاجة.. مش حاسس بأي حاجة.. لكنه بارع في إظهار وإتقان أي حاجة..
• علشان كده، هو متخصص في التلاعب بمشاعر الآخرين.. النهارده يحسِّسِك إنك أحب الناس ليه.. بُكرة يحسِّسِك بالذنب إنه بيحبِّك أكتر ما انتي بتحبيه.. بعد بكرة يشككِك في نفسك لأنك بتظلميه.. وكأنك حُبيبات هشَّة من الذُّرة، عمّالة تتقلب وتتشوي على نار هادية كل يوم بلا هوادة..
• مُندفع جدًّا في بعض الأحيان.. ما تعرفش تتوقع خطوته الجاية إيه.. الحاجة اللي تطق في دماغه ممكن يعملها.. حتى لو كانت غلط.. حتى لو كانت خطر.. حتى لو كانت أذى أو ضرر لحد أو لنفسه شخصيًّا.. وده لا ينفي إنه أحيانًا- زي ما قولت سابقًا- بيخطط بمنتهى الذكاء.
• كدااااااب.. بيكدب بشكل مُتكرر وغريب ومُذهل.. لازم يطوّع الحقيقة لصالحه.. يمزج الحق بالباطل.. يدخّل الوهم في الواقع.. ويعمل كده بمنتهى البساطة.. من غير ما يبان عليه أي علامة.. هو أساسًا عنده مشكلة في ربط أي كلمة بأي شعور.. علشان كده مش بيبان عليه الكدب.
• عنيف.. خاصة وقت ما يصيبه الإحباط (مش الاكتئاب - هو لا يكتئب).. غضبه شديد وقاسي ومؤذي.. من أول العنف اللفظي.. لغاية العنف الجسدي والجنسي.. خناقات وضرب وتعوير ومشاكل ودم وأذى نفسي وجسدي قد لا يمكن توقعه.
أخطر حاجة بقى في تركيبة الشخص السيكوباثي هو ما يُسمى بالـ«Stranger Selfobject».. يعني موجود جوّه تكوينه النفسي، جزء منه، غريب عليه.. الجزء ده أصله صورة أبوه أو أمه النفسية داخله.. والمرتبطة بالقسوة أو الإهمال أو سوء المعاملة اللي تعرض ليها على إيديهم.. علشان كده بيكره هذا الجزء جدًّا..
الشخص السيكوباثي- حرفيًّا- بيكره حتة منه.. جزء من تكوينه.. بيكره ما يفترض إنه يكون أغلى حاجة عنده..
علشان كده.. الشخص ده قصة حياته عبارة عن تدمير كل مَن يفترض إنه يكون «أغلى حاجة عنده».. أو أقرب حد منه.. أو أنفع حد ليه..
بُص تاني بقى في الأمثلة السابقة..

في المثال الأول «منال»، هتلاقي واحد عاوز يسرق تعب ومجهود وفلوس «أخته- شقيقته»، ولما رفضت.. مد إيده عليها.. ضربها وأهانها وأذاها.. وهرب واختفى من الشرطة لما بلّغت عنه.. وعمل ده بمساعدة قرايبه، وأخوه، وأمه.. واخد بالك؟ أمه..
وفي المثال التاني «التورتة»- وده توصيف لتصرف وليس تشخيصًا لإنسان أنا ماأعرفوش وماقابلتهوش ولا شوفته أو سمعت نسخته من الحكاية- هتلاقي نفسك قُدام حد خطط بـ«سيكوباتية واضحة- Psychopathic Planning» إنه يؤذي بدم بارد تمامًا، حد تاني المفترض إنه بيحبه.. حد سمع منه كلمة «بحبك» عشرات المرات.. حلموا مع بعض ببيت وأسرة وحياة كل يوم.. بصّوا في عيون بعض مئات المرات وصدقوها.. وهذا التخطيط وذلك الأذى حصل في أي يوم؟ في يوم من أهم وأجمل أيام العمر.. وفي لحظة المفروض إنها تكون الأروع على الإطلاق.. وفي انتظار فرحة وبهجة ووَنَس وورود ومشاعر وهووووب.. تتقلب الترابيزة.. وكرسي في الكلوب.. وتنطفئ جميع الأنوار..
وفي المثال الثالث «السالمونيلا».. عندك واحد بيهدد واحدة مُعجب بيها، إنه يفضحها، ويشهّر بيها، ويهينها ويشتمها ويدّعي عليها، لو ماادتهوش رقم تليفونها.. وبيغني ده ويرقص على أنغامه!
إذا ما كانتش دي هي السلوكيات السيكوباتية في أبشع صورها، تبقى إيه؟
مش بس كده.. ده أنت عندك في حالة «منال» وفي موقف «التورتة»، الأهل اشتركوا في التخطيط والتنفيذ السيكوباتي.. ماحدش منهم قال «لأ ما يصحش».. ماحدش قال «عيب».. ماحدش قال «حرام نعمل كده في الناس».. شيء عجيب فعلًا. (واللهُ أعلم بحقيقته)..
المشكلة إن الأبحاث بتقول فعلًا إن معظم السيكوباثيين و«النرجسيين» بيكون فيه جانب في تربيتهم بيشجّعهم على كده (من الأب أو الأم أو الاثنين)..
أستغفر الله العظيم..
طب وبعدين؟
لأ.. هو ما فيش بعدين؟ هو فيه قبلين..
بمعنى إيه؟
ما تبص كده في العشر صفات اللي فوق، وتشوف قد إيه إنت قابلت منهم في حياتك.. هو الفهلوة والنصب والتلاعب بعقول الغير مش «سيكوباتي - Psychopathy»؟ هو الكدب والخداع في البيع والشراء والحب والخطوبة والجواز والطلاق مش سيكوباتي؟ هو السخرية اللاذعة إلى حد إيذاء نفوس الناس وأرواحهم مش سيكوباتي؟ هو التنمر والتحرش والتريقة عمّال على بطّال على خلق الله مش سيكوباتي؟ هو العنف اللفظي والجسدي اللي في البيوت والشوارع مش سيكوباتي؟ هو العنجهية والغرور والنفخة الكدابة و«أنت ما تعرفش أنا مين» مش سيكوباتي؟ هو التنصل من أي مسئولية وإنكارها ولوم الغير وتشكيكه في نفسه مش سيكوباتي؟
الحكاية مش حكاية فلوس.. أو تورتة.. أو خطوبة.. أو قِلة رجولة وزيادة ذكورة.. الحكاية إننا بنتنفس سيكوباتي.. غرقانين في سيكوباتي.. عايشين نايمين صاحيين واكلين شاربين سيكوباتي..
تاني.. إحنا مش بس أمام ذَكَر شرقي مُنقرض.. إحنا أمام مجتمع ذكوري شرقي مُنقرض.. فطبيعي إنه ينتج ذكور شرقيين مُنقرضين..

مجتمع يتلاعب بمشاعرك.. لدرجة إنك ما تعرفش هو بيحبك ولّا بيكرهك.. طبيعى إنه ينتج ذَكَر يتلاعب بمشاعرك.. لدرجة إنك ما تعرفيش هو بيحبك ولَّا بيكرهك..

مجتمع يلوم الضحية.. ويذبحها.. ثم يسلخها سلخًا.. طبيعي إنه ينتج ذَكَر يلوم ضحية التحرش والمعاكسة والاغتصاب.. ويذبحها.. ثم يسلخها سلخًا..

مجتمع يكره نفسه.. ويقسو على أغلى ما فيه.. طبيعي إنه ينتج قلوب متحجرة.. وعقول جامدة.. تقسو على أغلى ما لديها..

لغاية وقت قريب، كنت باشوف سِمات شخصية مجتمعنا أقرب لسمات «الشخصية الحدية - Borderline Personality»: تطرُّف ومُبالغة في المشاعر.. تأرجح بين التقديس و«نزع القيمة - Idealization-Devaluation». اضطراب شديد في الشعور بالهوية.. تفكير بطريقة «الأبيض والأسود» فقط.. اندفاعية شديدة، وصورة مهزوزة عن الذات.

بس اللي أنا شايفه دلوقت إننا بنقرب من السلوكيات السيكوباثية، وبنتحول إليها بدرجة مزعجة ومخيفة فعلًا..

درجة تخلّيه يعاقب أي حد يقول له «لأ» عقاب مُؤلم وقاسي..

حتى لو كانت فتاة شابة يوم عُرسها..

حتى لو كانت امرأة ترفض التحرش بها..

حتى لو كان طفل صغير ما زال يختبر طفولته..

زي ما هنشوف بعد شوية..

ده مش تعميم..

ولا لوم للناس..

ولا اتهام للمجتمع..

ولا أي إسقاط سياسي..

ولا حتى نتائج بحث علمي استقصائي..

دي فقط ملاحظات شخصية، تحتمل الخطأ والصواب..

لكنها تحتاج بحث وتحليل.. تحتاج جهد وتوعية..

تحتاج تدخُّل جراحي مُحترف..

تحتاج إننا نشوف من أول وجديد.. بدل ما نستسهل ونغمض عينينا..

تحتاج إننا نندهش من أحوالنا الغريبة.. ونتألم منها.. ويمكن نندم عليها..

وتحتاج إننا نقرر نعمل تغيير حقيقي وأصيل وعميق.. ومن الجذور..

قبل ما نوصل للنقطة..

اللي مافيش بعدها رجوع..

(8) موقع اليوم السابع ٢ أكتوبر ٢٠١٩.

الفصل الخامس :
مدفع الأطفال.. اضرب

ما تتخضّش من اللي جاي..
ولّا أقول لك..
اتخض..
واتخض جدًّا كمان..

كتبت بوست على صفحتي يوم الثلاثاء ٢٨ إبريل ٢٠٢٠، بوست بأرفض فيه- كطبيب نفسي - ضرب الأطفال مهما كان نوعه أو صفته أو درجته.. وبأقول - بقدر فهمي واجتهادي- إن ضرب الأطفال مش موجود في الإسلام أو في غير الإسلام.

لقيت- بكل أسف- كتير جدًّا من التعليقات، بتدافع عن ضرب الأطفال.. آه إنت قريت صح.. ناس بتدافع عن ضرب الأطفال.. وبيقولوا إن ضرب الأطفال من الدين.. وإني جاهل.. وبعيد عن ديني/ مُلحد.. وإني بأفتي بغير علم.. وبيستشهدوا بالحديث النبوي الشريف: «مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سَبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عَشر».. مع نصائح إني ماأتكلمش غير في تخصصي.. رغم إن ده هو عُمق تخصصي.. وإني ما أقرَّبش من الكلام في الدين.. رغم إن الدين نفسه بيدي الحق في التفكر والتدبر وإحكام العقل لكل الناس.. كل البشر..

بعض المتابعين بعتوا لي- بعد هذا الكم من الهجوم- فيديو للشيخ علي جُمعة (مُفتي مصر السابق) بيقول فيه إن هذا الحديث فيه إشكال وفيه ضعف في رواياته.. وإنه يتنافى مع المنطق.. إزاي نضرب طفل على الصلاة وهو أصلا مش مكُلف بيها؟ ده رابط الفيديو:

https://www.youtube.com/watch?v=pY9oLqMkJU4

وفيديو آخر للشيخ أسامة الأزهري بيقول إنه حتى لو كان هذا الحديث صحيحًا، فتفسيره وتطبيقه غير الشائع تمامًا، وغير مقصود أو مسموح بالضرب أصلًا.. ده رابط الفيديو:

https://www.youtube.com/watch?v=GLWOhi1vRWU&t=397s

خد عندك بقى أمثلة لبعض هذه التعليقات:

- **لأ طبعًا.. الضرب مهم كعقوبة، والطفل كده هيفهم إن هو غلط ويستحق العقاب.**
- **إيه الهري اللي أنت بتقوله ده.. دخلت طب إزاي؟**
- **أنا مش فاهم ليه الدكاترة بتحشر نفسها في الفتاوى والدين؟ ما تحترم التخصص يا دكتور.. مش معنى إنك دكتور يبقى ليك الأحقية تتكلم في كل حاجة.**
- **والله أنت راجل هجّاص.**
- **ما كلّفتش نفسك وروحت تقرا عن كيفية الضرب في الإسلام لطفل؟ اللي زيك مريض مفروض يتعالج.**
- **حضرتك بتقول لا ضرب ولا كلام مُوجِع.. طيب تقدر تقول لي هنعلّم ولادنا الحدود إزاي؟**
- **أمر الرسول بضرب الأولاد بعد النصح والتعليم.**
- **معلهش أصل عِلم حضرتك هيفوق علم اللي خلقك وخلقنا.. معلهش حضرتك أرحم وأعلم؟؟ أعوذ بالله.**
- **ادعوا للدكتور بالهداية.**
- **والله أنا دارسة تربية وباقول لحضرتك إنه بناء على تجربة في لندن بعد ما منعوا الضرب في المدارس، رجّعوه تاني بس بشكل مُقنن.**

• دكتور أرجوك احترم التخصص.. لك تخصصك وللآخرين تخصصاتهم..
• يعني نسمع كلامك أنت، ولّا نسمع كلام النبي؟
• لستَ بأرحم ممن خلقهم.. فالضرب مشروع في ديننا، وإن لم تكن هناك دراسة تُثبت أهمية الضرب، فالعلم ما زال في بدايته يجهل أكثر مما يعرف.
• ما تخلّيك في الطب يا دكتور، وتبطل تهبد في الدين.
• كنت فاكراك مُثقف والله، طلعت فتّاي وهبّاد وسَطحي.. بتهري من غير تثبُّت ولا رجوع لكتب الفقه والحديث.
• مُروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر. مين قال إن الضرب مش في الإسلام ولا في غيره.
• أنت اللي ادّاك شهادة ظلمك والله.. أنت مريض نفسي ولازم تتعرض على لجنة طبية كاملة يكون القرار المُتخَذ في نهايتها هو سحب ترخيص مُزاولة المهنة منك.. كلامك هبد وسطحي وعبيط وما يطلعش من طفل.
• أولا أتحدّاك لو حضرتك لم تُضرب من والدك في صغرك.. ثانيًا مين قالك إن مافيش ضرب في الإسلام أو غيره؟ ثالثًا أين أنت من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «واضربوهم عليها وهم أبناء عشر». رابعًا كثير من أساتذة الطب النفسي قالوا عكس قولك هذا.
• ده تقويم.. لازم الطفل يكون متربي على العقاب عند الغلط، والمكافأة عند حُسن العمل.
• أنت تخطّيت الجهل بأميال.
• بس بكل بساطة الضرب أحيانًا يكون واجب.
• كده وسعت منك يا برنس.
• احترم تخصُّصك يا هبّاد.
• لما ابنك يزني يا دكتور، ابقى قول له معلهش ما تعملش كده تاني.
• طيب ما تخلّيك في شُغلك.
• الرسول يقول اضربوهم في سِن عشر سنوات للصلاة وأنت تقول لأ.. يبقى اعرض نفسك على طبيب نفسي.
• الضرب موجود في الدّين للطفل وللزوجة.
• مساء الإلحاد يا أبو عمو.
• حضرتك طبيب نفسي، يبقى تتكلم في مجال الطب النفسي، وتسيب موضوع الضرب لأهل العلم. الرسول صلى الله عليه وسلم قال في حديثه الشريف: «واضربوهم عليها لعشر».. الرسول خلّى الضرب مُقتصر على شيء خفيف زي الضرب بالسِّواك للأطفال والنساء.
• شباب إحنا عاملين حفلة على الضيق لعَبَدة البقر والماسون وصاحب المنشور مُشترك معانا.. اللي حابب ينضم يقول لي.
• الضرب أداة ضرورية للتقويم يا مستر.. وهي موجودة في ديننا إحنا كمسلمين.
• أنت بتخرَّف.
• لأ طبعًا الضرب مهم كعقوبة.
• الضرب موجود ومُقرّ به في كل الشرائع.. بطّل تطاوُل.
• لأ العيال تنضرب عادي.... أتحداك تقعد مع طفل وتقدر تمسك نفسك وما تضربهوش ولا مرة.
• يلّا هي جهنم هتلم من شوية يا ولاد الـ.....

الكلام ده فكّرك بحاجة؟
صح..
ده شبه الكلام اللي اتكتب في موضوع «ضرب الزوجة»، من بعض الذكور «وبعض الإناث»، وشبه التعليقات اللي ردّت على السيدة اللي بتسأل عن كيفية أخذ حقها، برضه من بعض الذكور وبعض الإناث..
الشبه ده بيقول إيه؟
بيقول إن ورا السلوك ده فيه عقلية واحدة.. وورا الردود دي هناك أسلوب تفكير مُتماثل.. وورا المفاهيم دي توجد نفس درجة الوعي (أقصد عدم الوعي)..
عقلية قاسية جائرة تعتمد العنف كأسلوب مُعاملة.. تفكير سادي سِيكوباثي يُبرر الإساءة والأذى بكل أريحية.. وعي هَش ضَحل خَرِب خراب قلوب أصحابه.. الذُّكور منهم، أو الإناث.. ما هو ضرب الأطفال- بسم الله ما شاء الله- بيحصل من الطرفين، وتبرير ضرب النساء برضه بيحصل من الطرفين.
عارف إيه أكتر حاجة توجع وسط كل الكلام ده؟
هي إنك تكتشف قد إيه إحنا بعدنا عن فِطرة ربنا السليمة القويمة، اللي من أبسط بديهياتها ومبادئها إن مافيش إنسان مسموح له بأي شكل من الأشكال إنه يؤذي إنسان تاني بأي شكل أو أي درجة من الإيذاء.. فما بالك بالضرب.. الضرب..
طيب إيه علاقة ضرب الأطفال (والنساء/ الزوجات/ الأخوات)بالذكورية الشرقية؟
هل هي معادلة قوى، فيها طرف أقوى (ذَكَر) وطرف أضعف (طفل- أنثى)؟
هل هي محاولة لإثبات الوجود وفرض السيطرة؟
ولّا تعويض عن إحساس داخلي عميق بالخوف والضعف والتهديد؟
في الحقيقة هي كل دول.. ومعاهم حاجات تانية..
هي طرف عنده عضلات قصاد طرف ماعندهوش..
طرف مهووس بالسيطرة والفرض والوصاية..
طرف بيحاول يتغلّب بـ«ذُكوريته الظاهرة» على هاجسه الخفي الدفين، اللي مليان خوف وضعف وتهديد..
الذكورية (وليس الرجولة) الشرقية غاشمة.. لا تنهض لنصرة الضعيف.. بل تنقض عليه أحيانًا..
الذكورية (وليس الرجولة) الشرقية جبانة.. لا تهب لمساعدة المظلوم والمحتاج.. بل تُهمله وتغض الطرف عنه..
الذكورية (وليس الرجولة) الشرقية ندلة.. لا تتحرك لمواجهة التحرش والإساءة والأذى النفسي والبدني والجنسي.. بل تتواطأ معها وتُبررها وتلوم ضحيتها..
لسه محتاج توضيح؟
محتاج تفسير؟
ماشي..
كمِّل..

****

اتكلمنا من شوية عن نوعية وجود اسمها استجابة الهجوم أو الانسحاب (Fight Flight Response أو الكَرّ والفر)، وقُلنا إن الذَّكَر الشرقي بيلجأ ليها بسبب إحساس داخلي دائم بالتوتر والخوف والتهديد (هنتكلم عن أسبابه وتفاصيله بعد شوية)..
تحت هذا الخوف والتوتر والضغط النفسي الشديد، وتحت ضغط مجتمعي آخر عمّال يقول لكل طفل/ ولد/ رجل: «اجمد أمّال»، «خليك راجل»، «انشف»، «اخشن»، «ما تبقاش طري»، وقبلهم طريقة تربية بيشوف فيها العنف والقسوة عيَانًا بيانًا كل يوم، سواء بيُمارس عليه، أو على والدته وإخواته، بيقوم الذَّكَر الشرقي بعمل اختزال آخَر لمفهوم «الرجولة»، في صورة «العنف» هذه المرة.. عنف بدني (القوة.. العضلات...)، أو عنف لفظي (كلام جارح.. إهانات...)، وتكون دي طريقة سهلة وسريعة في التعامل مع أي موقف ما يعرفش يتحكّم فيه في مشاعره (غضب، ضعف، احتياج)، أو أي حوار يحس فيه إنه مهزوم، أو أي حاجة تسبب له «وجع دماغ»..
ضربة هنا.. لَكْمَة هناك.. كلمة هنا.. شتيمة هناك.. زَقّة هنا.. سُخرية هناك..
وتِكمل الحكاية بعملية قص ولزق مُحكمة لنصوص دينية يتم إخراجها من سِياقها، ويُبتعد بها عن أسباب وظروف نزولها الزمانية والمكانية، ويُساء تفسيرها والعمل بها.. لينتهي الأمر إلى مآسٍ يومية مُوجّهة ممن يمتلك العضلات إلى مَن لا يمتلكها.. وممن يُجيد صفاقة اللسان إلى مَن لا يُجيدها.. وافتح السوشيال ميديا وشوف كل ما لذّ وطاب من نماذج العنف اللفظي، وأخبار العنف البدني..
مش بنقول إنه مافيش عنف من الإناث على الرجال أحيانًا.. بس كُلنا عارفين فرق النسبة، واستحالة المُقارنة..
في إحصائية الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء عام ٢٠١٨، ثبت إن ٦٤٪ من السيدات بيتعرضن للعنف من الزوج الحالي، عارف ٦٤٪ يعني كام مليون؟
وفي دراسة المجلس القومي للمرأة عام ٢٠١٨ أيضًا، وُجد أن حوالي واحد ونصف مليون امرأة مصرية يتعرضن للعنف الأُسري سنويًّا، وأن حوالي ٧٠ ٪ من حالات الاعتداء على الزوجات سببها أزواجهن، و٢٠ ٪ من الآباء تجاه بناتهم، و١٠٪ من الإخوة(9).. دول بس اللي بيبلّغوا ويعملوا مَحاضر..
خد عندك شوية أمثلة من بعض الرسايل المُرسلة لصفحة الاستشارات على موقعي الشخصي:
• «مساء الخير يا دكتور.. أرجو من حضرتك سعة الصدر في استقبال مُشكلتي وآسفة إني هاطوّل بس غصب عني، أنا متجوزة من سبع سنين، جوزي من الشخصيات اللي عرفت تمثّل عليًّا إنه ملاك نازل من السما، لحد ما اتجوزنا وظهرت الشخصية التانية. طول الوقت قَمْص، بمُعدل يوم ويوم لأ، يتقمص ويروح ينام في أوضه تانية، أو يسيبني ويمشي في الشارع، وأنا ما ببقاش عارفة إيه اللي حصل. أنا عايشة في النكد ده يوميًّا. مش بس كده، ظهرت عُقَده اللي وارثها من أهله، ابتدى يضربني ويطردني من البيت، وأسلوبه معايا زي الزفت لما يتعصب «اتخمدي إن شاالله عنك ما طفحتي»، أنا كنت مخبية عن أهلي لحد ما طلقني مرتين في وقت عصبية، وتاني مرة كنا مفكّرينها الأخيرة، لأنها كانت بالتلاتة. أهلي خدوني عندهم شهر لأن حصلت قلة أدب من أهله، وباباه طردنا من الشقة وحاجات كتير. همَّا ناس مش شبهنا، تربيتهم وأسلوبهم صعب وباباه على طول بيضرب مامته ويطردها، وأخته كذلك مع جوزها، وهو تقريبا متأثر بكل ده، لحد ما بابا طلب يقعد مع أعمامه، وحكينا لهم على كل حاجة، واتصدموا فيه جدًّا

واعتذروا لنا، ورجعت. بس للأسف مافيش فايدة، وقت ما يفقد أعصابه بيتطاول عليَّا لفظًا وفعلًا، مش ضرب زي زمان، لكن مرة فَرَم لي رِجلي لحد ما ازرقّت، ده غير إن أسلوب القمص اللي كل يوم والتاني زي ما هو، ويروح ينام في أوضة تانية من غير ما يواجه أو يقول السبب. للأسف أنا بحبه ومستصعبة جدًّا موضوع الطلاق. أنا باحسّه مش طبيعي، عنده مشاكل نفسية وواجهته بحاجات كتير بينكر، ويرفض فكرة إن ممكن يكون عنده مشكلة. إيه الحل؟ أنا تعبت، وباخد كل حاجة على أعصابي، طول الوقت مقهورة وباعيّط، هو ليه حل ممكن أتعايش معاه بيه؟ ولا حلّي إني أتطلق؟ ولَّا إنه يتعالج ولا إيه؟».

• «حصل خلاف بينى وبين زوجي، وحاليًّا مُنفصلين بسبب إنه ضربني، ولما اشتكيت لأهلي بيغلّطني أنا، ومؤخرًا باعت لي إنه شاف حلم سيئ للغاية تفسيره إني كذابة وباعمل فضايح. أصدق نفسي وأصدق إحساسي بالألم ساعة ما ضربني وإحساسي بقلّة الحيلة؟ أصدق الكدمات اللي ظهرت مكان الضرب؟ ولَّا أصدق كلامه إنه كان بيهزر وإني مزوّدة الموضوع؟ أصدق كلامه إنه حنين بس أنا اللي جسمي ضعيف والناس بتستحمل أكتر من كده؟ ولَّا يكون هو بيتلاعب بيَّا والحلم الوحش ده تحديث من نفسه لأنه مش بيحبني فشايفني في صورة وحشة؟ ما بقيتش فاهمة حاجة ولا عارفة أصدق إيه ولَّا ما أصدقش إيه».

• «أنا عندي ٢٩ سنة، متزوجة ومعايا ٣ أطفال.. زواج صالونات، لكن حبّينا بعض جدًّا، اتجوزنا في ٦ شهور. فيه فرق في المستوى الاجتماعي مش كتير بس موجود. أنا باشتغل ومُرتبي كبير، وباساعد زوجي في مصاريف البيت. البيت ما ينفعش يمشي من غيرنا إحنا الاتنين. مش هاحكي تفاصيل عن شخصيات أهل زوجي، بس همَّا بيتدخلوا في كل كبيرة وصغيرة، لازم كل حاجة تتعمل زي ما همَّا شايفين، هم الوحيدين اللي بيفهموا في الذوق، همَّا الوحيدين اللي بيعرفوا ينضّفوا، همَّا الوحيدين اللي أكلهم حلو، وهكذا... زوجي بيمد إيده عليَّا، وبيضربني ضرب مبرح، بيعجِنّي بمعنى الكلمة، وده غالبًا بيبقى بسبب خناقة ما بينا، وإني بأرد عليه، عُمره ما اعتذر، بالعكس دايمًا بيوصّل لي إن اللي عمله بيبقى رد فعل على استفزازي ليه. أهله عُمرهم ما حد فيهم غلّطه ولا قال له إنت بتعمل إيه. دايمًا بيوصّلوا لي إن اللي عمله رد فعل. يضربني ويشتمني قُدام أهله وقدام أولادي. حاليًّا وبعد خناقة طويلة عريضة هو سايب البيت وقاعد عند أهله، وأنا صمّمت على الطلاق علشان مش عايزة أولادي يعيشوا في الجو ده، لأن ببساطة اللي ربّى خير من اللي اشترى، ومن الآخر هوّ مش هيبطّل لأنه مش شايف إنه غلطان، زائد إنه بيعاملني معاملة قذرة، زائد إن أهله همَّا كمان غلطوا فيَّا. أنا مش قادرة أسامحه ولا أسامح أهله، وهو مش عايز يطلقني، وأنا عايزة أربي ولادي في هدوء وبعيد عن جو المُشاحنات، لأني مش هينفع أتنازل عن كرامتي أكتر من كده. أنا مش عارفة هل قرار الطلاق صح ولَّا غلط، وخايفة جدًّا».

• «بابعت لحضرتك وأنا حقيقي مش عارفة أعمل إيه.. أخويا الصغير ١٧ سنة جاب عصاية وضربني بيها على بطني ورجلي.. رجلي ورّمت.. وكنت مستنية حد منهم يتكلم يقول له عيب.. لأ أبدًا مافيش.. قالوا لي انتي غلطانة.. هو ربنا أكيد ما خلقنيش كبنت علشان أتهان بالشكل ده.. أنا حتى بادَاري دُموعي دلوقت علشان لو شافوها هيعايروني.. آسفة.. كلامي ملخبط بس من قهرتي والله».

• «دكتور أنا باكره بابا ومش عارفة أحبّه، متهيأ لي مش هازعل عليه خالص لو مات.. عُمره ما سِمعنا وعُمري ما حسّيت بحُضنه، عمري ما حسّيت إنه فارق معايا ولا إن حضنه أمان.

باكره أحضنه، ومش باتكلم معاه لأنه عمره ما سمعني. طول حياته مش بيسمع إلا صوته هو وبس، وطول عمره بيكدب علينا، ومش واثق في أي حد فينا. عمره ما وحشني، وبيضربنا من غير أسباب وبيتلذذ بالنكد علينا. لما بيحط المفتاح في الباب باحس إن نَفَسي بيروح، ولما باكلمه أو يكلمني باصدّع، وفضلت فترة ودني توجعني. وبعد لف على دكاترة طلع ضغط نفسي. أنا مش عارفة أحبه، خايفة ربنا يحاسبني، وجيبت ورقة وقلم أكتب مميزاته وعيوبه، ما عرفتش أكتب ولا ميزة واحدة. مش عارفة أسامحه، وخايفة ربنا يعاقبني. أنا عمري ما دعيت له، كنت بادعي بس ربنا يسامحني على اللي في قلبي من ناحيته».
إيه رأيك؟ حاسس بإيه؟
خُد نفَسَك.. وريّح شوية..

***

طبعًا فيما يخص مفاهيم النشوز، أو العار، أو الشك في السلوك، بيتحالف اختزال الرجولة في «الجنس»، مع اختزال الرجولة في «العنف»، علشان يطلع كوكتيل جبّار وبشع ومُدمّر من الجرائم اللي أقل توصيف ليها إنها ضد أي إنسانية، أو عُرف، أو دين.. زي الأمثلة التالية:

- جريدة النهار (١٤ أغسطس ٢٠١٩): «غَسَلنا العار»... كان مُلخص اعترافات أب مصري ونَجله، بارتكاب جريمة قتل مُروّعة، لابنته (١٦ عامًا) وعشيقها الذي يعمل سائق «توك توك»، بعد رؤيتهما يُمارسان الجنس، ليذبحهما ويُلقي بجُثتيهما في الشارع. الأب الذي يعمل موظفًا بإحدى الشركات بمحافظة البحيرة، كان عائدًا إلى منزله بصُحبة نجله المراهق في ساعة متأخرة بعد قضاء وقت في أحد المقاهي.

يعني الأب وابنه كانوا راجعين من القهوة (نص الليل)، لقيوا البنت اللي عندها ١٦ سنة في أحضان عشيقها، فدبحوها.. رغم إن الدين فيه حاجة اسمها التوبة، ورغم إن العُرف فيه حاجة اسمها الستر، ورغم إن السلوك الإنساني فيه حاجة اسمها البحث عن الأسباب والسعي للعلاج والتقويم. والمفاجأة- كالعادة- إن أغلب تعليقات الناس على السوشيال ميديا على الخبر ده كانت من عينة «راجل».. «هي دي الرجولة».. «جدع»..

- الوطن (١٤ أغسطس ٢٠١٧): تخلَّص أب من ابنته في البحيرة، حيث خنقها حتى فارقت الحياة، مُرجعًا السبب إلى سوء سلوكها وسُمعتها، وادّعى أن وفاتها طبيعية، لكن رجال المباحث كشفوا حيلته.

ده قتل بنته علشان سلوكها.. اللي هو شريك في صُنعه من خلال تربيته لها، واللي هو كان يقدر يساعدها تغيره لو كان قريب منها، وبيسمعها، وبيحاول معاها.

- الوطن (١٥ إبريل ٢٠١٧): تخلص عامل بقرية تابعة لمركز الخانكة من ابنته، البالغة ١٨ عامًا، بوضع مُبيد حشري لها في الطعام ولقيت مصرعها، لشكّه في سلوكها.

وده برضه قتل بنته اللي عندها ١٨ سنة علشان «شك» في سلوكها.. شك.. مجرد شك..
بالمناسبة.. إحنا مش بنبرّر الغلط.. ومش بندعو للفساد والفسق والفجور.. إطلاقًا.. إحنا بنحلل ظواهر واضحة وضوح الشمس، وبنسعى لإيجاد حلول علمية حقيقية، تبدأ من البيت والتربية وحُسن الفهم والمعاملة..

- موقع قناة العربية (٢٠ يوليو ٢٠٢٠): استفاق الأردنيون، صباح السبت الماضي، على جريمة قتل مروعة، إذ هشّم أب- بدعوى الشرف- رأس ابنته بحجر إلى أن فارقت الحياة أمام السكان بمنطقة صافوط بمحافظة البلقاء غرب العاصمة عمان. فيما أفاد شهود عيان حضروا

الواقعة «أن الفتاة راحت تركض في الشارع والدماء تسيل من رقبتها، بينما يُلاحقها والدها بحجر حطم به رأسها إلى أن سقطت أرضًا جثة هامدة فجلس بجوارها لاحقًا يشرب الشاي». إلى ذلك، طالب المُغردون والناشطون على مواقع التواصل بإنزال أقسى العقوبات بحق الوالد، وتطبيق المادة ٩٨ من قانون العقوبات الأردني الذي طرأ عليها تعديل عام ٢٠١٧ «يستثني قاتل أي أنثى من عائلته بدعوى «الشرف» من قائمة المستفيدين من تخفيف العقوبة».
صعب؟ أنا عارف.. معلهش..

***

الرسايل والأخبار اللي فاتت بتلخص ببلاغة شديدة معنى اختزال الرجولة في «العنف»، واختزال الرجولة في «الجنس»، والتعامل بسادية وسيكوباثية متناهية في علاقات من المفترض أن تكون كلها مودة ورحمة وعطف واحترام، والتلاعب بمشاعر الطرف الآخر لغاية ما يشك في نفسه.
ولعلك لاحظت نفس اللي أنا لاحظته، واستغربته في بعض الرسايل: «بيضربني وبحبه».. «أصدّق كدماتي ولّا لأ؟».. «خايفة ربنا يعاقبني».. وده يفكرك بإيه؟
برافو عليك.. شاطر.. الصورة بتكمل أهي..
مُتلازمة ستوكهولم..
حيث تتماهى الضحية مع الجاني، وتختلط عليها الحقائق، ولا تستطيع الفصل بين الواقع الداخلي والواقع الخارجي.. لغاية ما تفقد نفسها، وتتوه بوصلتها، وتغرق في بحر الأذى.. ودي أسوأ حاجة ممكن يعملها أي جاني في أي ضحية.. إنه يخليها تتغرّب عن نفسها.. وتنشق عنها.. وتشك فيها.. وللأسف، فيه ناس مُحترفين في ده.
أُحذِّر تاني وتالت من التعميم.. مش كل الرجالة كده.. دي نماذج مريضة وغير سويّة.. ولا يمكن تعميمها على الإطلاق.. وزي ما هي موجودة في بعض الذكور، موجودة كمان في بعض الستات والزوجات والأمهات.. زي المثال ده:
«السلام عليكم يا دكتور محمد! والله بجد نفسي تشوف رسايلي لأني محتاجة حضرتك تقول لي أعمل إيه. أنا عمري ٣٥ سنة وآنسة. بالنسبالي البيت جحيم ما بين أم مُتسلطة عاشت طول حياتها تقلّل مني وتضربني ضرب مبرح من وأنا ٦ سنين بأي حاجة قدامها وفي إيدها، وتطلّع قوتها عليًّا عشان مسألة طرح وجمع أو غلطة في تصرف، وتدخُّلاتها المستمرة في حياتنا، لحد أما مابقاش ليًّا أصحاب، لأنها عاوزاني أشوف كل حاجة من منظورها وأسلوبها المُتعنت في فرض أي حاجة، بحجة إننا هنا في بيتها وبتصرف علينا هي وبابا، واللي ماشوفناش منها غير سياسة الحديد والنار في كل حاجة، حتى لو كوباية اتكسرت بالغلط بيبقى يوم أسود نهايته كدمات ودموع، وصراخنا من الألم اللي كانت بتكتمه بإيدها فممكن نتخنق من الكتمة ونفسنا يتقطع ونخبط راسنا في الحيط لو غلطنا في إجابة أو تصرف حياتي، ودموعنا اللي كان مقابلها ضرب أكتر. الجواز اللي كان آخر اهتماماتي بقى أولها عشان أخرج، وللأسف حتى لو جاني اللي على هواها وأنا رافضاه باعيش أيام سودا لحد ما ربنا يكرمني والموضوع يتفشكل من عند الله.. أعمل إيه؟ أنا محتاجة المساعدة.. أرجوك ساعدني وقول لي أنا أعمل إيه تفاديًا للذنوب على الأقل. علمًا إني نصحت أمي تزور طبيب نفسي ونصحها طبيب آخر بالعلاج، لكن هي شايفة نفسها مافيش أبدع من كده وكله مُذنب وهي خليفة الله في الأرض».
لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

***

علشان كل ده.. وغيره وغيره..
إحنا محتاجين نعمل إعادة ضبط لعقليتنا المجتمعية والثقافية إلى فطرتها الحقيقية غير المُشوّهة..
محتاجين فرمتة أمخاخ أجيال كاملة ورّثت وتورّث عُقد وكلاكيع نفسية من أبشع ما يكون..
محتاجين توعية نفسية تصل لكل بيت.. ولكل حجرة داخل كل بيت..
محتاجين تأهيل نفسي قبل الخطوبة وقبل الزواج وبعد الزواج وقبل الإنجاب وبعد الإنجاب وأثناء التربية.. ولّا أقول لك.. إحنا محتاجين برنامج تأهيل نفسي يستمر مدى الحياة لمدة ثلاثة أجيال قادمة على الأقل..
محتاجين جراحات نفسية عاجلة في المدارس والجوامع والكنائس والنوادي وحتى على الكافيهات والقهاوي..
ومحتاجين طبعًا تطبيق حاسم لكل قانون وكل مادة في قانون يحمي حقوق الطفل والمرأة والأسرة.. وأكيد الرجل (الحقيقي) طبعًا..
والمهم في كل ده.. إننا محتاجينه فورًا وحتمًا وبسرعة..
لأن السرطان مراحل.. ولو وصل لمرحلة متقدمة.. مش هيكون فيه علاج.. ولا حتى أمل في علاج..
والقيح شديد..
ولو ما حدّش فتح الجرح ونضفه..
هيكبر أكتر.. ويتلوث أكتر.. ويوجع أكتر..
وماحدش وقتها..
هيقدر يعمل أي حاجة..
أي حاجة.

(9) جريدة الدستور، ٢٨ يوليو ٢٠١٨.

الفصل السادس :
انتي طالق

- غالية: صباح الخير.
- عبد الله: صباح الخير... غالية.. أنا مش قادر.. انتي طالق!!
- غالية (بوجه مذهول): هو أنت قولت إيه؟ هو أنت قولت لي انتي طالق؟ قولت إيه؟ عبد الله رُد عليًا (مُمسكة يده).. رد...
- عبد الله: غالية.. اسمعيني كويس..
- غالية: أسمع إيه؟
- عبد الله: أنا ما نمتش من إمبارح لحد دلوقتي.. فضلت سهران طول الليل.. بافكّر في حياتنا مع بعض.. ولما فكّرت.. اكتشفت إن انتي كل كلمة قولتيها إمبارح كانت صح.. أنا فعلًا أهملتك انتي و«تيا»، ومأأقدرش أنكر إنك كنتي بتحاولي تقربي لي.. وبذلتي مجهود علشان ترضيني.. لكن.. المشكلة فيَّا أنا..
- غالية: مُشكلة إيه؟ مشكلة إيه يا عبد الله اتكلم.. أنا مش فاهمة حاجة.. أنت بتقول إيه؟ أنت بتقول إيه يا عبدالله؟
- عبد الله: غالية.. أنا مش مرتاح.. مش مرتاح.. مش لاقي نفسي.. لا أنا عارف أنبسط.. ولا عارف أبسطك معايا..
- غالية: طيب أنا قصّرت معاك في إيه عشان ما تبقاش مبسوط؟ وإيه ناقصك عشان أنا مش باسطاك أو أنت مش باسطني؟
- عبد الله: غالية.. أنا عِشت طول عمري رافض فكرة الجواز.. عمري ما تخيلت في يوم من الأيام إني ممكن أبقى زوج.. أنا لما اتجوزتك، اتجوزتك عشان حبيتك.. بس كان غلط إن أنا أمشي في موضوع الجواز ده، وأنا عارف إني مش الراجل اللي ممكن يقوم بالدور ده..
- غالية: هو الموضوع سهل أوي كده؟ طب اتخانق معايا شوية.. قول لي إن أنت بتحب واحدة تانية طيب.. طب شُك فيَّا إن أنا سِت مش كويسة.. علشان أي حد يسألني يقول لي انتوا اتطلقتوا ليه من الناس، أعرف أرد..
- عبد الله: أنا آسف.. أنا عارف إني قاسي عليكي في كلامي.. وعارف إن أنا حطيتك في وضع صعب.. لكن كمان.. أنا مأأقدرش أنكر إن أنا بافكر في موضوع الطلاق ده، من أول سنة جواز.. وأنا حاولت إني أكون زوج.. حاولت.. ما عرفتش.. غالية.. أنا راجل لما أحب أعمل الحاجة، أحب أعملها صح.. ولو ماعرفتش أعملها صح، وعلى أحسن وضع، بابقى كارهها.. مش عاوزها.. غالية.. أنا وصلت لمرحلة إني مابقتش عايز أرجع البيت.. بقيت عايز أخش أنام في سريري لوحدي.. بقيت عاوز...
- غالية: كفاية.. كفاية يا عبد الله.. كفاية..

***

دي بقى النتيجة السادسة للذكورية الشرقية.. والوجه الآخر للعنف الذكوري، ما يُسمى بـ«العنف السلبي- Passive Aggression»، الانسحاب.. الانزواء.. الفرار..
الانسحاب بكل طُرقه وأشكاله.. يا إما يخلع قبل الجواز.. يا إما يسكت وينفرد بحاله كل شوية بعد الجواز، يا إما يفك ويهرب.. ويطلّق.. زي عبدالله..

ضربنا أمثلة عن نوعية الوجود المُنسحب للذَكَر الشرقي في بيته في الفصل الأول من هذا الباب، وهنتكلم دلوقت عن أعلى درجات هذا الانسحاب، وأصعب أشكاله: الانفصال/ الطلاق غير المفهوم..

بدون أي تعميم أيضًا.. عبد الله (في مسلسل ونحب تاني ليه- رمضان ٢٠٢٠)، هو نموذج لرجالة كتير.. الراجل (والمقصود الذَّكَر) اللي مش بتاع جواز.. بس بيتجوز.. بيتجوز علشان سِنه بتكبر.. بيتجوز علشان يُشبع غريزته.. بيتجوز علشان حَب واحدة.. بيتجوز علشان ضغوط أهله.. بيتجوز علشان يلاقي واحدة تخدمه.. أهو بييجي في وقت ما من حياته.. ويقرر يتجوز.. رغم إنه أصلًا مش عاوز يتجوز..

يعني الذَّكَر ده.. هيبقى متجوز.. ومش متجوز.. معاه قسيمة جواز.. وفي بيته واحدة سِت اسمها مراته.. بس هو نفسيًّا من جوّاه.. عايش.. ولسه عايز يعيش حياة العزوبية..

وبالمناسبة، فيه ذكور كتير (وإناث أيضًا)، بيكون جوّاهم قرار قديم جدًّا، واعي أو غير واعي، وغالبًا منذ طفولتهم، إنهم ما يتجوزوش.. قرار داخلي عميق بعدم الزواج.. دول بيخافوا يدخلوا أي علاقة، ولو دخلوا علاقة بيخافوا إنها تكمل، ولو قربت تكمل يطلعوا يجروا، أو يطَفّشوا الطرف التاني، ولو اتجوّزوا فعلا، بيبقوا متجوزين ومش متجوزين، ولو فضلوا متجوزين شوية، يتفننوا في إفشال هذا الزواج، إما بالمشاكل المتكررة، وإما بالانسحاب البطيء.

الذَّكَر ده.. هيدلّع مراته كتير جدًّا في الأول.. هيبسطها ويهريها فُسح وخروجات وسفر.. ومع أول طفل.. ومع أول علامة لتغير شكل الصحوبية الزوجية اللي بينه وبين مراته إلى اتجاه الجواز الحقيقي.. ومع أول ملامح تحوّل البيت من شقة مفروشة إلى بيت زوجية.. هيبدأ يبعد (نفسيًّا).. هيتسحَّب شوية شوية بعيد.. هيتسلل للخارج من غير ما حد ياخد باله.. وفيه احتمال كبير إنه يبدأ يعمل علاقات تانية بره البيت.. علشان يستعيد أمجاد العزوبية واللامسئولية..هيغيب بالساعات وأحيانًا بالأيام.. وحتى في وجوده مش هيبقى حاضر.. هيبقى مخنوق.. وزهقان.. هيبقى صامت.. وفاصل.. كلامه هيقِل.. وعصبيته هتزيد.. هيقطع كل الخيوط اللي تربطه بالبيت ده، وبالعلاقة دي.. بس هيسيب خيط واحد بس ما يقطعهوش «خيط الشكل الاجتماعي».. علشان ما يهدمش البيت (اللي هو أصلًا مش موجود في وعيه)، وما يتقالش عليه إنه طلّق (رغم إنه نفسيًّا مطلّق من زمان)، وعلشان ما يتحرمش من رؤية ولاده واللعب معاهم (اللي همّا أصلًا مُفتقدينه في غيابه وفي حضوره)..

اللي عمله عبد الله، هو إنه- بس- قرر يقطع هذا الخيط الأخير.. علشان يكون واضح مع نفسه ومع زوجته.. لكن في الحقيقة.. اللي بيقطعوا كل الخيوط، ويسيبوا الخيط الأخير ده أكتر..

طيب ليه عبد الله وأمثاله مش عاوزين يتجوزوا؟ ليه أصلًا كتير من الذكور الشرقيين المُنقرضين مش عاوزين يتجوزوا؟ وبيأخروا الخطوة دي على قد ما يقدروا؟ وتحس إنهم لو اتجوزوا بيتجوزوا مُضطرين وبعد مقاومة وضغط؟

أقول لك.. وباختصار شديد..

لو فيه سبب واحد لهروب هؤلاء من الزواج.. ومحاولة تأخيره.. وعدم الإقدام عليه إلا بطلوع الروح.. فهذا السبب اسمه «الخوف».. برضه الخوف.. أيوه.. بس المرة دي اسمه «الخوف من المسئولية».. وده خوف مش سهل.. ومش قليل.. الخوف من المسئولية ده أحد المخاوف الوجودية الأربعة: (الخوف من الموت- الخوف من الوحدة- الخوف من عدم وجود معنى- الخوف من الحرية/الاختيار/القرار/المسئولية). بمعنى إن علشان حد يقرر بجدعنة وشجاعة

ونضج إنه يتحمل المسئولية.. فهو في نفس اللحظة، بيقرر إنه يغير نوعية وجوده.. يبقى واحد تاني.. يصعد درجة أعلى في سلم التطور والارتقاء النفسي.
عبد الله وأمثاله عايشين حياة طفولية رائعة.. ياكل ويشرب وقت ما يحب.. يتحرك ويروح وييجي براحته.. يقرب من دي، ويحب دي، ويسيب دي، بمنتهى البساطة.. شايف نفسه.. عاشق نفسه.. ومدلّع نفسه..
علشان عبد الله يتجوز.. هيكون محتاج إنه يودّع هذه العيشة.. ويتخلى عن هذا النمط من الحياة.. النمط اللي أنا باسمّيه طفولي.. مش شبابي.. ولا حر.. لأنه بيعبر عن حالة واضحة من النكوص النفسي.. والتراجع العقلي والروحي.. وبيني بينك.. أنا مش باحب أسميه «طفولي».. أنا أفضّل تسميته «مَعْيَلَة».. لأن فيه فرق كبير بين الطفولة والمَعْيلة..
تيجي انتي بقى بسلامتِك.. أو أبوه وأمه.. أو ضغوط مجتمعه.. تقولوا له فجأة كده وبدون مقدمات: يلّا يا حبيبي اكبَر.. اتحمل شوية مسئولية.. سِيبك من حياة الدعة والراحة.. إلى حياة الجهد والاجتهاد.. ليه إن شاء الله؟
انتم مش مُتخيلين جمال النكوص؟
مش مُتصورين روعة استلقاء طفل رضيع في براثن سريره الواسع وحده؟
ماعندكمش فكرة عن جَمال اللانهائية وما بعدها؟!!
***
يرتبط عبدالله.. وكل ما الموضوع يدخل في الجد.. يختلق المشاكل..
يقرا الفاتحة عبد الله.. وييجي يوم الشبكة.. يقفل تليفونه..
يخطب عبد الله.. وييجي قبل معاد الفرح بيومين.. يختفي..
طيب ولو ماسابهاش قبل يوم الفرح؟
ولو ما اختفاش؟
ولو كمّل؟
أقول لك..
يتجوز عبد الله.. ويتدلع ويتبسط في شهر العسل.. وبعد كام شهر.. يكتشف إنه اتجوز.. وإن الموضوع بجد.. وفيه حَمْل وخِلفة وأولاد.. فيطلّق عبد الله مراته «نفسيًّا» من غير ما هو نفسه ياخد باله.. ويبعد.. ويقاوم.. لغاية ما يبقى مش عايز يرجع بيته.. ومش عايز ينام في سريره.. فيقرر إن الطلاق النفسي.. يبقى طلاق حقيقي على أرض الواقع.. طيب والست اللي ضيّعت عُمرها معاك؟ أنا مش مرتاح.. والست اللي بتقول لك قصّرت في إيه؟ أنا مش مَبسوط.. والأولاد اللي جِبتهم لهذه الحياة الصعبة؟ أنا مش عارف..
ويرجع عبد الله طفل/عيّل صغير تاني.. مُتراجع نفسيًّا وروحيًّا عشرات السنين للخلف.. يبقى عايز الراحة الخادعة.. والسعادة اللحظية.. وليذهب إلى الجحيم مَن يذهب..
عارف السؤال اللي في بالك..
أنت إزاي يا دكتور بتقول إن الراجل مش عايز يشيل مسئولية بيته؟ أمال مين اللي بيشتغل ويتعب ويهلك نفسه كل يوم؟ مين اللي بيجيب الفلوس ويصرف على البيت والزوجة والأولاد؟ مين اللي بيشتغل شغلانة متعبة ومرهقة وأحيانًا شغلانتين علشان يشيل مسئولية البيت؟
في الحقيقة أنا موافق على كل ده.. بس مش هي دي المسئولية اللي أنا أقصدها.. دي اسمها واجب.. اسمها وظيفة حياتية.. أو دور اجتماعي.. اسمها بيجيب فلوس ويصرف فلوس.. إنما

المسئولية الحقيقية في الجواز وفي غيره اسمها «مسئولية العلاقة».. مش «مسئولية الصرف»..
مسئولية العلاقة يعني لما واحدة تقول لي «باحبك».. أكون مُخلص ليها بكل خلية من خلاياي.
لما واحدة تسلمني قلبها وعقلها ومشاعرها.. أسكن قلبها، وأحترم عقلها، وأمتنّ لمشاعرها.. مش آخدهم كحق مُكتسب.
لما واحدة تقرر تعيش معايا في بيت واحد.. أكون حاضر وموجود معاها في البيت ده بقلبي وعقلي وكياني.. مش بجسمي وتلفزيوني وموبايلي..
دي المسئولية الحقيقية.. والتانية أسميها مسئولية مُزيفة..
وياما كتير بيهربوا من المسئولية الحقيقية في المسئولية المزيفة..
وفي الحقيقة، الذَّكَر الشرقي عنده مشكلة كبيرة أوي مع المسئولية الحقيقية..
تقول له: «حِس بيَّا».. يقول لها: «أنا باتعب وباروح وآجي من الشغل.. اللي باصرف منه عليكي».
تطلب منه كلمة طيبة.. يقول لها: «أنا مش بتاع كلام.. أنا بتاع أفعال»..
تعوزه يكون جنبها.. يقول لها: «اعملي لي العشا»..
يا راجل ده فيه ذكور مش بيتحملوا حتى مسئولية اختيار نوع الأكل لما زوجاتهم تسألهم: «تحب تفطر إيه؟ ما أعرفش».. «تحب تتغدى إيه؟ أي حاجة»..
ويقول عبد الله بعد ده كله: أنا مسئول.. أنا راجل.. أنا جدع.. انتي طالق..
طب وإيه اللي خلّى عبد الله وأمثاله يحبوا هذا الدور الطفولي؟
ليه استحلوا النطاعة واستمرءوا الندالة؟
ليه مش سامحين لنفسهم يكبروا ويبقوا رجالة بجد، ومسئولين حقيقيين؟
ونعمل إيه علشان ده يتغير ويتصلّح ويتعالج؟
الإجابة يا صديقي..
الحل يا صديقتي..
في المُتبقي من عُمر هذا الكتاب.

الفصل السابع :
خيط رفيع مُهترئ

وصلنا للمضاعفة السابعة من مضاعفات مرض الذكورية الشرقية.. والقطرة الأخيرة من قَيْحِه المؤلم.. واللي هي نتيجة طبيعية لكل ما سبق، ألا وهي: صعوبة في الزواج.. حيرة في الاختيار.. لَخْبطة في الارتباط..

الجواز في ظِل هذه اللخبطة وهذا العَك مُخاطرة غير محسوبة..

والبنات والأولاد المرعوبين من الجواز (بهذا الشكل) ليهم حق..

والتردد في الإقدام على مجرد الارتباط أو الخطوبة مفهوم ومنطقي جدًّا..

أنا هاعرض ده من خلال رسالة جاتلي من إحدى المُتابِعات، بتلخص كل ما يدور في عقل بنات (وأولاد) هذا الجيل ناحية الارتباط.. وبتورينا- مع الرد عليها- بوضوح إحنا وصلنا لغاية فين، وممكن نعمل إيه..

«السلام عليكم..

أولا أنا من أشد المُعجبين بصفحة حضرتك، لا سيما إني أطمح أن أصبح مثلك... طبيبة نفسية وكاتبة أيضا..

أريد أن أشاركك بعض الخواطر التي تُؤرقني وتُؤرق فتيات جِيلي.. الأمر بخصوص الزواج ... فنحن نجد الزواج من دون حُب أمرًا شديد الوطأة ولا يمكن تحمُّله، وفي الوقت نفسه نُدرك جيدا أن إيجاد الحب الحقيقي ليس أمرًا بهذه السهولة، وأنه ليس مُقدرًا للجميع. لكن الأهل خصوصًا والمجتمع عمومًا يَرون في الامتناع عن الزواج لعدم إيجاد الحب حماقة غير مفهومة!!

الزواج بالنسبة لِجيلنا أصعب بكثير من ذي قبل؛ لأن فتيات هذا الجيل أصبحن أقوى وأكثر استقلالية ووعيًا وأصبح الزواج يُمثل عَقبة بالنسبة للكثيرين، لأنهم لا يجدون داعيًا للمخاطرة..

ما رأيك أنت؟؟

ما هو السبيل لتخطي حاجز الخوف ذاك؟

الخوف من الزواج ومن الحب ومن فقدان السيطرة والمخاطرة عمومًا، فإن تلك الحالة أصبحت شِبه عامّة الآن!

شُكرًا مُقدمًا».

****

صديقتي العزيزة..

أشكرك جدًّا على الإطراء.. ودعواتي لكِ بكل توفيق..

شوفي يا ستي.. أنا قريت رسالتك من أسبوعين، ولغاية النهارده أنا مش عارف أرد عليها.. انتي بتسألي سؤال من أصعب الأسئلة في وقتنا الحالي.. وبصراحة شديدة، أنا عاذرك في خوفك جدًّا..

سامحيني علشان كلامي في الأول ممكن يزوده، لكن عاوزك تصبري وتقري للآخر..

انتي عارفة إن نسبة الطلاق في مصر من ١٩٩٠ إلى ٢٠١٣ كانت ٤٣٪؟ وكان فيه- في الوقت ده- حالة طلاق كل سِت دقايق(10). وإن نسبة الطلاق ارتفعت في ٢٠١٨ بنسبة ٦.٧٪ مقارنة بعام ٢٠١٧، في الوقت الذي انخفضت فيه معدلات الزواج بنسبة ٢.٨ ٪، وأصبح فيه حالة طلاق كل دقيقتين ونصف(11).

ده الطلاق الفعلي الرسمي يا صديقتي.. مش هأقول لك على البيوت اللي الأزواج فيها متجوزين بس في حكم المتطلقين، والبيوت اللي الأزواج فيها مكملين زواجهم مُرغمين علشان الأولاد، والجوازات اللي ماشية علشان ما ينفعش فيها طلاق (من وجهة نظر أصحابها)، والجوازات اللي مكمّلة علشان نظرة المجتمع والناس والبهدلة والخوف مما بعد الطلاق..
قبل ما أقول لك تتجوزي إزاي وانتي متطمنة، خليني أقول لك ليه كتير من الجوازات بتفشل في مجتمعنا..
في رأيي إن فشل أي زواج بيبدأ من قبل الزواج بكتير.. بيبدأ من الأسباب اللي بتخلي الناس تتجوز.. وأكيد بيبدأ قبلها من البيت والتربية والمفاهيم المُشوّهة عن الزواج والرجولة والأنوثة والحياة كلها..
الولد عندنا بيتجوز علشان إما خلص تعليم وجيش وآن الأوان إنه يتجوز.. وإما علشان «يكمل نص دينه».. وإما علشان يُشبع غريزته الجنسية.. وإما علشان عاوز واحدة تخدمه بعد والدته.. وإما علشان يلّا بقى نعمل بيت وأسرة، مش هنفضل كده على طول.
والبنات بتتجوز علشان تتستَّر (تعبير مجتمعي لا أوافق عليه).. أو علشان سِنها بتكبر.. أو علشان تلبس فستان الفرح زي صاحباتها.. أو تخلّف أطفال تفرح بيهم.. أو علشان تهرب من بيت أبوها. والبنت اللي بتعدي كام وعشرين سنة من غير ما تتجوز بيكون عليها تدفع التمن من نظرات الناس وكلام الأهل وتريقة الأصحاب..
الناس عندنا بتتجوز علشان تتجوز.. مش علشان هي هتتجوز مين، وهتتجوز إزاي، وهتتجوز ليه، وإيه اللي هيحصل بعد الجواز..
وإذا كان ده نجح نسبيًّا وجاب نتيجة زمان مع أجيال كان واضح جدًّا بالنسبة لها تفاصيل الأدوار الاجتماعية للرجل والمرأة.. وكانوا الاتنين راضيين بيها وموافقين عليها، فده مستحيل ينجح دلوقت مع أجيال بتتحرر من كل قيد، وبتسأل كل الأسئلة، وماعندهاش ولاء إلا للي بتصدقه وتقتنع بيه..
ننزل لمستوى أعمق شوية.. خلينا في اللي بيتجوزوا عن حب..
عاوز أقول لك إن ما يُسمى «حب» قبل الجواز.. هو في أوقات كتير جدًّا بيكون أبعد ما يكون عن الحب الحقيقي الواعي الناضج المسئول.. وفي أغلب الأحيان بيكون نوع من العشر أنواع «المشوّهين» دول من الحب:

- حُب امتلاك (حد بيحب حد علشان يمتلكه ويستحوذ عليه ويُؤثِره لنفسه فقط).
- حُب الطاعة (حد عاوز من الطرف التاني طاعة عمياء.. لا نِقاش.. لا جِدال.. نعم وحاضر وبس).
- حُب الابتزاز (حد بيستخدم الابتزاز علشان يتحكّم في اللي قدامه.. مرة بالإشعار بالذنب.. مرة بالتهديد.. مرة بالصعبانية).
- حُب التفصيل (اللي عاوز يفصّل الطرف التاني على مقاسه).
- حُب اللخبطة (اللي يقول «باحبك».. وكل أفعاله تدل على «باكرهك»).
- حُب الشروط (ابن عم حُب التفصيل.. بيتشرّط فيه طرف على الطرف التاني طول الوقت.. شروط شروط شروط).
- حُب خلط الأدوار (الراجل اللي عايز مراته تبقى أمه.. والست اللي عايزة جوزها يبقى أبوها).
- حُب السادية (ده حد بيستمتع بتعذيب اللي معاه.. تعذيب نفسي أو عاطفي أو جسدي).

• حُب المازوخية/ استعذاب الألم (ده حد بيستمتع بإنه يتعذب في العلاقة.. وده واللي قبله بيعرفوا يلاقوا بعض).
• حُب حالة الحُب (ده اللي بيحب يعيش في حالة حُب.. ويسيبها ويروح لحالة حُب أخرى.. وهكذا).
وأثناء كل دول.. انتي بتحبي شخص بيحاول طول الوقت إنه يكون في أفضل مظهر وأجمل حالة وأروع كلام وأحكم أفعال.. وانتي كمان بتحاولي تكوني في أحسن شكل وصورة وتفاصيل.. لكن دايمًا ما خفي كان أعظم..
مش مصدقاني؟
طيب بُصي على كل ما يُقال عنه أنه «حُب» بيحصل فيه إيه بعد الجواز.. وهتكتشفي قد إيه ده كان حالة وليس حال.. ومشهد واحد وليس كل الحكاية..
الحب الحقيقي الواعي المسئول حاجة تانية خاااالص.. هتلاقيه موجود جوه بعض البيوت الدافئة، وفي بعض العلاقات القليلة.. النادرة بكل أسف.. ومالهوش أي علاقة بالشكل المشهور والمنتشر حاليًّا عن الحب..
الحُب الحقيقي هو مزيج من الاهتمام.. والود.. والاحترام- وده أهمهم (احترام وجود الطرف التاني.. الإخلاص ليه.. احترام مشاعره.. واحترام العلاقة نفسها بجعلها أولوية في حياتي).. وطبعًا الرحمة.. والتسامح.
أعتقد كل اللي فات ده أسباب واضحة ومباشرة جدًّا لفشل زواجات كتير حاليًّا.. بس فيه حاجة أهم انتي قولتيها في كلامك: «فتيات هذا الجيل أصبحن أقوى وأكثر استقلالية ووعيًا وأصبح الزواج يُمثل عقبة بالنسبة للكثيرين لأنهم لا يجدون داعيًا للمخاطرة»..
فتيات هذا الجيل فعلا تطوروا نفسيًّا واجتماعيًّا بشكل كبير جدًّا، وفي الحقيقة تطورهم- في رأيي- سبق بكتير تطور الذكور/الرجال.. فتيات الجيل ده مش مُستعدين يمارسوا نفس الدور الاجتماعي بتاع «الست أمينة»، واللي هو ما زال جزء أصيل لا يتجزأ من عقلية الذَّكَر الشرقي مهما بدا تحضُّره وتمدُّنه وشعاراته.. فتيات جِيلك أشجع وأقوى وأكثر استعدادًا للاستقلال والحركة والتساؤل والإقدام والاكتشاف وتحمُّل الحيرة والمخاطرة.. في حين إن معظمنا - كذكور - ما زلنا شايفين إن الست المثالية هي اللي تقعد في البيت وما تشتغلش، وتربي العيال، وتسمع كلام جوزها وما يكونش ليها أي وظيفة ولا مهمة ولا رسالة في حياتها إلا إسعاد هذا المخلوق السامي، واللي ممكن - على أرض الواقع - يكون أقل منها ذكاء وحِكمة وبصيرة..
فيه عائلات لسه بتجوز بناتها بطريقة «يلَّا قومي يا حبيبتي شوفي الرجل اللي جوه ده، وحبّيه، واتجوّزيه، وهاتي منه عيال».. وفيه ذكور لسه بتتجوز بطريقة «أنا هتجوز البنت دي علشان كويسة وحلوة وبعدين هاغيرها وأغيّر لِبسها وتفكيرها ومُخها».
المهم.. دي مقومات فشل كتير من الجوازات في وقتنا وظروفنا الحالية..
الجواز عن حُب مش مضمون، لأنك ببساطة بعد الجواز ممكن تكتشفي إن ده ماكانش حُب أصلا.. أو إنك اتجوزتي واحد غير اللي كنتي بتحبيه تمامًا.. وده بيحصل كتير، ولو ماكنتيش سِمعتي عنه قبل كده، هتسمعي عنه في يوم من الأيام..
والجواز عن غير حُب برضه مش مضمون، لأنها مخاطرة غير محسوبة على الإطلاق..
بلاش تعقيد أكتر من كده بقى..
هتقولي لي طيب أعمل إيه؟

هأقول لك ماأعرفش...
آه والله.. ماأعرفش..
استني ما تخافيش..
أقدر أقول لك شوية حاجات مهمة.. ممكن تسترشدي بيها شوية..
أولًا.. مهم تبقي عارفة إنه في كل الأحوال الزواج مُخاطرة، مهما كانت المقدمات مُطمئنة.. اعرفي ده وصدّقيه واقبليه، علشان تتحرري من كل السجون والمخاوف.. وتقدري تختاري..
ثانيًا.. السؤال الصعب: طيب وأنا هاختار إزاي وعلى أي أساس؟ هاجاوبك إجابة غريبة جدًّا..
ربنا لما اتكلم عن العلاقة الناجحة بين الزوجين ما استخدمش لفظ الحب إطلاقًا، بالعكس هو استخدم لفظ الحب في قصة غواية امرأة العزيز لسيدنا يوسف: «قد شغفها حبًّا»، لكن في الزواج قال: «مودة ورحمة».. يعني المطلوب منك تحسي ناحية حد إنك مرتاحة له وإن فيه ود وقُرب، ويكون الحد ده جاد ومُستعد للارتباط وتحمُّل المسئولية، وتتأكدي من ده بسؤال معارفه وزملاء عمله وغيرهم.. بس.. الحد ده بقى جِه إزاي وفي أي سياق: «معرفة سابقة.. زملاء عمل أو دراسة.. أصدقاء وحبيتوا بعض.. صالونات... إلخ»، مش هتفرق كتير.. تصوري؟
الإجابة عندك يا عزيزتي، وفي إحساسك.. إحساسك انتي فقط.. مش إحساس حد تاني أو رأي حد تاني أو توقع حد تاني، مع احترامي لكل مَن حولك، وعدم نزع حق الشورى معهم، لكن ده حقك.. وحقك لوحدك.. وإحساسك لوحدك.. وحياتك لوحدك..
ثالثًا.. فيه خمس أسئلة اتعلمتهم وباعلّمهم لأي واحدة تاخد رأيي في موضوع جواز.. بأقول لها تسألهم للي متقدم لها.. ولو «حست» إنه صادق في إجاباته ممكن تطمن «شوية»:
١- هتعترض على شغلي وتقعدني في البيت ولَّا هتسيبني أشتغل (حتى لو مش ناوية تشتغلي دلوقت)؟
- السؤال ده هيوريكي قد إيه هو ممكن يتحكّم فيكي.. وموضوع الشغل كمثال.. وقد إيه ممكن يقبل إنه يكون ليكي استقلاليتك المادية عنه، ومصدر دخلك الخاص..
٢- هل مُعترض على طريقتي الحالية في اللبس ولَّا حابب إنها تتغير؟ (أنا ما وصفتش أي لبس لكن الكلام على المبدأ)؟
- السؤال ده برضه هيوريكي استعداده للتحكم.. وكمان هيوريكي علاقته بأنوثتك هتبقى عاملة إزاي.. وقد إيه هو واثق فيكي وفي رؤيتك.. وقد إيه عنده استعداد يلعب دور الوصي (مش شريك الحياة) على طفلة صغيرة هو بيفترض إنه أوعَى وأعلم منها..
٣- لو اختلفنا على حاجة هناخد القرار إزاي؟
- السؤال ده هتعرفي منه مدى مرونته وقبوله للاختلاف والمراجعة واستعداده لتغيير وجهة نظره في حال خطئها.
٤- علاقاتنا الاجتماعية.. هل هتبقى واحدة ولَّا كل حد فينا من حقه كمان يكون ليه دوايره الخاصة بيه؟
- السؤال ده هيخليكي تشوفي وتحسّي قد إيه هو عنده استعداد يخليكي تدوري في فلكه، وتلفي في مُحيطه، وتقطعي وتتخلي عن علاقاتك الاجتماعية الخاصة بيكي انتي.
٥- لو فيه حاجة شايف إنها لازم تتغير فيَّا تبقى إيه؟
- السؤال ده فيه خلاصة كل اللي فات..
هل الخمس أسئلة دول كفاية؟ لأ طبعًا.. لكنهم علامات على الطريق..

هل هما ضمان لنجاح الجواز؟ إحنا هنهزر؟! أكيد لأ.. بس همَّا مُؤشر هام ومبدئي قبل ما نقول بسم الله..
هل فيه حاجة تانية؟ آه.. جاي أهو..
خليكي فاكرة إنك تطلبي إجابات صريحة وواضحة علشان اللعب بالكلام هنا كتير.. وتحسي كويس صدق أو عدم صدق الإجابات، وتصدقي إحساسك، مش بس تسمعي الإجابات وتاخديها زي ما هي.. ما تقبليش أي إجابة مشروطة لأي سؤال فيهم (موافق بس كذا.. أو موافق بالشرط الفلاني.. أو طبعًا لكن...).. وخليكي عارفة إن معظم الرجالة هتجاوب إجابات جميلة جدًّا على الأسئلة دي! بس دول مش مجرد أسئلة.. دول حدود العلاقة اللي ما ينفعش تُخترق، ولو اختُرقت يبقى العلاقة اتحكم عليها بالفشل.. اللي مش عاجبه حالك وتفكيرك وقناعاتك الشخصية من الأول، تقولي له شكرًا.. وهيلاقي اللي بيدوّر عليه في واحدة تانية..
رابعًا.. إوعي تتجوزي حد وانتي في نيتك تغيريه.. إوعي تقولي بينك وبين نفسك هو هيتصلّح بعد الجواز.. أو الجواز هيغيره.. أو هو هيتغير علشان بيحبني.. أو أنا هاخليه أحسن.. اعملي حسابك إن الشخص اللي هتتجوزيه غالبًا هيفضل زي ماهو بالظبط.. رضيتي بيه كده.. توقعي إنه هيفضل كده.. مش عاجبك كده.. شوفي غيره فورًا.. لكن ما تطلبيش ولا تتوقعي إن حد يتغير علشانك.. ولا تلعبي دور المُغيّر والمُنقذ مع حد.. (نفس الكلام باقوله للرجالة على فكرة).. ده لا يعني إن التغيير للأفضل مستحيل- خاصة في إطار علاقة طيبة- لكنه ممكن يحصل وممكن ما يحصلش.. وما ينفعش نراهن عليه..
خامسًا.. خليكي عارفة إنه دايمًا فيه فُرص، ودايمًا فيه خط رجعة.. وإننا مش هنفهم ولا نحسب أحسن من ربنا.. في اللحظة اللي تحسي فيها إن خطيبك، أو جُوزك، أو أبو عيالك بدأ يخنقك، ويطفيكي، ويسرق الحياة منك، ويعاملك بما لا تستحقين، ويوصّل لك إنك ما تستاهليش.. وبعد ما تكوني سلكتي كل طُرق التوعية والإصلاح والعلاج، تقولي له «لأ» بصوت عاااااالي جدًّا.. مهما كان التمن.. ربنا إدانا الحق ده.. وما ينفعش أي حد ياخده مننا.. ولا أهل ولا ناس ولا مُجتمع ولا الدنيا كلها..
صديقتي العزيزة..
آسف إني طولت عليكي في إجابة سؤالك.. بس أنا عندي كلام في الموضوع ده أكتر من كده بكتير.. لأني باشوف كل يوم في شغلي حالات بيتقطع معاها قلبي، ويتحرق ليها دمي، بسبب زواجات فاشلة، قرر أصحابها يحافظوا بينهم على خيط رفيع مُهترئ تُمثله ورقة قسيمة زواج بالية، لسبب أو لآخر.. مع كل الاحترام والتقدير لحساباتهم واختياراتهم.. كل واحد أعلم بحياته وظروفه.. ومش من حقنا نحكم على حد.. أو نُصادر قرار حد..
أخيرًا..
ما تسمحيش لحد ياخد أي قرار بالنيابة عنك..
ما تتجوزيش غير لما تحسي إن هو ده الشخص المناسب.. مهما حصل..
انتي بتتجوزي علشان تكملي حياتك في سعادة ورضا..
مش علشان تتحول ضحكتك.. النهارده..
إلى ذِكرى عفا عليها الزمن.. بُكرة.

(10) جريدة الوطن، بتاريخ ٣٠ مايو ٢٠١٥.

(11) جريدة النهار، عن الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء، بتاريخ ١٣ يونيو ٢٠١٩.

الفصل الثامن :
ويبقى أن..

ويبقى أن فيه رجالة كتير.. ورجالة بجد..
اللي رمى نفسه تحت عجلات القطار، وحاوط جسم بنته بجسمه، وأنقذها من الدهس.. كان راجل(12).
واللي قدَّم بلاغ للنيابة لما زوجته قامت بإجراء ختان لابنتيه الصغيرتين دون علمه.. كان راجل(13).
وطالب الثانوية العامة اللي دفع حياته ثمنًا لشهامته، بعد رفضه قيام أحد الذكور بالتحرش بإحدى فتيات المنطقة اللي عايش فيها.. كان برضه راجل(14).
اللي بيربي بنته على إنها بني آدمة كريمة، ليها كامل الأهلية، وكامل الحقوق، وكل الاحترام.. راجل..
واللي بيربي ابنه على تبجيل أمه.. وتشريف أخته.. واحترام زوجته.. برضه راجل..
اللي بيعامل مراته على إنها بشر زيها زيه.. مش خدامة.. مش أمه.. مش بنته.. راجل..
واللي بيعامل أمه على إنها إنسانة.. مش برضه خدامة.. ومش برضه بنته.. أكيد راجل..
اللي بيحترم كل واحدة ماشية في الشارع.. ما يحتقرهاش.. وما يُحكمش عليها.. راجل..
واللي بيرضَى لكل أنثى اللي يرضاه لنفسه.. وما يرضاش ليها اللي ما يرضاهوش لنفسه.. فعلًا راجل..
اللي يغُض بصره مهما كانت اللي قدامه لابسة أو مش لابسة.. راجل..
واللي يمنع نفسه عن تبرير التحرش والاغتصاب.. ويتحمل مسئوليته الحقيقية قدام نفسه وقدام ربنا.. راجل بجد..
اللي بيختار إنه يرجع بيته بدري عشان يقعد مع عياله.. راجل.. واللي بيسمع ويفهم ويحاور أولاده، مش يقهرهم ويخوّفهم ويهددهم.. راجل حقيقي..
اللي بيحضن بناته.. ويشبعهم من قُربه وحُبه وحِنيّته.. راجل..
واللي برضه يحضن أولاده.. ويعلّمهم إن القرب رجولة.. والحب رجولة.. والحِنية لا تنقص الرجولة.. مثال لكل راجل..
كل دول موجودين.. حتى لو كانوا قُليلين..
كلهم حقيقيين.. وسط الزَّبَد والزيف..
وكلهم ينطبق عليهم بحق وصدق:
«رَجُل.. والرجال قليل».

(12) موقع الوطن- ١ فبراير ٢٠٢٠.
(13) موقع اليوم السابع- ١٠ ديسمبر ٢٠١٨.
(14) موقع مصر العربية- ١١ أكتوبر ٢٠١٩.

الباب الرابع

أرجوك.. خذ مني هذا الدواء

الفصل الأول :
كنتُ ذَكَرًا شرقيًّا

(قصة حقيقية- بتصرُّف
وإعادة صياغة بناء على طلب صاحبها)
اسمي أدهم.. عندي ٣٥ سنة.. اتولدت في أسرة متوسطة.. الأب مُدرس.. والأم ست بيت. كتبت الكلام ده بعد رحلة علاجي اللي استمرت سنتين.. آه أنا أدهم اللي روحت للدكتور علشان مشاكل مع مراتي.
في طفولتي.. كنت هادئ وخجول جدًّا.. ماكانش عندي أصحاب كتير.. ممكن صاحب أو اتنين في كل مرحلة من حياتي.. وده طبعي حتى الآن..
ما كنتش أقدر أرفع عيني في عين أبويا.. ولو مرة ما سِمعتش كلامه كانت تبقى ليلتي سُودا..
أمي ما كانتش تستجري تقول لأبويا «لأ».. كانت زي الخاتم في صباعه.. لو قصّرت في حقه تبقى جنَتْ على نفسها..
في ابتدائي كنت في مدرسة مُختلطة.. ماكانش فيه أي مشكلة أو حساسية في التعامل بين البنات والأولاد.. كنت مُجتهد ومُتفوق في دراستي.. وكانت المنافسة دائمًا بيني وبين إحدى زميلاتي على ترتيب الأول على الفصل.. كانت كل الرسايل اللي بتوصل من كل مكان تضيف دايمًا إلى أي منافسة بُعد العداء.. منافسك يعني عدوك..
فاكر جدًّا أستاذ العربي.. كان قاسي ومُتجهم وعنيف.. كنا بنخاف منه أوي، لأنه بيتعصَّب وبيهين وبيشتم، وأحيانًا بيضرب.. صورته وصوته وتكشيرته لا تفارقني حتى الآن..
على الجانب الآخر.. مش ممكن أنسى طِيبة وحِنية وقُرب مُدرسة الرسم.. واللي كانت- رغم حِنيتها- حازمة وواضحة ومباشرة.
أعتقد إن دي كانت بداية ارتباط القسوة بالرجال.. والطيبة والحِنية بالنساء، داخل عقلي الصغير.. بالإضافة طبعًا لكل ما وصل من البيت والشارع والتلفزيون.
سمعت كلمات زي: «إوعى تعيط.. الرجالة ما بتعيّطش».. «ما تِنشف كده شوية أمّال.. خليك راجل».. «اخشن يا أدهم.. أنت راجل إزاي؟»، مئات المرات، من كل حد.. وفي كل مكان..
بداية من إعدادي.. المدرسة أصبحت غير مختلطة.. وهنا بدأت علاقتي بالجنس الآخر تختلف شويتين.. الأولاد ماكانش ليهم هَمّ ولا شاغل غير الفرجة والتعليق على المُدرّسات.. دي لابسة إيه.. دي قعدت إزاي.. دي بتعامل الأستاذ الفُلاني أو الطالب العِلّاني كده ليه؟ وانتم أكيد عارفين موضوع القلم اللي بيترمي على الأرض..
أصحابي كانوا بيحبوا- وحبيت معاهم- الكلام على المُمثلات.. ومشاهد السينما والتلفزيون.. جمال دي.. وجِسم دي.. عُيون دي.. وشفايف دي.. أنا من الجيل اللي عاصر شباب يُسرا.. ودلع إلهام شاهين.. وجمال جيهان نصر.. وأناقة شيرين سيف النصر..
في المرحلة دي كمان.. ظهرت المجلات الجنسية.. وكان بيبقى معروف في كل فصل حد معين بيقوم بدور المُورِّد لهذه البضاعة النادرة.. كان خمسة أو عشرة طُلاب يشتركوا مع بعض، علشان يشتروا مجلة بخمسة جنيه.. وده كان سعر غالي جدًّا وقتها.. طبعًا حُب استطلاعي وهرموناتي شجّعوني إني آخد فكرة.. بس في الحقيقة قرفت من أول صورة.. وما حبّتش أكرر التجربة تاني..

من خلال كل ده وغيره.. فهمت كده والله أعلم إن هذا الكائن اللي اسمه الأنثى.. السِّت.. البنت.. المرأة.. هو كائن جنسي.. حاجة كده معمولة للمتعة الجنسية.. كل حاجة فيها ليها بُعد جنسي.. مشيتها.. قعدتها.. حركتها.. كلامها.. كل حاجة..
فهمت كمان إن البنت أو السِّت المتغطية، دي واحدة مؤدبة.. والبنت أو السِّت اللي كاشفة أي جزء من جسمها، هي مش بس واحدة مش مؤدبة.. لأ.. دي سافلة.. وعَاهِرة.. وعايزة تحرّك في اللي قُدامها غريزته الجنسية.. عايزة وناوية ومُتعمدة..
كان فيه حكايات كتير أوي مُتداولة بين الطلبة، إن المُدرِّسة الفلانية على علاقة بالمدرس الفلاني.. أو إن السكرتيرة العِلّانية راودت أحد الطلاب عن نفسه وهو رفض..
في ثانوي.. الرسايل تحوّلت لأفكار.. والاستنتاجات أصبحت مُعتقدات راسخة..
في الوقت ده ظهرت حاجة اسمها «الجماعات التكفيرية».. كانوا بيكفّروا كل حد وأي حد.. كان ليهم مظهر واحد ثابت.. جلابية بيضا قصيرة.. ودقن سودا طويلة.. ورغم لهجتهم الحادة وكلامهم الجامد.. إلا أنهم كانوا بيتكلموا بلغة الدين.. وبيفحموا أي حد يحاول يتناقش معاهم، بمجموعة- يبدو أنها محفوظة صم- من النصوص الدينية التي لا تقبل التشكيك.. لا أنسى مَشهد والدي رحمه الله وهو قاعد مع واحد منهم في بيته، بيحاول يُثنيه عن فكره.. والراجل عمّال يكفّر فينا وإحنا قاعدين: انتم مجتمع كافر.. مُرتباتكم حرام.. أنت راجل ديوث (علشان أبويا كان موافق إن أختي تشتغل)..
وهنا ظهر في الأفق لفظ «ديوث».. اللي انتشر واشتهر مع انتشار واشتهار هذه الموجة وسط طلاب ثانوي، كجزء من المجتمع الأكبر طبعًا.. كل حد بيسمح لمراته إنها تخرج وتشتغل يبقى ديوث.. كل حد بنته تتأخر وهي مروّحة من الدرس يبقى ديوث.. وطبعًا اللي سايب واحدة من أهله تلبس لبس غير مُحتشم (في رأيهم)، فهو برضه ديّوث.. أصبحت كلمة ديّوث شبحًا يُطارد كل رجل.. يافطة مُخيفة ممكن تتعلق عليك في لحظة.. وصمة مُرعبة لازم تهرب منها.. وتهرب منها إزاي؟ بالتضييق على أختك.. وبخَنْق زوجتك.. وبنصيحة أمك (بشكل حازِم).. علشان تبقى راجل.. مش ديّوث..
سمعت في المرحلة دي كمان- وصدّقت- كلام زي إن ربنا خلق سِتنا حواء علشان تؤنس وحدة سيدنا آدم.. وتُرفه عنه.. وإن دور الست الوحيد في حياة الراجل، هي إنها تعينه وتساعده على طاعة الله، وعلى أداء دوره في الحياة.. وإن الست اللي ما تطيعش جوزها فمن حقه يضربها..
وكان فيه سؤال دايمًا يتردد في ذهني: طيب ولما وظيفة الست إنها تساعد وتعين جوزها، وتوفّر له الجو الهادئ، والظروف النفسية المناسبة، أمال هو وظيفته بالنسبة ليها إيه؟ إيه دوره في حياتها غير كونه المُستفيد من الخدمة؟ فين تحقيقها هي لذاتها؟
الرسايل عمّالة تتجمّع.. وشخصيتي عمّالة تتكوّن.. أفكار من هنا.. مُعتقدات من هناك.. تتستّف وتترتب في عقلي ووجداني: المرأة كائن جنسي.. المرأة تريد إغواء الرجل.. المرأة لازم تُطيع رَجُلها.. الرجل من حقه يضرب مِراته.. وظيفة المرأة الوحيدة والفريدة هي خدمة وإعانة جوزها.
زوّد على دول صدمتي بعد ما دقّ قلبي للمرة الأولى، بإني- كرجل- لازم علشان أتجوز اللي باحبها، أدفع مهر مُحترم، وأجيب شبكة غالية، وأجهّز شقة بالشيء الفلاني، و.... و.... وإلا مافيش جواز..

إيه ده؟ هو أنا مطلوب مني أشتري اللي باحبها؟ هي بضاعة؟ هي قطعة أثاث؟ وحكايات كتير بقى عن الشاب اللي كان بيحب، وظروفه المادية ما سمَحتش ليه إنه يتجوز اللي بيحبها.. وإنها اتجوزت اللي كان يقدر «يدفع».. يبقى المرأة كمان «سلعة».. تُباع وتُشترى ويتم تقييم ثمنها على حسب شهادتها، وعيلتها، وطبقتها الاجتماعية..

نجحت في ثانوية عامة.. ودخلت الجامعة.. وعاد الاختلاط مرة أخرى.. بس بأفكار ومعتقدات وقواعد مختلفة تمامًا..

كان التعامل بين الجنسين فيه حساسية شديدة جدًّا.. يُستحسن مايبقاش فيه تعامل أصلًا.. ولو اضطُررت، لازم يكون فيه مسافة «كبيرة جدًّا» بينك وبين أي واحدة بتكلمها..

وإلا تبقوا انتم الاتنين اتشبهتوا.. لازم تكون باصص في الأرض وأنت بتتكلم.. وإلا تبقى عاوز حاجة مش كويسة.. وأي واحد وواحدة يتكلموا مع بعض فترة أكتر من عشر دقايق، معناها إن فيه بينهم استلطاف أو قصة حُب.. وطبعًا أي حد بيتعامل بأريحية مع البنات يبقى صايع.. وأي واحدة تتعامل بأريحية مع الأولاد تبقى شمال.. جو مكهرب مليء بالتوجس والنظرات المُرتابة..

سوء النية هو الأصل، وعليك أن تجتهد طول الوقت لتُثبت إنك- والله العظيم- مش بتفكر في «حاجة»..

حقل خصب جدًّا للكلام والإشاعات والهمز واللمز.. فلان وفلانة بيحبوا بعض.. فلان وفلانة بيستنوا بعض آخر كل يوم دراسي علشان يتقابلوا ويتكلموا.. فلان ظبطوه مع فلانة تحت السلم.. فلان بيروح كلية آداب يتفرج على البنات.. فلان بيعرف بنات من كلية فنون جميلة علشان حلوين..

كل ده وصّل نفس المعاني.. وأكّد عليها.. وخلّاها غير قابلة للمناقشة..

كان فيه كمان اتفاق ضمني كده بين الشباب.. همّا يعاكسوا بنات الناس آه.. لكنهم يحترموا جدًّا أخوات وأمهات أصحابهم.. يعني أنا وأنت نبص ونعاكس أي واحدة في الشارع.. بس عند أختك وأختي نبص في الأرض.. نتريق ونسخر من أي سِت معديّة.. بس عند أمك وأمي.. كل التبجيل والتقديس..

بنات وسِتات البيت ليهم كل الاحترام.. لكن بنات وسِتات الشارع لأ.. دول نازلين علشان يغرُونا.. ويفتنونا.. ويراودونا عن أنفسنا.. آه والله.. هما اللي عاوزين.. مش إحنا..

كان فيه أبعاد تانية كتير للحكاية دي.. منها إن البنت المؤدبة لازم تكون خام.. أبيض.. ما تعرفش أي حاجة عن أي حاجة.. لكنها في نفس الوقت مهم تكون شاطرة ولهلوبة في السرير.. إزاي؟ ما تعرفش..

كمان البنت اللي تكلم أولاد تبقى بنت مش كويسة.. لكن أنا وزمايلي نكلم بنات عادي..

البنت اللي تحب تبقى مش مؤدبة.. لكن أنا ممكن أحب وأتحب مافيش مشكلة..

البنت اللي تتمسك إيديها تبقى فاجرة وسافلة وما اتربّتش.. لكن الولد اللي يمسك الإيدين ويبوس ويحضن.. يبقى واد مقطّع السمكة وديلها..

وطبعًا مافيش حاجة اسمها البنت تُعجَب.. أو تَرغب.. أو تَشتهي.. ده متاح للأولاد بس.. إنما لو بنت.. يبقى انحطاط، وقِلة تربية، وقلة دين..

خلّصت الكلية، واشتغلت.. وشوفت قصة حب أحد أصدقائي اللي بدأت في ثانوي، وهي بتنتهي قُدام عينيا، كان بيقول لي إنه بيحب حبيبته «حُب عُذري»..

• يعني إيه يا ابني حُب عُذري؟

• يعني حُب يسمو فوق رغبات الجسد..
• اللي هو يعني إيه برضه؟
• يعني مش عاوز حتى ألمسها.. أنا كفاية عليَّا أبص لها طول حياتي.. دي أكيد مش بتعمل حمّام زيّنا يا أدهم.. دي نور يمشي على الأرض.
إذن الرغبة الجسدية حاجة وحشة.. حقيرة.. اللي بيهتموا بيها ناس ماعندهُمش السمو الروحي الكافي.. الشهوة قرف.. الجنس نجاسة.. العلاقة الجنسية تفريغ لرغبات أرضية دنيئة..
لمّا جيت أرتبط..
كان اهتمامي بمظهر الإنسانة اللي هارتبط بيها لا يقِل عن اهتمامي بحَسبها ونَسبها ودينها..
وده مش معناه بس هي لابسة إيه.. لأ.. هو كمان الناس اللي يعرفوني هيقولوا على لبسها إيه؟
طيب لبسها هيجذب نظرات الرجّالة ولّا لأ؟ طب وجَمَالها؟ لافِت ولّا مش لافِت؟ حاسة بيه وهتتعبني ولّا مش حاسة بيه وهتريحني؟
بعد الجواز.. مُعظم خناقاتي مع مراتي كانت تندرج تحت: إيه اللي انتي لابساه ده؟ بلاش تلبسي كده؟ اللبس ده هيجذب النظر..
الجزء التاني من الخناقات كان بيخُص عدم سمعانها لكلامي.. مش أنا قولت كذا؟ بتعاندي معايا ليه؟ انتي ناسية إن أنا الراجل ومن حقي عليكي إنك تسمعي كلامي؟
والجزء الأخير كان يخص علاقاتها بالناس غيري، أهلها.. زمايلها.. أصحابها.. ثم البيت والمصاريف والعيال..
الخناقات زادت.. والمشاكل اتعقّدت.. ووصلنا لحيطة سد.. ورُوحنا للدكتور.. ندوّر على حَل..
الدكتور قعد معانا، وسمّعنا، ونصَح كل حد فينا إنه يحضر جلسات جروب ثيرابي «علاج نفسي جَمْعي»..
حضرت الجلسات الجماعية رغم إني ما كُنتش مُقتنع بيها.. وفي الجلسات دي، سمعت اللي عمري ما سمعته، وشوفت اللي عُمري ما كنت أتوقع إني أشوفه.. شواكيش كانت بتضرب في دماغي.. لأ.. مش شواكيش.. دي مجموعة بلدوزرات كانت بتتناوب الدق والحفر والهدم داخل مُخي المسكين..
كانت مجموعة علاجية مختلطة.. سِتات ورجالة.. شباب وكبار..
سمعت البنات وهي بتقول: أنا عِشت طول عمري دافنة أنوثتي، علشان وصلني من اللي حواليّا إن الأنوثة عار.. سمعتهم وهمَّا بيقولوا: أنا اضطريت أدفن أنوثتي وأنا صغيرة وأطلّع مكانها استرجال علشان وصلني إن الأنوثة عيب وقلة أدب.. سمعتهم وهمَّا برضه بيقولوا: أنا دفنت أنوثتي من زمان علشان حسيت إن البنت أقل بكتير من الولد.. وإن الست وظيفتها تخدم الراجل..
شوفت السيدات بيتألموا ويبكوا ويصرخوا وهمّا بيوصفوا اللي حصل لهم واللي وصل لهم من آبائهم وأمهاتهم والمجتمع كله، عن نفسهم وأنوثتهم وأجسامهم.. اللي تقول حسّيت إن جسمي مش ملكي.. هو ملك أبويا، وبعدين مِلك جوزي.. واللي تقول مش ناسية اللحظة اللي كتّفوني فيها وفتحوا رجليَّا علشان «يطاهروني»، ودي كانت نهاية علاقتي بالحياة.. واللي تقول باحِس وأنا ماشية في الشارع إني ماشية عريانة وسط ذئاب بشرية رغم إني متغطية من ساسي لراسي..

كل كلمة كانت بترُج كياني.. كل مشهد كان بيخترق قلبي وعقلي.. كل دمعة كانت بتحرق أعصابي.. هو إحنا- كرِجال- عملنا فيهم ده كله؟ هو إحنا ظلمناهم كل الظلم ده؟ إحنا شوّهناهم وأذيناهم للدرجة دي؟
بنات من كل حتة في مصر.. سيدات من مراكز ومُدن مختلفة.. بييجوا كل أسبوع بانتظام شديد رغم طول المسافة وساعات السفر.. بعضهم بيشتغل وبعضهم لأ.. نصُهم معاهم شهادات ومؤهلات.. ونصهم التاني مش بيعرف يقرا ويكتب..
كانوا مليانين حماس.. وشبعانين ألم.. وعندهم طاقة ورغبة وقُدرة كبيرة على الحركة والتغيير.. على عكس باقي المجموعة من الرجال (وأنا منهم).. اللي كان الكلام معاهم صعب.. والحركة بتاعتهم بطيئة.. ومقاومتهم للتغيير عنيفة.. أول رد بيطلع منهم أول ما تيجي سيرة الرجولة والأنوثة: الرجال قوّامون على النساء يا دكتور.. أول إجابة تتقال لما تيجي سيرة احترام وتقدير المرأة: والله الستات دول عقلهم فاضي.. فاكر الشاب اللي حكى قدامنا إنه ضرب أخته «الكبيرة» علشان مش عاجبه لبسها اللي رايحة بيه الجامعة.. وفي نفس ذات الجملة قال إنه بينام كل يوم مع بنت غير التانية.. ليه يا ابني بتعمل كده؟ وفيها إيه؟ ما أنا راجل.
أنا راجل.. ليه أتغير وأنا في محل قوة؟ ليه أشوف حاجة جديدة وأنا في موضع سُلطة؟ ليه أتحرك وأنا مُستفيد في مكاني؟
بس الدكتور بقى ما كانش بيسيبنا.. كان متوصّي بينا أوي.. ما كانش بيسمح لنا نقاوم أصلًا.. كان بيخلّينا نشتغل في المجموعة شُغل من نار.. علّمنا يعني إيه رجولة حقيقية، ويعنى إيه رجولة مُزيفة.. يعني إيه حد يدفن رجولته الحقيقية لما يلاقي المجتمع اللي حواليه بيشجّع الرجولة المُزيفة.. ويعني إيه كل رجل حقيقي جوّاه كمان أنوثة حقيقية مُتمثلة في مودّته وقُربه ولِينه وطيبته.. وإن رفض هذا الجزء مني بدعوى إنه ضعف، بيخليني أرفضه في اللي حواليا من النساء بإني أقهرهم، ومن الرجال بإني أسخر منهم..
في الجلسات دي حسيت بالأمان لأول مرة في حياتي.. وعرفت أحس بغُلبي وخوفي واحتياجي وأعبر عنه من غير ما يتقال لي: «اجمد.. خليك راجل». قدرت أراجع علاقتي بأبويا وأمي، وكل اللي وصلني من علاقتهم ببعض. وشفت إزاي اللي كان بيحصل بينهم بقيت أنا باكرّره بالحرف مع مراتي، مع إني كنت باكره طريقة أبويا، وأمي كانت بتصعب عليَّا، بس ماكنتش قادر أكون حاجة غير كده. قدرت أشوف إن رجولتي أكبر وأعم من كل المعاني الملخبطة اللي وصلتني من المجتمع ومن أسرتي. قبل كده كنت مستكبر بذكورتي، وبعد ما اتغيرت بقيت فخور برجولتي، وقابلها، وسامح لها تحتاج كل اللي اتحرمت منه زمان علشان أبقى «دَكَر» في عيون أبويا وأمي وأصحابي.
قعدت في العلاج الجمعي سنتين.. كنت باقاوم في كل لحظة.. كنت باخاف مع كل خطوة.. وكنت باتوجّع مع كل حاجة باشوفها.. وفي الآخر.. اتغيّرت.. أو بصراحة.. خفّيت..

صدّقت إن مراتي بني آدمة زيها زيي.. مش أقل مني.. ولا أضعف مني.. ولا أغبى مني..
صدّقت إن بنتي مش ملكي.. ولا ابني ملكي.. وإنهم مِلك نفسهم ومِلك ربنا وبس..
وصدّقت إن أمي من حقها تعيش.. ومن حقها تفرح.. ومن حقها تحيا..
قعدت سنتين علشان أصدق..
واكتشفت إن الذكورة غير الرجولة..
الذكورة هي النوع.. الرجولة هي الفِكر..

الذكورة هي الجنس.. الرجولة هي السلوك..
الذكورة هي البيولوجيا.. الرجولة هي الموقف..
الكلام ده شَبه أول سطور في مقدمة الكتاب؟
آه.. ما هو ده كلامي برضه..
هافضل فاكِر صوت وتعبيرات وش وجسم الدكتور وهو بيقول لنا في آخر جلسة:
«أصعب حاجة في الدنيا إنك تتغير.. إنك تغيّر حاجة اتولَدت عليها.. واتربيت عليها.. وعِيشت بيها سنين طويلة من عُمرك.. التغيير معناه إنك هتبطل تسجن نفسك في عيون الناس.. وهتبطل تخاف من كلام الناس.. وهتبطّل تعمل اعتبار لأحكام الناس.. التغيير معناه إنك تبتر حتة منك.. وتعيش من غيرها شوية.. لغاية ما تحصل المعجزة.. ويحل محلها (من جوّاك) حِتة تانية.. أجمل وأنضر وأنضج»..
مش عارف كنت هاتغير إزاي لو ماخُضتش تجربة الوعي النفسي.. مش عارف كان زماني فين وباعمل إيه لو ماجاتليش الفرصة إني أسمع وأشوف وأحس مُعاناة الطرف التاني في الحكاية.. الستات.. مراتي وبنتي وأمي وأختي.. اللي لما حطّيت نفسي مكانهم.. حسيت إن جلدي مقلوب وبيتحرق..
مش عارف ذكورتي كانت هتكبر وتتضخم وتتسرطن لغاية فين، لو مالقيتش قدامي سِت شجاعة وواعية تقول لي «لأ»..
هل ممكن ذَكَر شرقي (على رأي الدكتور) يتغير من غير ما يعدّي على التلات حاجات دول:
وعي نفسي جديد..
وتحط نفسك مكان الطرف التاني..
وربنا يكرمك ويضع في طريقك سِت جدعة تقول لك «لأ»، بِحُب وأمل..
أعتقد إن ده أعمق وأصدق كلام أنا كتبته في حياتي..
شكرًا إنكم استحملتوا وقرأتوه..
أدهم

الفصل الثاني :
الخوف

ليه؟
ليه كل ده؟
أعتقد إن السؤال ده بيطاردك من أول صفحة في الكتاب.. ومعاه ألف علامة استفهام..
ليه حد يعمل في نفسه كده؟
ليه حد يعمل في اللي حواليه كده؟
ليه بني آدم يشوّه وجوده، ويستمرئ التشويه بالشكل ده؟
ليه مخلوق ضعيف.. ينسى إنه مخلوق.. وينسى إنه ضعيف.. ويتكبّر ويتجبّر بالمنظر ده؟
وليه حد يتفنن ويتمادى في إضعاف مخلوق آخر المفترض إنه شريكه في الحياة.. والعالم.. والإنسانية؟
ليه حد يزرع ويروي ثم يحصد عادات وأعراف اجتماعية ظالمة ومُجحِفة؟
وليه حد يختزل النصوص المُقدسة ويخرجها عن سياقها لمصلحته ولحسابه؟
ليه كل الأنانية والنرجسية وانتفاخ الذات لدرجة الانفجار؟
ليه كل الأذى والسادية والانتقام والسيكوباثية؟
وليه النذالة والتخلي والخذلان والانسحاب أحيانًا؟
عارف ليه؟
علشان حاجة واحدة..
حاجة اسمها «الخوف»..
الذَّكَر الشرقي مرعوب من داخله..
خائف من أعمق أعماقه..
مليء بالهلع حتى النخاع..
عارف خايف من إيه؟ وليه؟ وازاي؟
هأقول لك..
بس من اللحظة دي عاوزك تحط نفسك مكانه.. وعاوزِك انتي كمان تحطي نفسِك مكانه..
اطلعوا بره عقولكم شوية.. وادخلوا معايا جوّه عقله..
انسوا طريقة تفكيركم وخلّينا نتعرف على طريقة تفكيره..
خلّينا نبُص في المراية بعينيه هو، مش بعينينا إحنا..
علشان نعرفه.. ونفهمه.. ونحسّه..
وعلشان ما نظلمهوش..
وعلشان ده حقه..
ما هو بني آدم.. إنسان.. بشر..
إحنا من دلوقت هنلف الكاميرا.. وهنشوف المشهد من زاوية تانية خالص..
زاوية فيها نور أكتر.. وتفاصيل أكتر.. وهدوء أكتر..

***

إحنا طول الوقت بننظر للرجل (الذَّكَر) على إنه جاني.. بنقعد نقول الرجالة صعبين.. الرجالة قاسيين.. مش بيشتغلوا على نفسهم.. مش بيحضَروا حتى كورسات توعية، مش بيروحوا

العيادات النفسية.. مش بيعترفوا إنهم عندهم مشكلة أصلًا.. وأسهل حاجة ممكن نفسر بيها ده هي إنهم مش مُهتمين.. مش عاوزين يتغيروا.. مُصِرّين على اللي همَّا فيه..
بس فيه جانب تاني للحكاية دي.. أنت عارف الراجل اللي بيروح عيادة نفسية، اللي حواليه بيبصوا ليه إزاي؟ عارفة لمَّا بالاقي راجل في ورشة علاج نفسي، الناس اللي موجودين بيقولوا عليه إيه؟ طيب عارفين ده بيحسّسه بإيه؟
الراجل ده بيتشاف من أقرب الناس ليه على إنه فيه حاجة ناقصة.. فيه حاجة غلط.. ولما باقول من أقرب الناس ليه، أنا بأقصد أبوه وأمه وإخواته.. وأحيانًا أولاده ومراته.. آه والله.. نفس مراته اللي بتشتكي منه..
أنا مش باتكلم عنك.. أنا عارف إنك هتقول: بالعكس.. أنا باحترم الراجل اللي بيسعى إنه يتغير علشان نفسه وعلشان اللي عايشين معاه.. ماشي.. وأنا كمان باحترمه جدًّا.. بس إحنا كام واحد؟ كام واحدة؟ فيه كام ألف واحد عنده هذا الوعي وهذه الشجاعة؟ وفيه قصادهم كام مليون واحد ما يعرفوش غير إن «راجل» معناها «حد ما يشتكيش، ما يضعفش، ما يقولش آي»؟ همَّا دول اللي أنا باتكلم عليهم.. همَّا دول السواد الأعظم من مجتمعنا وثقافتنا.. اللي لسه بدري أوي لغاية ما تتغير..
المشكلة مش بس إن اللي حوالين الرجل ده هيشوفوه على إنه فيه حاجة ناقصة.. وفيه حاجة غلط.. لأ.. المشكلة إنه هو نفسه - بناء على ده - هيشوف وهيصدّق إنه فعلًا فيه حاجة ناقصة.. وفيه حاجة غلط..
إحنا- كمجتمع- بنقبل من الست إنها تشتكي.. تفضفض.. تحاول تتغير.. لكننا- وبكل صراحة- مش بنقبل من الراجل إنه يشتكي.. ولا بنقبل إنه يفضفض.. وفي نفس الوقت عاوزينه يتغير.. فين المنطق؟
أنا قلت إن الذَّكَر الشرقي بيوصل له من وهوّ صغير إنه نصف إله.. بس الجانب الآخر من هذه الرسالة.. إنه ما ينفعش يضعف..
بيوصل له إنه قوي وجامد ومسيطر.. لكن الجانب المُظلم من هذه الرسالة.. هو إنه ما ينفعش يعبّر عن مشاعره..
بيوصل له إنه له السبق والتميز والأفضلية.. إنما الجانب الصعب من هذه الرسالة هو إنه ما ينفعش يبكي، ولا ينفع يحتاج، ولا ينفع يقع من وقوفه الدائم في وضع الاستعداد..
لسه.. لسه..
أنت جِبيت حد.. وقولت له بُص.. إنت دورك في هذا البيت إنك أنت السند.. أنت الضهر.. أنت الحماية.. أنت العضلات.. مطلوب منك تبقى عائل هذه الأسرة ومدعمها.. تمدها بالفلوس وتحافظ على استقرارها المالي والاجتماعي، علشان نعرف نعيش في أمان.. إزاي الشخص ده يبقى عنده رفاهية إنه حتى يحس؟
حد مطلوب منه يبقى طول الوقت في حالة فعل (Doing)، إزاي وإمتى نستنى منه يكون في حالة وجود (Being)؟.. هو ما يعرفش غير إنه يعمل.. ما اتعلّمش غير إنه يجري.. ما اتعودش غير إنه يتفرهد.. غمّوا عينيه من صغره وحطوه في الساقية وقالوا له: يلَّا لِفّ..
أنت قدام حد مش مسموح لدموعه إنها تنزل.. مش مسموح له يعبر عن فرح أو حزن أو رقص أو بُكا.. مش مسموح له إنه يحتاج حد يسمعه.. أو حد يحس بيه.. أو حتى حد يساعده.. مش مسموح له أصلًا..

أنت قدّام حد مش بيعرف يحضن حتى مراته وأولاده.. ولو حضنهم بيحضنهم حضن سريع خفيف ويطلع يجري.. لأنه- من ناحية- عُمره ما اتحضن من أبوه وأمه حضن حقيقي مشبع، ومن ناحية تانية، ده ممكن يحرّك فيه شوية مشاعر.. وده برضه مش مسموح له أصلًا..
يا دكتور مش مسموح له إزاي؟ أنا مراته أو بنته، وباقول لك أهو: يا ريته يحس أو يعبّر ويريح نفسه ويريحنا من الدوّامة دي..
يا ستي أن مش باقول إنك انتي اللي مش سامحة له.. خالص..
فيه أصوات قديمة جدًّا.. وغائرة جدًّا جوه الراجل ده بتطلع له كل شوية تقول له: «لأ.. ما ينفعش».. «إوعى تضعف.. أنت راجل».. «إوعى تعيّط.. أنت راجل».. «إوعى تحتاج.. أنت راجل».. «يعني إيه عندك مشاعر؟ أنت هتحس ولَّا إيه؟».. الأصوات دي أقوى من صوت حضرتك وأقوى من صوتي وأقوى مننا كلنا شخصيًّا مليون مرة..
ولَّا أقول لِك.. بصراحة كده.. تفتكري انتي نفسك لو حسيتي إن جوزك وراجلك وضهرك وسندك بيضعف ويستكين وتَخور قُواه.. مش هتحسي بشوية خوف؟ شوية استغراب؟ جاوبي بجد..
فيه باحثة شهيرة جدًّا اسمها «برينيه براون -Brené Brown».. الباحثة دي قضت عُمرها بتشتغل على حاجة اسمها «Shame»؛ يعني الشعور بـ«الخزي» و«العار».. ودرست باستفاضة إيه اللي بيسبب هذا الشعور عند المرأة وعند الرجل..
برينيه لقيت إن أكتر حاجة بتسبب الشعور بالخزي والعار عند المرأة هي علاقتها بجسمها واستقبالها ليه، في ضوء انطباعات ورسايل المجتمع والناس اللي حواليها.
عارفين لقيت إيه أكتر حاجة بتسبب الشعور بالخزي والعار عند الرجالة؟ الخوف من الضعف.. الخوف من إنه «يبدو محتاجًا».. الخوف من إنه يظهر أمام الناس (زي أهله وعِيلته وأولاده وأصحابه) على إنه «مش كفاية».. والخوف إن كل ده يتسبّب في رفضه..
إذا ماكانش ده مُنتهى الغُلب.. هيكون إيه؟
ده الخوف اللي سجن صاحبه.. وحرمه هو نفسه من إنسانيته..
الخوف اللي سجن كل اللي حواليه.. بافترائه عليهم وظُلمه ليهم..
الخوف اللي كمان سجنّا كُلنا.. في سجن كبير اسمه الذكورية الشرقية..
إنه الخوف يا سيدي.. أصعب المشاعر وأبشعها وأكثرها بدائية..
الخوف اللي ملازم وجودنا على وجه الأرض منذ وطئناها..
الخوف اللي لولاه.. كنا انقرضنا من زمان..
الإنسان الأول دوّر على كهف يؤويه علشان خايف من الوحدة والبرد..
عمل أسلحة بدائية يحمي بيها نفسه.. علشان خايف من الموت على يد حيوان مُفترس أو قبيلة غازية..
طوّر الزراعة والصناعة والعلوم.. علشان خايف من الطبيعة اللي لو لم يروضها هتثور عليه وتنهي وجوده، ولو بفيروس لا يُرى بالعين المجردة.. زي ما شوفنا في أزمنة كورونا..
الخوف هو سبب استمرار الحياة على هذا الكوكب.. الخوف من المرض.. الخوف من الوحدة.. الخوف من الموت..
الذَّكَر الشرقي ما زال جوّاه هذا الخوف البدائي.. مازال جوّاه هذا الإنسان الأول.. إنسان الكهف.. اللي شايف- واللي حواليه أكدوا له- إن كل دوره في الحياة هو الحماية.. والرعاية.. والإمداد بالأمان.. علشان كده لما ييجي الراجل دلوقت ويحب يقعد مع نفسه ويختلي بيها شوية..

يتوصف أحيانًا (وبشكل تلقائي) بإنه بيدخل الكهف بتاعه.. وماحدش متصور إن هذه الكناية تصف - إلى حد ما - الحقيقة..
الذَّكَر الشرقي عايش طول الوقت في حالة خوف.. هلع.. تهديد.. أحسن يضعف.. أحسن يطلع مش كفاية.. أحسن يخذل مَن حوله.. أحسن يترفض..
لكنه- وبكل أسف- بيخذل نفسه..
ويخذل مَن حوله برضه..
بطُرق تانية كتير.

****

فيه خمسة مستويات للخوف عند الرجل/ الذَّكَر الشرقي..
المستوى الأول، هو اللي وصفناه دلوقت.. الخوف من إنه ما يكونش كفاية.. ما يكونش كفاية قدام أبوه فيحتقره.. ما يكونش كفاية قدام أمه فتستقل بيه.. ما يكونش كفاية قدام إخواته فمايحترمهوش.. ما يكونش كفاية قدام مراته فتعرف حد غيره.. وده هاجس بيطارد كتير من الذكور الشرقيين للدرجة اللي تخليهم يحولوا حياتهم وحياة اللي معاهم إلى جحيم.
المستوى الثاني، وهو مترتب على المستوى الأول.. هو الخوف من رفض اللي حواليه ليه (أهله وعائلته في المقام الأول) لو ضعف قُدّامهم، أو قصّر في حقهم، أو خذلهم، أو ما بقاش عند توقُّعاتهم بناء على كل ما سبق.
المستوى الثالث، هو خوفه من المجتمع اللي هو عايش فيه (الناس، الأصحاب، زُملاء العمل، ...).. ذلك المجتمع الذكوري بطبعه.. خوفه من إنه يكون مختلف.. خوفه إنه يخرج عن القطيع.. خوفه من كلام الناس، ونظرات الناس، وهمزات ولمَزات الناس.. خوفه من أن يُسخَر منه، خوفه إنه يتقال عليه ديّوث، مش راجل، أي كلام.. المستوى ده من الخوف بيظهر أوي لما زوج أو أب أو أخ يتحط في موقف إن مراته أو بنته أو أخته تقرر إنها تغير حاجة في طريقة لبسها، أو طبيعة شُغلها، أو ما إلى ذلك.. بيظهر في كلمات وسلوكيات وإجراءات وراها كلها (حتى لو ما اتقالش ده لفظًا): الناس هتقول عليًّا إيه؟ الناس هتشوفني إزاي؟ الناس هتبص لي أي بصة؟
المستوى الرابع من الخوف، هو الخوف من النسخة الذكورية من الدين، النسخة اللي اتصدّرت ليه منذ نعومة أظفاره.. واللي هي عبارة عن قص ولزق واختزال وتشويه للدين الحقيقي.. النسخة اللي أخرجت كتير من النصوص من سياقها، وبعدت بيها عن زمنها وظروفها ومعانيها، وتركت وتجاهلت وأغفلت كل ما هو عادل وعاقل وحكيم من أصل الدين الحنيف وروحه وعُمق أعماقه.
أما المستوى الخامس، فهو خوفه من الأصوات الداخلية اللي بتطارده من جوّاه، أصوات أبوه وأعمامه وجدوده جدوده.. أصوات عمرها عشرات ومئات السنين، مرة تقول له: «خليك راجل»، مرة تقول له: «ما تنشف كده أمال»، ومرة تقول له: «ادبح لها القطة»..
كل خوف من دول وراه تهديد بالعقاب.. عقاب عائلي، وعقاب مجتمعي، وعقاب «يبدو» إنه ديني، وعقاب نفسي داخلي عنيف..
كل مستوى منهم مُحاط بكثير من الظلم والظلام والظلمات..
وكل ظُلمة منهم مليانة دروب وتِيه ومتاهات..
طيب..

هذا الإحساس الدائم بالتهديد الخارجي والوعيد الداخلي (واللي هو كله موجود في العقل الباطن) بيعمل إيه؟
بيخلي الذَّكَر الشرقي يلجأ لحاجة من اتنين للتعامل معاه.. ما هو مش هينفع ده كله يوصل لوَعْيه الظاهر ويعيش بيه كده في سلام.. الحاجتين دول بنسمّيهم «Fight or Flight Response».. يعني استجابة الهجوم أو الانسحاب..
إما إن هذا الذَّكَر يبقى عنيف وقاسي علشان يغطي ضعفه ومشاعره واحتياجه.. وإما إنه ينسحب وينكص ويتحول إلى كائن سلبي مُنزوي في أحد الأركان علشان ما يظهرش ولا هو ولا ضعفه ولا مشاعره ولا احتياجه أصلًا..
طبعًا النوع الأول (العنيف) معروف وواضح ولا تُخطئه عين.. زي ما شوفنا في الباب السابق.. بس اللي ما كانش واضح لينا أوي، هو إنه بيعمل كده لأنه مش عاوز يقرّب من مشاعره (مشاعر بالنسبة له تساوي ضعف وألم واحتياج).. خايف يهوّب ناحيتها.. حاطط حواليها سِياج شائك ضخم.. اللي يقرب منه.. يكهربه.. ده طبعًا توضيح وتفسير.. لكنه مش مُبرر على الإطلاق.
النوع التاني (المُنسحب/السلبي) ده مُتخفي ومُستتر شوية.. وشوفناه برضه في الباب السابق.. زي اللي مراته تبقى شايفة إن فيه مشكلة.. يقول لها لأ انتي اللي مكبّرة الموضوع، مراته زعلانة منه.. يبقى عاوزها تتصالح بسرعة، تيجي تعبّر عن مشاعرها من غضب وضيق وزعل.. ما يستحملش يسمع كلمتين، مراته عاوزة تروح معاه لعلاج زواجي.. يقول لها روحي انتي.. أنا تمام. طول الوقت يتكلم بعقله.. يمنطق كل حاجة.. وكل ده برضه خوفًا من إنه يقرب من مشاعره (ضَعف وألم واحتياج).. عايز يحمي نفسه منها بأي شكل.. مستحيل يستحمل يحس ولو للحظة واحدة إنه هش.. إنه مش كفاية.. مستحيل..
يااااااه..
ده الذَّكَر الشرقي طلعت حالته صعبة أوي..
شوفت الخوف ممكن يعمل إيه في البني آدمِين..
شوفت ممكن يأسرهم ويسجنهم ويبلعهم جوّاه إزاي..
شوفت إزاي ممكن يحوّل الضحية إلى جاني..
بالمناسبة.. أسوأ جاني.. هو مَن كان ضحية في يوم من الأيام..
الزوج المُتسلط كان ضحية.. وبقى جاني..
الأب القاسي.. كان ضحية.. وبقى جاني..
المُدير المتعسف.. كان ضحية.. وبقى جاني..
الزوج السلبي.. كان ضحية.. وبقى جاني..
ده الجانب الآخر للقصة..
والبُعد التاني للحقيقة..
والزاوية المخفية من الواقع..
حسّيت بيه؟
فهمته؟
تعاطفت معاه؟
قدرت تخرج برّه نفسك وتروح عنده؟

عرفتي تُحطي نفسك مكانه؟
عاوزكم تفضلوا فاكرين إن هذا الذَّكَر الشرقي بكل جبروته وعنفوانه، وبكل تجبره وافترائه، ممكن ينام على البلاط علشان أسرته تنام على السرير، وممكن ماياكلش ومايشربش في سبيل إنه يوفر لأولاده الأكل والشرب، وممكن يسافر ويتغرّب سنين طويلة، علشان يأمّن لهم حياتهم ومستقبلهم.
طيب..
قدرنا نشوف.. ونفهم.. ونعرف..
نعمل إيه بقى؟
حسّينا.. وتألّمنا.. وتعاطَفنا..
نبدأ منين؟
جيبنا الحكاية من أوّلها لآخرها..
نمشي إزاي؟
هاجاوبك..
بس هاطلب منك الأول تهضم الكلام اللي فات ده كويس..
ممكن تقراه تاني..
ممكن تفتكر أمثلة شوفتها أو بتشوفها في حياتك..
ممكن تبدئي تفسري بعض تصرفات وسلوكيات والدك أو أخوكي أو شريك حياتك بناء على هذا الفهم وهذه الرؤية..
نعمل ده الأول..
وبعدين نرجع نكمّل..

الفصل الثالث :
حقوق الرجل المُهدرة

رجعنا..
اللي عايز يغيّر كل ده بقى يعمل إيه؟
يبدأ منين؟ ويروح فين؟
يوصل إزاي؟
علشان نبقى عمليين وما نتكلمش كلام نظري.. إحنا زي ما عندنا خمسة مستويات للخوف.. عندنا أربعة مستويات للتغيير..
أولًا: هنعمل إيه علشان نساعد الرجالة المولودين والمتربيين والعايشين، في ظل هذه الظروف والضغوط والمخاوف الذكورية العميقة، إنهم يتغيروا؟
ثانيًا: طيب وإيه العمل علشان نساعد الستات اللي اتغسلت عقولهم، واتشوّهت نفسياتهم، واتقزّمت أرواحهم، وأصابتهم الذكورية الشرقية بشكل أكبر- أحيانًا- من الذَّكَر الشرقي نفسه؟
ثالثًا: هنعمل إيه علشان نحمي أطفالنا الموجودين دلوقت، أو الجايين بعد كده، من إنهم يتحوّلوا من رجال حقيقيين إلى ذكور شرقيين مُنقرضين؟
ورابعًا: هنعمل إيه بقى في المجتمع ككل.. بصفته هو القوة الأساسية، والفاعل الأكبر.. في اللعبة دي كلها؟
وخامسًا وأخيرًا: لو أنا راجل / ذكر وعاوز أتغير، أو ست / بنت وعاوزة تتغير، أعمل إيه؟ أول خطوة إيه؟ هل فيه خارطة طريق؟
نبدأ بالأطفال..
كلمة واحدة.. وباختصار شديد.. ومن الآخر جدًّا..
نبطّل نحرم الأطفال الذكور من حقوقهم الإنسانية البسيطة.. علشان لما يكبروا، ما يحرموش نفسهم وما يحرموش اللي حواليهم معاهم من هذه الحقوق الإنسانية البسيطة..
يعني إيه؟
يعني ندّي أبناءنا حق الضَّعْف.. ما نسخرش منهم في لحظات ضَعفهم..
ندّي أولادنا حق التعبير عن مشاعرهم.. يضحكوا.. يبكوا.. يرقصوا.. آه والله يرقصوا..
نديهم حق التقصير.. حق الفشل.. حق الخطأ.. حق العجز..
طبعًا كلمة «ندّي» مش بمعنى «نمنح».. دي مش منحة مننا.. إنما «ندّي» بمعنى نسيب فطرة ربنا تملاهم بدون تشويه مننا.. نسيب أنهار طبيعتهم الإنسانية الحقيقية تسري داخلهم من غير ما نبني عليها سدود.. نلعب دور رجل المرور اللي بينظّم السير والحركة والانسياب.. مش القاضي اللي بيحكم ويسجن ويشنق..
نقول لهم ونفهّمهم إنهم بشر.. بني آدمين.. مش أحسن من حد.. ولا أعلى من حد..
مش مطلوب منهم يبقوا آلهة.. ولا أنصاف آلهة..
مش عاوزينهم يكونوا «كفاية» طول الوقت..
نعلّمهم يحترموا بعض..
وإن الاحترام أهم من الحُب..
نعلّمهم إن الحُب من غير احترام ما يبقاش حُب..
نعلّمهم إن الولد زي البنت..

وإننا كلنا متساويين قدام ربنا كأسنان المشط..
كأسنان المشط.
نعلّمهم يخدموا نفسهم.. يغسلوا هدومهم.. ينضّفوا مكان نومهم وأكلهم وشربهم..
نعلّمهم اللين والعُذر والسماح.. مش القسوة والغلظة والتجهُّم..
نعلّمهم الدين الصحيح.. مش نسخة الدين الذكورية اللي ابتدعناها وضحكنا بيها على نفسنا..
ما نمارسش عليهم العنف.. بدعوى إني عاوزه يطلع «راجل».. أنت كده هتطلع «ذَكَر» لا يَعرف عن الرجولة شيئًا..
ما نمارسش العنف على أمهاتهم.. لأننا كده بنعلّمهم يعملوا كده في زوجاتهم..
وما نشجّعهمش يمارسوا العنف على إخواتهم البنات.. لأننا كده بنقضي على أي أمل في الرحمة داخلهم..
لو أخطأنا في حقّهم.. نتأسف لهم.. علشان يعملوا ده لما يغلطوا في حق حد وهمَّا كبار..
لو قالوا لنا «لأ».. نقبلها منهم.. ونراجع نفسنا.. مش عيب ولا غلط ولا حرام..
لو رأيهم اختلف عن رأينا.. نسمعهم.. ونفهمهم.. ونحُط نفسنا مكانهم.
انتم مش مُتخيلين الحاجات البسيطة دي (اللي هي في الحقيقة مش بسيطة ولا حاجة)، ممكن تعمل إيه.. ممكن تؤثر فيهم إزاي.. ممكن تحميهم وتحمينا كلنا بعد كده قد إيه..
طيب دول الأطفال.. نعمل إيه في الكبار بقى؟ الذكور الشرقيين الكبار.. تلك الديناصورات المُتضخمة المُترهلة..
أقول لك..
أولًا.. وزي ما اتفقنا قبل كده.. هنقبلهم.. مش نقبلهم يعني نوافق على اللي بيعملوه.. لأ.. خالص.. القبول حاجة والموافقة حاجة تانية.. هنقبلهم يعني هنتفهّم صعوبتهم، ونشوف الضعف والغلب والخوف اللي جوّاهم. ودي أول خطوة في مساعدتهم إنهم يتغيروا.
طبعًا القبول ده للحبايب والقرايب (أب- أم- زوج- زوجة-...) كبادرة لحُسن النية.. وبشرط عدم وجود ضرر يفوق قدرتنا على التقبُّل والتفهم.. أما اللي مش حبايب ومش قرايب، موضوع القبول ده مش مطروح بالنسبة له أصلًا..
يعني مش مطلوب منى أقبل واحد بيتحرش بيَّا في الشارع.. مش مطلوب مني أقبل إهانة من مديري أو زميلي في الشغل.. وبرضه مش مطلوب مني أقبل ضرب جوزي ليَّا.. ولا قسوة أبويا أو أمي عليَّا.. هنا ندخل على «ثانيًا» على طول..
ثانيًا.. هنقول لأي أذى ذُكوري شرقي من أي نوع وأي درجة وأي حد «لأ» بالفم المليان.. الأذى مش مسموح بيه إطلاقًا.. إني أقبلك مش معناها إني أسمح لك تؤذيني.. إني أتفهّم صعوبتك غير إني أفتح لك حدودي.. إني أحترم ضعفك ما يدّكش الحق في إنك تتطاول عليَّا.. خالص.. لأ يعني لأ..
وثالثًا.. نطلب منهم (مرة بالذوق ومرة بالضغط.. مرة باللين ومرة بالشدة.. مرة بالراحة ومرة بالتهديد) إنهم يبدءوا رحلة تغيير حقيقية.. يسعوا فيها لرؤية حاجات جديدة.. وإعادة النظر في كل حاجة قديمة.. من خلال قراية كتب.. مشاهدة فيديوهات.. من خلال ورش توعية نفسية.. أو من خلال علاج نفسي.. كل حد وظروفه وقُدراته وصعوبة حالته..
لو هو قِبل ده.. وبدأ.. وكمّل.. خير وبركة..
ولو رفض.. يبقى عملت اللي عليَّا.. وأفتح قُدام نفسي كل الاختيارات..

بدون تردُّد.. وبدون ندم..
أنا مش مطلوب مني أكون ضحية الذكورية الشرقية..
ولا شهيدة (أو شهيد) الرجولة المُزيفة..
ولا «كبش فداء» الأنوثة المُزيفة برضه..
واضح؟
واضح.
طيب.. بمناسبة الأنوثة.. نعمل أو نقول إيه للستات اللي كتير منهم أصبح أكثر ذُكورية شرقية من الذَّكَر الشرقي نفسه؟
هتعملوا اللي هأقول عليه؟
ماشي..
هتحفظوا الكلمتين الجايين دول صم.. وتسمّعوهم لنفسكم مرة واتنين.. وعند أول سِت تحس إنها منقوعة في الذكورية الشرقية.. بتمارسها، وتعيشها، وتدافع عنها، قولوهم ليها بصوت عالي.. وبكل شجاعة:
«يا سِت الكل..
ما تستبدليش جوزك بابنك.. علشان ما تطلّعيش للمجتمع «ذَكَر متجوز أمه- نفسيًّا»، يبهدل بنات الناس.. عندك مشاكل مع جوزك، حلّوها مع بعض.. أو اتطلقوا بما يُرضي الله..
ما تمحيش وما تمسحيش شخصية ابنك.. علشان ما تقدميش لينا «ذَكَر ابن أمه».. مستني الإذن والإشارة منك على النَّفَس اللي بيتنفسه.. اعتقيه من تحت إيدك لوجه الله..
ما تسيبيش جوزك يبقى مُعتمد عليكي زي الطفل الصغير.. تأكّليه وتشرّبيه وتنضفي مكانه.. فيتحول إلى «ذَكَر ابن مراته».. ويخلف لنا من بعده أشباه ذُكور.. مش حتى أشباه رِجال..
ولا تسيبيه يدهسك ويدوس عليكي وانتي ساكتة ومُستسلمة.. فتحرمي نفسك انتي شخصيًّا من الحياة.. ومن الإرادة.. ومن الحرية.. وتعيشي في كنف «ذَكَر أبو مراته».. يعدك بأمان زائف.. تحت وصاية طاغية»..
وطبعًا طبعًا تبدءوا بنفسكم.. كإناث جدعان شجعان مش ناويين تبقوا مسوخ أو أشباح بشرية متحركة فوق الأرض..
عارفين إيه المفتاح لكل ده؟
المفتاح هو إنك تصدقي إنك إنسانة حُرة.. مافيش حد من حقه يقيد حريتك.. أو يملكك.. أو يفرض عليكي حاجة رغمًا عنك..
تصدقي إنك تستاهلي تتشافي وتتقبلي وتتحبّي وتُحترمي زي ما انتي، بدون أي شروط أو أحكام أو طلبات أو مُقارنات.. وإن ده حقك اللي ربنا إداهولك.. مش أبوكي ولا أمك ولا جوزك ولا ولادك ولا اللي كاتب الكلام ده.
تصدقي كمان إن أغلى ما تملكينه في الدنيا هو نفسك.. هو انتي.. وإن مافيش أي حاجة تانية تعادلها أو تكافئها أو تُساويها..
بس كده؟
آه بس كده.. هو كده قليل..
ما هو لو صدقتي إنك حُرة.. مش هتسمحي لحد يعاملك على إنك عبدة.. يأمرها وينهاها كما يشاء.

ولو صدقتي إنك تستاهلي.. مش هتستني نظرة رضا خاطفة من عيون حد.. أي حد.. علشان تحسي بقيمتك..
ولو صدقتي إن أغلى ما تملكينه هو نفسك.. مش هتخلّي حد يساومك عليها.. أو يفاوضك على حتة منها..
اتفقنا؟
اتفقنا..
نيجي بقى للمجتمع..
طب إحنا ممكن نتعلم ونجتهد ونتغير.. وممكن ناخد بالنا في علاقتنا بأولادنا علشان مانشوّهمش.. وممكن نطلب أو نضغط على شُركاء حياتنا علشان يمشوا معانا الطريق والرحلة..
بس هنعمل إيه في مُجتمعنا بقى؟ هذا المجتمع الذكوري اللي شكله مش عايز يتغير.. المجتمع اللي بيشوّه كل يوم ألف راجل.. وبيؤذي كل يوم مليون سِت.. المجتمع اللي تطوُّر وعيه لسه مش ماشي بنفس سرعة تطور وعي كتير من أفراده..
أديك قولتها يا سيدي.. وعي أفراده..
أنا قولت قبل كده.. إننا محتاجين نعمل إعادة ضبط المصنع لعقليتنا المجتمعية والثقافية على فطرتها الحقيقية غير المُشوهة.. وإننا محتاجين فرمتة أمخاخ أجيال كاملة ورثت وتُورِّث عُقدًا وكلاكيع نفسية من أبشع ما يكون.. ومحتاجين توعية نفسية تصل لكل بيت.. ولكل حجرة داخل كل بيت.. ومحتاجين تأهيل نفسي قبل الخطوبة وقبل الزواج وبعد الزواج وقبل الإنجاب وبعد الإنجاب وأثناء التربية.. ومحتاجين جراحات نفسية عاجلة في المدارس والجوامع والكنائس والنوادي وحتى على الكافيهات والقهاوي. بس كل ده مش دورك أنت.. ده دور المتخصصين والمسئولين والناس اللي ليها صوت وقُدرة على الوصول لشرائح كبيرة من المجتمع..
أنت مسئول عن نفسك.. وعن تغيُّرك الشخصي فقط.. ولا يُغير الله ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم..
أنت مسئول إنك تبدأ بنفسك.. وصدقني.. لو أنت اتغيرت.. تغيُّرك هينعكس على الدايرة القريبة منك.. على إخواتك وولادك وأبوك وأمك.. من غير ما تنطق ولا كلمة.. مجرد تغير نوعية وجودك.. فقط لا غير.. وكل واحد من الدايرة القريبة منك هيفرق مع دايرة تانية أكبر.. وهكذا..
وهو ده اللي هيغيّر المجتمع كله.. صدقني.. المجتمع كله..
أستاذي دكتور رفعت محفوظ كان وما زال دايمًا بيقول لنا:
«إوعى تفتكر وأنت قاعد في جلسة علاج جمعي إنك قاعد مع الناس اللي في الأوضة بس.. مهما كانوا.. عشرين واحد؟ ثلاثين واحد؟ لأ.. أنت عارف كل واحد منهم ممكن يغيّر كام واحد؟ عارف لو واحدة بتشتغل مُدرسة.. واتغيّرت.. هتوصّل تغيُّرها لكام ألف واحد؟ عارف لو واحد اتغيَّر في بيته بين مراته وعياله.. التغيُّر ده هيفرق مع كام عِيلة؟ ده اللي أنا باراهِن عليه طول الوقت.. وده اللي عاوزكم تراهنوا عليه».
فاكر كمان في مرة كان دكتور يحيى الرخاوي (عالِم الطب النفسي الشهير)، داخل علينا قاعة في مؤتمر من مؤتمرات الطب النفسي.. كنا لسه مخلصين اجتماع يخص الجمعية المصرية للعلاج النفسي الجَمْعي.. كلنا وقفنا أول ما دخل وروحنا نسلّم عليه.. قال لنا بكل صرامة وعلى وشّه ابتسامة أمل: «اقعدوا.. ماحدّش يقوم.. كمّلوا شغل.. انتم بتغيّروا العالم».
أهو أنت برضه ممكن تغيّر العالم..

وانتي كمان ممكن تغيّري العالم..
من مجرد إنكم تبدءوا بأنفسكم..
وتسيبوا التغيير يسري حواليكم..
بكل هدوء.. وثقة.. وتصديق..
بكل طيبة.. وخير.. وأمل..
لغاية ما يرجع ليكم..
في أولادكم.. وأولاد أولادكم..
وقتها.. تبقوا قطعتوا سلسلة طويلة ومُتتالية.. من التشويه الساري عَبْر الأجيال..
وبدأتوا سلسلة جديدة تمامًا من الحُب.. والقُرب.. والأمل..
سلسلة تمتد من مشهدك الآن وأنت تقرأ هذا الكتاب..
وتنتهي عند ذلك المشهد المهيب..
بينك أنت وربنا..
لما يسألك: ماذا عَملتَ فيمَ علِمتَ؟
وتقول له: عملت بيه يارب.. اتغيّرت بيه يارب.. وعلّمته لمَن بعدي يارب..
عملت بيه يارب..
اتغيّرت بيه يارب..
علّمته لمَن بعدي يارب..
يارب.

الفصل الأخير :
أول جرعة

إيه ده؟ هو مش اللي فات ده كان الفصل الأخير؟
هو مش الكتاب خلص؟
إيه أول جرعة دي؟
آه.. هوّ أنت مش عارف إنك بعد كل كتاب، بتبدأ بداية جديدة؟!
وفي نهاية كل سِكة.. بنحط أقدامنا- مع بعض- في أول سِكة مُختلفة..
يبقى مش هينفع أسيبَك.. ولا أسيبِك.. غير لما أحُط رجليكم على أول الطريق..
فاكرين باب «الطريق إلى نفسك».. من كتاب «لأ.. بطعم الفلامنكو»؟
الباب اللي كان فيه خارطة طريق للتغيير مَبنيّة على نموذج الخطوات الأربع «Four-step Model».. واللي تقدر من خلاله تشوف احتياجاتك المدفونة من أيام طفولتك.. وتكتشف مخاوفك المزروعة جوّاك من زمان.. وتعرف وتتعرف على حقوقك المُهدرة.. وتاخد قرارات جديدة في حياتك..
النموذج ده تم تحديثه مؤخرًا، وإضافة خطوة جديدة عليه.. هدفها إنها توريك إنت كنت فين.. وعامل إزاي.. وليه.. قبل ما تبدأ تتحرك نحو التغيير..
خلينا قبل ما نخلّص الكتاب ده.. وننطلق لتغيير أنفسنا.. نمشي الخطوات دول مع بعض.. فيما يخص الرجولة الحقيقية، والرجولة المزيفة(15) (دي الاسم التاني للذكورة الشرقية المُنقرضة).
تعالى الأول نشوف انت كنت عايش طول عمرك إزاي.. دافن رجولتك الحقيقية فين؟ ومطلع مكانها رجولة مزيفة ليه؟
تعالى بعدها نشوف كنت محتاج إيه.. إمتى.. والاحتياج ده ودّاك فين وعمل فيك إيه..
وتعالى نكتشف المخاوف اللي ارتبطت جوّاك بأنك تعوز وتطلب احتياجاتك البسيطة في علاقات حياتك..
وتعالى كمان نعرف حقوقك اللي أنت اتخلّيت عنها علشان ترضي حد.. أو تحافظ على حد.. أو تتجنب هجر حد..
وتعالى أخيرًا ناخد قرار واضح وصريح بإننا نوعى.. وننوي.. ونتغيّر..
يبقى خليك فاكر: خمسة مستويات للخوف.. خمسة مستويات للتغيير.. وخمس خطوات للعلاج..
هنتحرك.. وطول ما إحنا ماشيين.. هاورّيك عيّنات من كلام بعض الناس اللي مشيوا السكة دي قبل كده.. علشان تساعدك.. وتنور لك الطريق..
اعتبرها لعبة (إحنا بنسميها كده فعلا).. هنلعبها مع بعض.. ولد.. بنت.. راجل.. سِت.. أب.. أم.. ما هو برضه الستات بيكون جوّاهم رجولة (حقيقية أو مُزيفة) زي ما جوّاهم أنوثة (حقيقية أو مزيفة)(16)، والرجالة بيكون جوّاهم أنوثة (حقيقية أو مُزيفة) زي ما جوّاهم رجولة (حقيقية أو مُزيفة)
اسمها «لعبة التغيير»..
العبوها بنفسكم..
وخلّوا أولادكم يلعبوها..
خلّوا أزواجكم وزوجاتكم يلعبوها..

خلّوا حبايبكم وقرايبكم ومعارفكم يلعبوها..
وقولوا لهم دي لعبة حقيقية إنسانية جميلة..
بس قبل ما نبدأ.
عاوزك تشوف كويس الذَّكَر الشرقي المُنقرض اللي جوّاك/جوّاكي.. عاوزك تشوف شكله إيه وبيتصرف إزاي، عاوزك تفتكر هو ظهر إزاي وإمتى وعلى إيد مين، اسأل نفسك: أنا ليه اتبنّيته؟ هو حمَاني من إيه زمان؟ وخايف أتخلى عنه ليه دلوقتي؟
اسمعه كويس.. لأن عنده حكاية مُهمة يحكيها لك.. حكاية رجولتك الحقيقية اللي ربنا خلقك بيها.. وبعدين نالتها جراح وسهام مُؤلمة ومُؤذية- بقَصْد وبدون قَصْد- من البيت والمُجتمع والشارع والمدرسة وغيرهم..
اسمعه واقبله وحِس بيه.. حِس باحتياجاته.. حِس بجِراحه وآلامه..
علشان تعرف تحرّره من سجن مخاوفه.. وتعفيه من التهديد اللي دايمًا حاسس بيه..
علشان تبدأ تبني مع نفسك ومع رجولتك علاقة جديدة..
فيها أمان وصحوبية وجدعنة.. مش هلع وفزع وخوف..
فيها تغيير وشِفا ودَوا.. مش هجوم أو ارتداد أو انسحاب..
جاهز؟
يلّا بينا..
نشوف الناس قالوا إيه..
ونقول بعدهم..
١ - أنا عِشت طول عُمري دافن رجولتي الحقيقية، ومطلّع مكانها رجولة مُزيفة، علشان..........
- **أنا عِشت طول عمري دافن رجولتي الحقيقية، ومطلّع مكانها رجولة مُزيفة، علشان أخوّف الناس مني.**
- **أنا عِشت طول عمري دافن رجولتي الحقيقية، ومطلّع مكانها رجولة مُزيفة، علشان أعجب اللي حواليَّا.**
- **أنا عِشت طول عمري دافن رجولتي الحقيقية، ومطلّع مكانها رجولة مُزيفة، علشان أخبّي ضعفي.**
- **أنا عِشت طول عمري دافن رجولتي الحقيقية، ومطلّع مكانها رجولة مُزيفة، علشان أستخبّى وراها.**
- **أنا عِشت طول عمري دافن رجولتي الحقيقية، ومطلّع مكانها رجولة مُزيفة، علشان الرجولة المُزيفة أشرس.**
- **أنا عشت طول عمري دافنة رجولتي الحقيقية، ومطلّعة مكانها رجولة مُزيفة، علشان خايفة من التحرُّش (أنثى).**
- **أنا عِشت طول عمري دافن رجولتي الحقيقية، ومطلّع مكانها رجولة مُزيفة، علشان رجولتي الحقيقية محتاجة جهد أكبر من الرجولة المُزيفة.**
- **أنا عِشت طول عمري دافن رجولتي الحقيقية، ومطلّع مكانها رجولة مُزيفة، علشان وصل لي إن الرجولة يعني عُنف وضرب وأوامر وقوة عضلية بس.**

• أنا عِشت طول عمري دافن رجولتي الحقيقية، ومطلّع مكانها رجولة مُزيفة، علشان أمي وصّلت لي رسايل مُرعبة كرّهتني في أبويا اللي هو الرمز الأول للرجولة في حياتي.
• أنا عِشت طول عمري دافن رجولتي الحقيقية، ومطلّع مكانها رجولة مُزيفة، علشان وصل لي إن الراجل ما يعيّطش وما يبيّنش مشاعره، الراجل قوي وبس، حاجة كده زي إن الراجل مش بني آدم.
يلّا دورك.. كمّل من عندك:
• أنا عِشت طول عمري دافن رجولتي الحقيقية، ومطلّع مكانها رجولة مُزيفة، علشان................
• أنا عِشت طول عمري دافن رجولتي الحقيقية، ومطلّع مكانها رجولة مُزيفة، علشان................
• أنا عِشت طول عمري دافن رجولتي الحقيقية، ومطلّع مكانها رجولة مُزيفة، علشان................
• أنا عِشت طول عمري دافن رجولتي الحقيقية، ومطلّع مكانها رجولة مُزيفة، علشان................
• أنا عِشت طول عمري دافن رجولتي الحقيقية، ومطلّع مكانها رجولة مُزيفة، علشان................
• أنا عِشت طول عمري دافن رجولتي الحقيقية، ومطلّع مكانها رجولة مُزيفة، علشان................
٢- أنا من دلوقت محتاج أصحّي رجولتى الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، علشان............
• أنا من دلوقتي محتاج أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، علشان أسمح بالقُرب الحقيقي.
• أنا من دلوقتي محتاج أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، علشان مأستخبّاش وراها أكتر من كده.
• أنا من دلوقتي محتاج أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، علشان ولادي يطلَعوا رجالة حقيقيين مش مُزيفين.
• أنا من دلوقتي محتاجة أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، علشان الشراسة اللي عندي تختفي (أنثى).
• أنا من دلوقتي محتاج أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، علشان دي فِطرة ربنا.
• أنا من دلوقتي محتاجة أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، علشان أحمي جسمي وحدودي النفسية (أنثى).
• أنا من دلوقتي محتاج أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، علشان أعرف أسامح أمي اللي شوّهت صورة الرجولة الحقيقية جوايا.
• أنا من دلوقتي محتاج أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، علشان أكبر وأقول لأمي كفاية ظُلم لأبويا.

• أنا من دلوقتي محتاجة أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، علشان أعرف أتعامل مع أي راجل وأنا متطمنة ومش خايفة منه (أنثى).
• أنا من دلوقتي محتاجة أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، علشان أدافع عن نفسي وأحط حدود في علاقاتي وأكون جدعة بجد (أنثى).
يلّا دورك:
• أنا من دلوقتي محتاج أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، علشان...............
• أنا من دلوقتي محتاج أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، علشان...............
• أنا من دلوقتي محتاج أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، علشان...............
• أنا من دلوقتي محتاج أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، علشان...............
• أنا من دلوقتي محتاج أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، علشان...............
• أنا من دلوقتي محتاج أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، علشان...............
٣- أنا عايز أصحّي رجولتى الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، بس خايف لاحسن...............
• أنا عايز أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، بس خايف لاحسن مايبقاليش هيبة.
• أنا عايز أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، بس خايف لاحسن حقّي يتّاكل.
• أنا عايز أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، بس خايف لاحسن ما يحترمونيش.
• أنا عايز أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، بس خايف لاحسن يستغلّوني.
• أنا عايزة أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، بس خايفة لاحسن ما يخافوش مني (أنثى).
• أنا عايزة أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، بس خايفة لاحسن يستهونوا بيّا (أنثى).
• أنا عايزة أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، بس خايفة من التحرُّش (أنثى).
• أنا عايز أصحّي رُجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، بس خايف لاحسن أخسر أمي وأبويا.
دورك:

• أنا عايز أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، بس خايف لاحسن.............
• أنا عايز أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، بس خايف لاحسن.............
• أنا عايز أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، بس خايف لاحسن.............
• أنا عايز أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، بس خايف لاحسن.............
• أنا عايز أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، بس خايف لاحسن.............
• أنا عايز أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، بس خايف لاحسن.............
• أنا عايز أصحّي رجولتي الحقيقية، وأقبلها، وأعيشها، وأمارسها، بس خايف لاحسن.............

٤- أنا من حقّي أكون راجل حقيقي، مش مُجرد ذَكَر، حتى لو/ بالرغم من........................

• أنا من حقّي أكون راجل حقيقي، مش مجرد ذَكَر، بالرغم من شكلي قُدام الناس.
• أنا من حقّي أكون راجل حقيقي، مش مجرد ذَكَر، بالرغم من إني هافقد نَظْرَة المجتمع اللي بتمجّد الرجولة المُزيفة.
• أنا من حقّي أكون راجل حقيقي، مش مجرد ذَكَر، حتى لو الناس مش هتخاف مني.
• أنا من حقّي أكون راجل حقيقي، مش مجرد ذَكَر، حتى لو العالم كله وقف ضدي.
• أنا من حقّي أكون راجل حقيقي، مش مجرد ذَكَر، بالرغم من رفض الناس والمجتمع.
• أنا من حقّي أكون راجل حقيقي، مش مجرد ذَكَر، حتى لو خسرت رفاهيات كنت مكتسبها من الرجولة المُزيفة.
• أنا من حقّي أكون راجل حقيقي، مش مجرد ذَكَر، حتى لو كل اللي حواليَّا ذكور والاختلاف عنهم هيكون له ضريبة.
• أنا من حقي يكون جوايا رُجولة حقيقية، مش رجولة مُزيفة، بالرغم من إن أمي ممكن ما تكونش راضية عليَّا (أنثى).
• أنا من حقّي أكون راجل حقيقي، مش مجرد ذَكَر، بالرغم من خوف أبويا إني آخُد مكانه.

دورك:

• أنا من حقّي أكون راجل حقيقي، مش مجرد ذَكَر، حتى لو/ بالرغم من.....................
• أنا من حقّي أكون راجل حقيقي، مش مجرد ذَكَر، حتى لو/ بالرغم من.....................
• أنا من حقّي أكون راجل حقيقي، مش مجرد ذَكَر، حتى لو/ بالرغم من.....................
• أنا من حقّي أكون راجل حقيقي، مش مجرد ذَكَر، حتى لو/ بالرغم من.....................
• أنا من حقّي أكون راجل حقيقي، مش مجرد ذَكَر، حتى لو/ بالرغم من.....................
• أنا من حقّي أكون راجل حقيقي، مش مجرد ذَكَر، حتى لو/ بالرغم من.....................
• أنا من حقّي أكون راجل حقيقي، مش مجرد ذَكَر، حتى لو/ بالرغم من.....................

٥- أنا قررت أكون راجل حقيقي، مش مجرد ذَكَر.. وأتخلّى تمامًا عن أي رجولة مُزيفة، وأنا مسئول عن قراري ده، قُدام نفسي، وقُدام الناس، وقُدام ربنا.

- أنا قررت أكون راجل حقيقي، مش مُجرد ذَكَر.. وأتخلّى تمامًا عن أي رجولة مُزيفة، وأنا مسئول عن قراري ده، قُدّام نفسي، وقُدّام الناس، وقُدّام ربنا.
- أنا قررت أكون راجل حقيقي، مش مُجرد ذَكَر.. وأتخلّى تمامًا عن أي رجولة مُزيفة، وأنا مسئول عن قراري ده، قُدّام نفسي، وقُدّام الناس، وقُدّام ربنا.
- أنا قررت أكون راجل حقيقي، مش مُجرد ذَكَر.. وأتخلّى تمامًا عن أي رجولة مُزيفة، وأنا مسئول عن قراري ده، قُدّام نفسي، وقُدّام الناس، وقُدّام ربنا.

دورك.. اكتبها زي ما هي على قد ما تقدر من المرّات..

- ....
- ....
- ....
- ....
- ....
- ....

برافو عليك..
خلاص..
خلّصنا..
العملية تمت بنجاح..
حَمد الله على السلامة.
قول بقى أهلًا لرجولتك الحقيقية..
ووداعًا.. ألف وَداع..
للذَّكَر الشرقي المُنقرض..
اللي كان جوّاك.
قول مرحب واتنين وتلاتة..
لِفطرتك اللي خرجت للتوّ من تحت الغبار..
وبدأ لَمَعانها يخترق الظلام.
وقوم يلّا مارس هذه الرجولة الحقيقية..
عيشها..
استمتع بيها..
وخلّي اللي حواليك همّا كمان يستمتعوا بيها..
التحم بيها.. اتّحِد معاها..
خلّيها تتلملم.. وتلتئم.. وتملاك..
اسمعها.. وحِسّها.. والمسها..
لأنها أنت.. لأنها حقيقتك..
زي ما ربنا خلقَك..
زي ما صوّرك..

زي ما أبدعك..
في أحسن تقويم.
وما تسمحش- إوعى تسمح- لأي حد إنه يدفن هذه الفطرة مرة أخرى.. ويرُدك إلى أسفل سافلين..
استمسك بهذه العُروة الوثقى.. وإوعى تستجيب لأي مُحاولة انفصام ثانية لها..
زكّيها.. حِبّها.. احترمها.. وإوعى تُخفيها أو تخبّيها أو تدسّها بأي حال من الأحوال.. ولأي سبب من الأسباب..
وقول أخيرًا معايا.. معانا.. وبكل كيانك..
قول بصوت عالي يسمع الدنيا كلها:
الحمد لله..
الحمد لله رب العالمين.
محمد طه

(15) الرجولة الحقيقية تُشير إلى صفات مثل الشجاعة والجدعنة والشهامة والإصرار والتحدي والمُثابرة واتخاذ القرار، وبتكون موجودة في الرجالة والستات الأسوياء نفسيًّا.. الرجولة المُزيفة تُشير إلى صفات مثل الخشونة والقسوة واستعراض العضلات والصوت العالي والافتراء والعنجهية.. وبتكون موجودة في الرجالة والستات غير الأسوياء في تركيبتهم النفسية عند هذا المستوى...
(16) الأنوثة الحقيقية تُشير إلى صفات مثل الحِنية والقرب والمودة والرحمة والطيبة ورِقة القلب، وبتكون موجودة في الستات والرجالة الأسوياء نفسيًّا.. الأنوثة المُزيفة تُشير إلى صفات مثل الميوعة والمياصة والاستضعاف والاستكانة والصعبانية والإغواء، وبتكون موجودة في الستات والرجالة غير الأسوياء في تركيبتهم النفسية عند هذا المستوى.
المرأة المتكاملة نفسيًّا مع رجولتها الحقيقية بتكون قريبة، وفي نفس الوقت حدودها واضحة، حنينة بس صارمة عند اللزوم، رقيقة وفي نفس الوقت جدعة ومسئولة، عطوفة وفي نفس الوقت مش بتسيب حقها، طيبة وفي نفس الوقت حازمة.
الرجل المتكامل نفسيًّا مع أنوثته الحقيقية بيكون شجاع وفي نفس الوقت حنين، شَهْم وفي نفس الوقت حَييّ، مسئول وفي نفس الوقت مُتسامح، مُتحدٍّ وفي نفس الوقت قريب، جدع وفي نفس الوقت وَدُود..